

# مجلة الصباح للبحوث

مجلة بحثية محكمة سنوية

المجلد: ٩ يناير ٢٠٢٤ ISSN: 2454-7824

قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدائها

كلية فاروق (حكم ذاتي)

مستوحدة من قبل حكومة كيرالا التابعة لجامعة تالينوت، كيرالا، الهند

كلية ذات كفاءة للمعيار ICPEB معتمدة من قبل المجلس الوطني للتعليم والتقدير NAAC بدرجة 'A'

مؤسسة تعليمية للكلية



ISSN: 2454-7824

المجلد: ٩

# مجلة الصباح للبحوث

مجلة بحثية محكمة سنوية



قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدائها

كلية فاروق (حكم ذاتي)

مدعومة من قبل حكومة كيرالا | تابعة لجامعة كاليكوت، كيرالا، الهند

كلية ذات كفاءة للامتياز (CPE) | معتمدة من قبل المجلس الوطني للتقييم والتقدير (NAAC) بدرجة 'A+'

مؤسسة تعليمية للأقليات

٢٠٢٤

## هيئة التحرير

### هيئة الاستشارة

- الدكتورة/كي. أي عائشة سبينة، عميدة كلية فاروق (رئاسة)
- الدكتور/ مجيب الرحمن، أستاذ ورئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي
- الدكتور/ جموعي سعدي، أستاذ محاضر (أ)، جامعة محمد شريف المساعدة، سوق أهراس، الجزائر
- الدكتور/ محمود درابسة، أستاذ النقد الأدبي، جامعة اليرموك، الأردن
- الدكتور/ نعيم الحسن، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة دلهي، دلهي
- الدكتور/ محمد ثناء الله، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية، جامعة عليكرة الإسلامية، أوتار براديش
- الدكتور/ سيد راشد نسيم، رئيس قسم الدراسات العربية & عميد كلية الدراسات الاسوية، جامعة اللغة الانجليزية واللغات الأجنبية، حيداباد
- الدكتور/ عبد الماجد قاضي، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية، الجامعة المللية الإسلامية، نيو دلهي
- الدكتور/ أشفاق أحمد، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية، جامعة بنارس الهندوسية، فارانسي، أوتار براديش
- الدكتور/ محمد بشيرك، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية، جامعة أسام، أسام
- الدكتور/ أي. بي معي الدين كوتي، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت
- الدكتور/ ذاكر حسين، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية، جامعة مدراس، تامل ناد

### رئيس التحرير

- **الدكتور/ يونس سليم**، أستاذ مشارك ورئيس قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا

### المحرر

- **الدكتور/ محمد عابد . يو. بي**، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا

### هيئة المراجعة والتحكيم

- الدكتور/ يحيى حاج امحمد، أستاذ التعليم العالي، جامعة غرداية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
- الدكتور/ خالد بن سليمان الكندي، أستاذ مشارك، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان
- الدكتور/ أنس ملموس، قسم اللغويات التطبيقية، جامعة مولاي إسماعيل مكناس، المغرب
- الدكتور/ علي نوفل ك، أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت
- الدكتور/ محمد أجمل، أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية و الإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي
- الدكتورة/ هيفاء شاكري، أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية، الجامعة المللية الإسلامية، نيو دلهي، الهند
- الدكتور/ محمد عماد الدين، أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية، الكلية الشرقية أي كي يم، الجامعة العثمانية
- الدكتور/ سعيد الرحمن، أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة عالية، كولكاتا

### الأعضاء

- الدكتور/ ساجد إي. كي، أستاذ مشارك، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ عبد المجيد تي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ عبد الجليل، أم، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ صغير علي تي. بي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ عباس كي. بي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها

قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا في سطور

- ❖ تأسيس: ١٩٤٩ م
- ❖ البكالوريوس في اللغة الشرقية (BOL): ١٩٤٩ م
- ❖ البكالوريوس في اللغة العربية: ١٩٥٩ م
- ❖ البكالوريوس في اللغة العربية والتاريخ الاسلامي: ١٩٦٦ م
- ❖ الماجستير في اللغة العربية: ١٩٦٧ م
- ❖ مركز البحوث في اللغة العربية وآدابها: ٢٠٠٠ م
- ❖ مجلة الفاروق، منتدى طلاب العربية: ٢٠١٠ م
- ❖ مجلة الصباح للبحوث - مجلة بحثية محكمة سنوية: ٢٠١٦ م

الرؤساء السابقون

- الأستاذ/وي. محمد (١٩٤٨-١٩٧٩)
- الأستاذ/كي. أي. علي كنج (١٩٧٩-١٩٨٣)
- الأستاذ/محي الدين كوتي (١٩٨٣-١٩٨٥)
- الأستاذ/وي. بي. عبد الحميد (١٩٨٥-١٩٨٧ و ١٩٩٥-٢٠٠٣)
- الأستاذ/أم. محمد (١٩٨٧-١٩٩٣)
- الدكتور/دي. بي. عبد الرشيد (١٩٩٣-١٩٩٥ و ٢٠٠٣-٢٠٠٩)
- الأستاذ/ك. تي. حمزة (٢٠٠٩-٢٠١١)
- الدكتور/أن. عبد الجبار (٢٠١١-٢٠١٢)
- الدكتور/سي. بي. أبوبكر (٢٠١٢-٢٠١٥)
- الدكتور/علي نوفل. ك (٢٠١٥-٢٠٢٢)

أعضاء هيئة التدريس السابقون

- الأستاذ/وي. محمد (١٩٤٨-١٩٨٣)
- الأستاذ/كي. أي. علي كنج (١٩٥٣-١٩٨٣)
- الأستاذ/أم. أبوبكر (١٩٥٩-١٩٦٤)
- الأستاذ/محي الدين كوتي (١٩٦١-١٩٨٥)
- الأستاذ/بي. بي. عبد الحميد (١٩٦٤-١٩٧٠)
- الأستاذ/أم. محمد (١٩٦٥-١٩٩٣)
- الأستاذ/أن. عبد الحميد (١٩٦٧-١٩٦٩)
- الدكتور/ك. أم. محمد (١٩٦٨-١٩٧٠)
- الأستاذ/أم. أي. فريد (١٩٧٠-١٩٨٢)
- الأستاذ/ك. بي. أبوبكر (١٩٧١-١٩٧٢)
- الدكتور/اسماعيل لبي (١٩٧١-١٩٧٨)
- الأستاذ/وي. بي. عبد الحميد (١٩٧٢-٢٠٠٣)
- الأستاذ/كي. عثمان (١٩٧٢-١٩٧٤)

- الدكتور/ دي. بي. عبد الرشيد (١٩٧٦ - ٢٠٠٩)
- الأستاذ/ ك. بي. كنج محمد (١٩٧٧ - ٢٠٠٨)
- الدكتور/ ك. وي ويران محي الدين (١٩٧٨ - ١٩٨٥)
- الأستاذة/ طاهرة بي. (١٩٧٨ - ٢٠٠٨)
- الأستاذ/ أو. كي. حسن (١٩٧٩ - ١٩٨٠)
- الأستاذ/ إي. سي. أبوبكر (١٩٧٩ - ١٩٨١)
- الدكتور/ أحمد ابراهيم رحمة الله (١٩٨١ - ١٩٨٢)
- الأستاذ/ ك. تي. حمزة (١٩٨١ - ٢٠١١)
- الدكتور/ أن. أي. أم. محمد عبد القادر (١٩٨٢ - ١٩٨٨)
- الأستاذ/ بي. أم. سليم (١٩٨٢ - ١٩٨٧)
- الدكتور/ أن. عبد الجبار (١٩٨٢ - ٢٠١٢)
- الدكتور/ بي. أحمد سعيد (١٩٨٢ - ٢٠١١)
- الدكتور/ سي. بي. أبوبكر (١٩٨٣ - ٢٠١٥)
- الأستاذ/ وي سويي (١٩٨٧ - ٢٠٠٦)
- الدكتور/ أي. بي. محي الدين كوتي (١٩٩٣ - ١٩٩٤)
- الدكتور/ يو. سيد علوي (١٩٩٣ - ١٩٩٥)
- الدكتور/ علي نوفل ك (٢٠٠٨ - ٢٠٢٢)

## هيئة التدريس الحالية

- الدكتور/ يونس سليم، أستاذ مشارك ورئيس قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ ساجد إي. كي، أستاذ مشارك، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ محمد عابد. يو. بي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ عبد الجليل. أم، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ صغير علي. تي. بي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
- الدكتور/ عباس. كي. بي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها



## المحتويات

رقم	دراسات وأبحاث	الكاتب	الصفحة
١	لامية الهند من الشعر المكتوب بالعربية في شبه القارة الهندية	الدكتور/ علاء الدين رمضان السيد مرسي	٩
٢	المستوى الصوتي في كتب معاني القرآن	الدكتور/ محمد بن سالم بن خلفان المسلمي	١٦
٣	دور المدرسة الكوفية في إثراء الدرس الصوتي: دقائق التصريف أنموذجا	الدكتور/ سيف بن سالم بن فضيل المسكري	٢٨
٤	صورة الرجل في تجربة النساء الشعرية: قراءة في بعض التمازج من الشعر القديم والحديث	الدكتور/ محمود حمد	٣٧
٥	القيمة الفنية والغاية القيمة: مقارنة تأويلية للمسالك والغايات في شعر الزبيريين	الدكتور/ ماجد بن حمد العلوي	٥١
٦	تحليل النص بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة: السمات والإجراءات	الدكتور/ محمد صالح الشيزاوي	٦١
٧	الدراسات اللغوية والأدبية ومتغيرات العصر	الدكتور/ عبدالله بن مبارك السعدي	٧١
٨	مراحل تطور النقد العربي القديم - نقد وتحليل	الدكتور/ عمر أحمد صديق أحمد	٨٧
٩	الفروق الفردية والخصائص النفسية للإنسان في القرآن	الدكتور/ يونس سليم	٩٦
١٠	التجربة الصوفية في الروايات العربية المعاصرة: "موت صغير" لمحمد حسن علوان نموذجا	الدكتور/ عمير خان م	١٠٠
١١	دور مجلة البشري في تطوير العلاقات الدولية العربية بولاية كيرالا والهند	السيد/عبد اللطيف. وي	١٠٧
١٢	نقد الهيمنة الذكورية في رواية "امرأة عند نقطة الصفر" لنوال السعداوي	الدكتور/ عبد الجليل يم	١١٦
١٣	التزعات الأدبية والفنية في شعر المقاومة الفلسطينية	الدكتور/ إي. ك ساجد	١٢٠
١٤	إطالة على حياة الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني وخدماته العلمية والتعليمية	الدكتور/ عز الدين الندوي	١٢٣
١٥	الشهيد في قصيدة "الذبيح الصاعد" بين الرؤيا والتشكيل	الدكتورة/ نجاة بوقزولة	١٢٨
١٦	مفهوم الحجاج وعلاقته باللغة العربية	السيدة/نادية عشايكي	١٣٥
١٧	المعجمية العلمية في القرآن الكريم: دراسة الدلالات حول عبارة "البحر المسجور" و"البحار سجرت"	الدكتور/ شبير علي ك ك	١٤٨
١٨	جلالة المفهوم في 'عالم وطاغية'	الدكتور/ محمد عابد يو. بي	١٥٥
١٩	نماذج لمناهج اللغة العربية للناطقين بغيرها دراسة ميدانية	الدكتور/ طاهر فايز عبد الحميد عبدالعال	١٥٩
٢٠	أدب الرعب نشأته وتطوره	السيدة/ محسنة. وي والدكتور/ عباس. كي. بي	١٧٣
٢١	قضية البدون في الروايات الكويتية: روايات ناصر الظفيري أنموذجا	السيدة/ فيروزة كي كي	١٨٠
٢٢	تجليات التسامح في قصيدة فتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين للشيخ قاضي محمد الكالكوتي	الدكتور/ بي. مجيب النلكتي	١٨٨
٢٣	تطور أدب الطفل في الأدب العربي بإشارة خاصة إلى المملكة العربية السعودية	السيد/ عبد الصمد. والدكتور/ محمد عابد يو. بي	١٩٦
٢٤	الاختيارات العروضية عند الأثاري في دائرة المجتلب: دراسة عروضية نقدية	الدكتور/ أول إدريس عثمان	٢٠٣
٢٥	أفكار التعلم والتعليم الحديثة في منظور ابن خلدون	السيدة/ أم سلى ن والدكتور/ محمد نور الأمين وي	٢١٧
٢٦	القدس في رواية "خلود" لسمير الجندي	السيدة/ ربحانة سي والدكتور/ عبد الرحيم أم. كي	٢٢٤
٢٧	الثنائيات الضدية و أبعادها في رواية "عطر البادود" لهاشم محمود حسن: دراسة تحليلية	السيد/ محمد معراج عالم	٢٣٣

### بسم الله الرحمن الرحيم

إن تاريخ اللغة العربية متجذر في تاريخ الإنسانية، فهي ركن أصيل من أركان التنوع الثقافي للبشرية، وهي كائن حي ينمو ويتشكل ليصنع عالماً فسيحاً من الجمال المطلق. تعد اللغة العربية منبعاً لا ينضب من الجمال الخام، فهي المرادف للتجدد والتطور مع التاريخ والتجذر. فإن التطور والتجذر يجعلان اللغة كائنات حيا ينمو ويتطور.

نالت اللغة العربية الاهتمام العالمي منذ منتصف القرن العشرين للميلاد عندما قررت منظمة اليونسكو اعتماد اللغة العربية كثالث لغة رسمية لها بعد اللغتين الإنجليزية والفرنسية. فتم الاعتراف رسمياً في دور اللغة العربية في جعل المنشورات العالمية أكثر تأثيراً، وعقد المؤتمر لليونسكو في اللغة العربية بناء على مجموعة من الاقتراحات التي تبنتها العديد من الدول العربية، وأدى ذلك إلى اعتماد اللغة العربية كواحدة من اللغات العالمية التي تستخدم في المؤتمرات الدولية.

وإن مجلة الصباح للبحوث تهدف إلى نشاطات البحوث المبتكرة ذات الصلة بمجالات الأدب واللغة والنقد والتربية والثقافة والفنون. ومن أهم أغراض المجلة: نشر البحوث القيمة في حقول الآداب العربية في العالم ونشر الدراسات في فضاء العلوم العربية من نحو وبلاغة وصرف وعروض ونشر المقالات البحثية في الاتجاهات الأدبية وما إليها ونشر المقالات المبتكرة حول الوسائل التعليمية النظرية والتطبيقية وغيرها.

فهذه يقدم قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها بكلية فاروق العده التاسع لمجلة الصباح للبحوث وآدابها وسيساهم القسم مساهماته في ترقية اللغة العربية في ولاية كيرالا وخارجها وينال أسى التقديرات للقراء في الأوساط اللغوية والأدبية والثقافية

د/ يونس سليم، رئيس التحرير

## لامية الهند من الشعر المكتوب بالعربية في شبه القارة الهندية

الدكتور/ علاء الدين رمضان السيد مرسي<sup>١</sup>

## الملخص

يتناول البحث ثلاثاً من أبرز القصائد المكتوبة بالعربية في شبه القارة الهندية، وكلها تسمى: «لامية الهند»: لامية القاضي الدهلوي (٧٠١هـ - ٧٩١هـ/١٣٨٩م)، "يا سائق الظعن في الأسحار والأصل". ولامية غلام آزاد البلگرامي (١١١٦هـ - ١٢٠٠هـ)، "سبحان من أرقّ العشاق في الأزل". ولامية فدا حسين اللكهنوي (١٢٧٨هـ - ١٣٥٣هـ)، المسماة «النفحة القدسيّة الزكيّة في الفضائل العلويّة العليّة»: "باسم العليّ عليّ الشان والمثل".

يجتهد البحث في استجلاء تلك القصائد والحكم بينها؛ في محاولة لتعيينها وتحديدها، والوقوف على مكانتها من قصائد "لاميات الأمم": مثل لامية العرب للشنفرى، ولامية العجم للطغرائي، ولامية اليهود للسموأل، ولامية المماليك لابن خلدون، كما يقيم البحث بعض الموازنات الفنية بينها، ومحاولة فض التنازع على هذا اللقب الذي ادعته قصيدتان تصريحاً، وألحق بقصائد أخرى إلماحاً وتاريخاً، وتحقيق لقب اللامية الهندية، انتصاراً لإحداها على بقية القصائد.

الكلمات المفتاحية: لامية الهند، الشعر الهندي بالعربية، الثقافة الهندية، الحضارة الإسلامية، الدراسات العربية

## المقدمة

الشعر العربي على ألسنة أهل الهند لم يبنغ فجره إلا في القرن الثاني الهجري تقريباً، ويرجع الدكتور أشرف همداني ذلك إلى انتشار مجالس العلم وشيوع حلقات الأدب؛ وعلى رأس هؤلاء الشعراء أبو عطاء السندي (همداني، ١٩٩٥، ص ١٠٠)، ومنهم عياض السندي وأبو ضلع السندي من رجال القرنين الثاني والثالث الهجريين، وفي القرن الرابع ذاع صيت كُشاجم، محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) (همداني، ١٩٩٥، ص ١٠١)، ثم جاء من بعدهم مسعود اللاهوري (المتوفى سنة ٤٩١هـ)، وأبو ريحان البيروني (المتوفى سنة ٤٤٤هـ)، وحسن بن محمد الصغاني (٥٧٧ - ٦٥٠هـ)، والأمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي (المتوفى سنة ٧٢٥هـ)، والقاضي عبدالمقتدر التهانيسيري، صاحب لامية الهند (٧٩١هـ) وأحمد بن محمد التهانيسيري (المتوفى سنة ٨٢٠هـ)، ثم غلام علي آزاد البلگرامي (١١١٦ - ١٢٠٠هـ)، وصديق حسن خان القنوجي (١٢٤٨ - ١٣٠٧هـ)، وطبلاً محمد البشاوري (المتوفى سنة ١٣١٠هـ)، ثم عبد العزيز الميمينالراجكوتي (١٨٨٨ - ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، والشيخ أصغر علي الروحي اللاهوري (١٨٧١ - ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، وابنه محمد ضياء الحق الصوفي ابن أصغر على روي (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م - ١٩٨٩م)، وحافظ محمد أفضل فقير (١٩٣٦ - ١٩٩٤م)، ومحمد ناظم الندوي (١٩١٤ -

<sup>١</sup> أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالسلييل، جامعة الأمير سطاتم بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية



٢٠٠٠م)، ومحمد جميل قلندرالباراجناري، وظهور أحمد أظهر (١٩٣٧م -)، ومحمد خورشيد حسن رضوي (١٩٤٢م -)، ومرزا آصف رسول وغيرهم كثير.

وهذا البحث مقارنة وتحليلاً وتحقيقاً يعتمد على الحديث عن لقب واحدة من أهم القصائد المكتوبة بالعربية في شبه القارة الهندية، هي قصيدة: «لامية الهند»، ويحاول فض التنازع على هذا اللقب الذي ادعاه عدد من الشعراء، وتحقيق لقب اللامية الهندية، انتصاراً لإحداها، ويُعد البحث حلقةً من مشروع بحثي أكبر في سياق دراسة «الشعر المكتوب بالعربية في شبه القارة الهندية» (انظر: مرسي؛ ٢٠١٦، ص ٢١٩٩ - ٢٢٩٨).

### اللاميات

نسبة القصائد بحروف رويها لأصحابها أمرٌ معهودٌ في الدراسات الأدبية العربية، فنقول: «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»؛ لامية امرئ القيس، و«لَيْتَ لِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُورٌ»؛ لامية المتنبي؛ واللاميات دونهما في شعر العرب والشعر المكتوب بالعربية كثيرات، غير أن بعضها اشتهر لتجاوزه شاعره في الانتساب إلى عرقه، وبيئته، ومكانه، وقومه؛ فكانت لدى العرب: لامية العرب «أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ»، للشَّنَقَرِيِّ.

فتخطى نسبة القصيدة من صاحبها إلى قومه تشريفٌ للقصيدة وتأكيدٌ على أنها تجاوزت الوعي الشخصي الذاتي الضيق لشاعرها، واستطاعت التعبير عن أمته، وكذلك تدليلٌ على شرف لسان العرب، فاللاميات نماذج رفيعة في الفصاحة والبلاغة العربية، إذ صيغت في قوافٍ متمكنة؛ علمها ينبي البيت في جملته من أوله إلى آخره، ويُعَلَّقُ البيتُ في درج القصيدة البيت، من مُسْتَهْلِهَا إلى الخاتمة، حتى كأنها الكلمة الواحدة، واحتشدت في ثنائياتها الدلالات القوية الحكيمة الأبيّة.

يقول الصفدي في شرحه لامية العجم للطغرائي، المسعى «الغيث المنسجم»: «عنوانها يدل على الفضيلة التي امتاز بها لسان العرب» (الصفدي؛ ١٨٨٧، ج ١، ص ٣)، ثم ناقش قضية النسبة هذه، واعتراض عليه الدماميني (الدماميني؛ مخطوط: لندن ٦٥٧-٦٥٨ وباريس ٣١٢٤ والإسكوريال ثان ٥٦٠، ١، ٣٢٥)، ثم جاء علاء الدين بن أقبس القاهري (ت ٨٦٢هـ) ليرد اعتراض الدماميني، وينتصر للرأي الذي سبق به الصفدي (القاهري؛ مخطوط: باريس ٣١٢٥)، يقول الصفدي: «وأما هذه القصيدة [لامية العجم]، فإنما سميت لامية العجم تشبيهاً لها بلامية العرب؛ لأنها تضاهمها في حكمها وأمثالها» (الصفدي؛ ١٨٨٧، ج ١، ص ١٣)؛ لكن تلك القصائد لم تكن متابعة للقصيدة العربية في وزنها العروضي، وإن اتفقت جُل اللاميات الأخرى في ذلك، فبينما جاءت "لامية العرب" من بحر الطويل، بنى جُل شعراء اللاميات الأخرى قصائدهم على بحر البسيط التام، فعليه وزن لامية العجم ولاميات الهند الثلاث؛ بينما بنى على بحر الخفيفان خلدون لامية المماليك: "سَيِّدِي وَالظَّنُونُ فَيْكَ جَمِيلَةٌ".

## اللاميات الهندية

إذا كانت "لامية العرب" للشَّنْفَرَى، و"لامية العجم" للطُّغْرَائِي و"لامية المماليك" لابن خلدون، و"لامية اليهود" للسموأل؛ وغيرها من القصائد اللاميات المشهورات، التي نسب كل منها إلى صاحبها؛ فإن لامية الهند غير مقطوع بها على التعيين، وفي غير منازعة، إذ سُميت بهذا الاسم ثلاث قصائد لاميات؛ نستجلمها ونحكم بينها:

١- القصيدة الأولى: لامية القاضي الدهلوي (١٧٠١-٧٩١هـ/١٣٨٩م)، منهاج الدين عبدالمقندر بن محمود الكندي، وقد أوردها آزاد البلگرامي، في كتابه «مآثر الكرام»، المعروف بـ«سرو آزاد» (البلگرامي: ١٩١٠، ص ١٨٣)؛ وتُعد أقدم اللاميات الهندية، وأول قصيدة سميت باللامية الهندية، وقد نُظمت في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، بدأها الشاعر بالغزل وبكاء الطلل، على عادة العرب، حيث يقول:

يا سائق الطعن في الأسجار والأصل ... سلم على دار سلمي وأبك ثم سل  
عن الظباء التي من دأها أبدأ ... صيد الأسود بحسن الدل والنجل  
فِدَى فُؤَادِي أَعْرَابِيَّةٌ سَكَنْتُ ... بيتاً من القلب معموراً بلا جَوْل  
بخيلةٌ بوصالِ المُسْتَهَامِ هَـا ... والجُودُ في الخُودِ مثلُ البُخْلِ في الرِّجْلِ  
خيالُها عند من هَيَّوِي زيارَتَها ... أحلى من الأمن عند الخائفِ الوَجِلِ  
(البلگرامي: ٢٠١٥، ص ٧٨)

وهو في بيته «فِدَى فُؤَادِي أَعْرَابِيَّةٌ سَكَنْتُ»، يلاحظ قول المتنبي في مدح المغيث بن علي بن بشر العجلي [من بحر البسيط] (المتنبي: ١٩٨٣، ص ٩٧):

هام الفؤاد بأعرابية سكنت .. بيتاً من القلب لم تَمُدُّ له طُنْباً

فالشاعر يتوسل بمعارضة لامية امرئ القيس، معارضة قلبٍ وعكس، فكانت أشبه بالمناقضة منها إلى المعارضة؛ فبنى قصيدته على أخلاق الدين القويم، ومَعْلَم الإسلام المستقيم، لكنه افتخر بقومه وشجاعتهم وتفانيهم في الذود والعطاء، وفاخر بهم العرب:

طَرَفْتُهَا فَجَاءَهُ وَاللَّيْلُ فِي جَدَلٍ ... والذئبُ في كسلٍ والقومُ في شُغْلِ  
قالت لك الويلُ هَلْأَ خِفْتَ مِنْ أَسَدٍ ... له برائئُ كالعَسَّالَةِ الدَّبْلِ؟  
فقلت إنني مليكٌ صيْدُهُ أُسْدٌ ... وصيْدُ غَيْرِي مِنْ ظَبْيٍ وَمِنْ وَعِلِ  
قالت: فما تبتغي لأمنع؟ قلتُ لها ... كلا، فإني عفيفُ القولِ والعملِ  
وإنني رجلٌ من معشرٍ سَحَبُوا ... ذيلَ التبتلِ والتقوى على زُحَلِ  
لا يَطْمَعُونَ، ولكن كان ديدنُهُمْ ... إعطاء ما ملكوا كالعارضي الهطلِ

وبعد أن ساق جملة من الحكم انصرف إلى مدح رسول صلى الله عليه وسلم، وانصرف معه أسلوبه من تأثره بقصيدة امرئ القيس إلى تشبع بروح ميمية البوصيري «الكواكب الدرية»، يقول القاضي عبدالمقتدر الدهلوي:

محمدٌ خيرُ خلقِ اللهِ قاطبةً ∴ هو الذي جَلَّ عن مثلي وعن مثلي  
له المزايا بلا نُقصٍ ولا شَبَهٍ ∴ له العطايا بلا مَنِي ولا بَدَلِ  
ويتجلى في القصيدة عمق الفكر اللغوي للشاعر، وفيض إحساسه بالعربية، والوقوف على خباياها وثقافته المستقصية أبعاد تعابرها، مثل قوله (البلكرامي؛ ٢٠١٥، ص ٧٨):

ما قال قائلهم يوماً لواحدهم ∴ لو كنتُ من مازن لم تُستبحِ إبلي  
والأصل في عجز البيت أنه صدر بيت من قصيدة في الحماسة قالها قُرَيْطُ بْنُ أُنَيْفٍ من بلعنبر بن تميم. وتطرق الاستمداد الثقافي من المعارف العربية إلى مواضع أخرى:

له الفضائل أجدى من «عصا كسرت» ∴ له الشمائل أحلى من جَنَى العسل  
فَكَسُرُ الْعِصِيِّ عند العرب له فوائد عديدة ذكرها الجاحظ في «البيان والتبيين» (الجاحظ؛ ١٩٩٨، ج ٣، ص ٤٩-٥٠)، ثم يتوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مادحاً:

يا أعظم الناس من حاجٍ ومُعتمرٍ ∴ وأكرم الخلق من خَافٍ ومُنْتَعِلِ  
أتيتنا بكتابٍ جلٍ منفعَةً ∴ وجئتنا بسبيلٍ ناسخٍ السبيلِ  
وبعامة يتجلى الأثر العربي في القصيدة والتأثر بالبيئة والفكر والثقافة وحتى التعبيرات النقلية العربية كالأمثال والمسكوكات اللغوية. ويبدو لي أن الأثر العربي في القصيدة مقصودٌ، وهو يشبه القناع والإشارة، حتى يظفر الشاعر بالفخر لنفسه وقومه، فهو أَعْفُ من امرئ القيس وأمنع من مازن وأرق من المتنبي، ليجعل ذلك مُنَاسِبَةً مُنَاسِبَةً لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي بُعثَ مُتَمِّمًا لمكارم الأخلاقِ وَمَنْعَةً للمظلومِ وناصراً للحقِّ ورحيماً رقيقاً بالضعفاء، يأخذ الضعيف باللين والعتي بالشدة.

٢ - القصيدة الثانية: لامية غلام آزاد البلكرامي (١١١٦هـ - ١٢٠٠هـ)، وهو القول الثاني، إذ يرى أصحابه أن «لامية الهند - قصيدة في اثنين وخمسين بيتاً لمير غلام علي آزاد الحسيني البلكرامي، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم»، أيضاً، والفارق بين القاضي عبدالمقتدر والأمير البلكرامي، أن آزاد صرَّحَ بأن قصيدته سماها «لامية الهند»، بينما سعى مؤرخو الأدب قصيدة القاضي عبدالمقتدر باللامية وصفاً لها لأنه بناها على روي اللام؛ وأُلْفَتُ اللامية قبل ١١٧٦هـ، حيث جاء ذكرها في كتاب «الخزانة العامرة»، المؤلف عام ١١٧٦هـ، قال المؤلف: «إنها في اثنين وخمسين بيتاً»، أوردها آزاد البلكرامي في كتابه «خزانة عامره» (البلكرامي؛ ١٨٥٤، ١/ص ٣١-٣٢).

وقد نهج فيها آزاد منهج العرب في البدء بالغزل؛ لكنه اتخذ لغزله مدخلاً مناسباً لموضوعه حيث حوّل غزله من الافتتان المجرد إلى وازع لتسبيح الخالق فجعل غزله عبادة، فهو وإن تغزل؛ لكن حديثه عن

الله عز وجل، وهو من تصرفات آزاد المميّزة، الدالة على عمق مهارته في فنه، قال في مطلع لاميته، [بحر البسيط]:

سبحان من أرقّ العشاق في الأزل ∴ وزان ناظرة الغزلان بالكحل  
هو الذي جعل الأكباد راضية ∴ بأسهم من ذوات الأعين النجل

ويعد الشاعر غزله من قبيل المجاز، ليجعل من تعبيره هذا تخلصاً من الغزل للدخول إلى موضوعه في تسبيح الله ومدح رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال:

إن المجاز وأيم الله قنطرة ∴ طوبى لمن جاز محفوظاً عن الزلزل  
فانظر إلى من تجلى في مظاهره ∴ سبحانه وتعالى منتهى الأمل

ويدخل إلى ساح مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فنستشعر يد آزاد الصنّاع، وإن لم يفلت في صدر بيته الأول من اشتتام عبير البوصيري، حيث قال آزاد:

محمد زينة الأفلاك عنصُرُهُ ∴ ووثنِي أُرْدِيَةَ الأسحار والأصلي

ومن مميزات لامية آزاد البلگرامي؛ ميله إلى استخدام القياس العقلي، والمقارنات العقلية، وهو ما أخرج قصيدته من غنائية المدح إلى تثبيت فضل محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعقل إلى جانب الوجدان، فقال بعقله (البلگرامي: ٢٠١٥، ص ٨٥):

لا غرو إن أحر الخلاق بعثته ∴ هو المقدم في المعنى على الرسل  
فمبدل منه في إنشاء توطئة ∴ وإنما نظر المُنْشِي إلى البديل  
لو قدّم الله في يونان حكمته ∴ لما تكلم أفلاطون بالمثل

٣- القصيدة الثالثة: لامية فدا حسين اللكهنوي (١٢٧٨هـ - ١٣٥٣هـ)، وهو قول طائفة الشيعة، بأن "لامية الهند"، هي قصيدة نظمها الشيخ محمد بن الحسن بن عيش القرشي التبيي العدوي الأموي اليماني الدرشن خاني، ويعرف بالشيخ «فدا حسين» الهندي، الشهير بـ «القرشي، الهندي، اللكهنوي». ولد في لكهنؤ في الهند، وكان يجيد العربية والفارسية والإنجليزية، ويكتب بها، ولاميته في مدح أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه، ويُقال لها «القصيدة العلوية»، وتسمى «النفحة القدسية الزكية في الفضائل العلوية العلية»، وتقع في ١٤١١ بيتاً، ويُقال لها «لامية الهند»، كما تدعي تصانيف الشيعة، وقد ذكرها «أفا بزرگ الطهراني» في مصنفه «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (الطهراني: ١٩٨٣، ج ١٧، ص ١٢٠، ج ١٨، ص ٢٨٣)، ومطلعها [بحر البسيط] (الجلالي: ١٩٩٦، ص ٥١):

باسم العليّ عليّ الشان والمثل ∴ عالي الصفات عليّ الذات ربّ علي  
بدأت أسبك شعراً في الوصي وما ∴ نظمت من قبل أشعاراً ولم أقل  
فجاء لامية من قبلها سبقت ∴ لاميتان هما كالنور للمقل

لامية العجم يسبقها ∴ لامية العرب العرباء في النبيل  
وتلك (لامية الهند) التي رجحت ∴ كالشمس - كليهما - فاقت على زحل

فالأصل كما يتضح لنا أنها «اللامية العلوية»، وإن أثبت الشاعر في أحد أبياتها تسميته لها بلامية الهند، فهذا فيه تغافل عن اللامية الأصلية لامية عبدالمقتدر الكندي، ولامية آزاد البلكرامي، كما أن الشاعر يُشير في قصيدته إلى أن لاميته أول ما قال من الشعر، وهذا يُثبت وضع القصيدة وصناعتها، وربما لُقِّقها إلى الشيخ فدا حسين؛ لطولها وضبطها وتمرسها بالنظم، والله أعلم.

أما وقد أسقطنا في تحقيقنا لامية «سراج الدين فدا حسين»؛ لأنها لُقِّقَت بلامية الهند مزاحمة وادعاءً؛ فإننا نخلص إلى أن «لامية الهند» الحقّة هي لامية القاضي عبدالمقتدر، وصفاً، ثم لِحَقَّتْ بها لامية غلام آزاد البلكرامي لشهرته، وجودة شعره وذيوع فنه، ولأنه سَمَّى قصيدته تصريحاً بـ «لامية الهند»، وهي أسبق زمنياً من لامية فدا حسين، ومن هنا نرى أن لامية الهند الملقبة بهذا الاسم، هي قصيدة آزاد البلكرامي، أما قصيدة عبدالمقتدر الكندي، فهي لامية من عيون الشعر الهندي المكتوب بالعربية. ويُعد آزاد البلكرامي من أشهر شعراء العربية وأميرهم في أرض الهند، وهو السيد غلام علي آزاد بن السيد نوح الحسيني النسب الواسطي الأصل البلكرامي المولد والمنشأ، الملقب بحسان الهند، لكثرة مدائحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وتُعد لاميته من أرفع نماذج شعر العربية في الهند.

#### الخاتمة

وأخيراً: ستظل اللغة العربية هي المشترك العقدي بين المسلمين في كل أصقاع العالم؛ لذلك يُعدُّ أثرها مقياساً لقوة العقيدة في كل الثقافات التي اعتنق أهلها الإسلام، وقد ظهر الأثر اللغوي للعربية بوضوح شديد في الثقافة الهندية على نحو أكبر من الثقافات الإسلامية الأخرى، وتدعوا باحثينا لتكثيف جهودهم في بحث الأدب الإسلامي الهندي.

وقد اجتهد هذا البحث في الفصل بين من تنازع لقب اللامية ونسبها، فرأى البحث بقرائنه أن "لامية الهند"، من بين جملة القصائد التي لُقبت بهذا اللقب، إنما هي قصيدة آزاد البلكرامي، فهي باللقب أحق؛ لشهرتها وشهرته، وشاعريته وحسن تصاريف القول في قصيدته، ثم لأنه هو نفسه سماها "لامية الهند".

#### المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

- البلكرامي: غلام علي آزاد. (٢٠١٥)، سبعة المرجان في آثار هندستان، ط١، (تحقيق محمد سعيد الطريحي)، دار الرافدين للنشر بيروت / لبنان، بغداد / العراق.
- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٤١٨/١٩٩٨)، البيان والتبيين، كتاب العصا، (تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون)، ط٧- مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- لجلالي: محمد رضا الحسيني. (١٤١٧/١٩٩٦)، ثبت الأسانيد العوالي، ط١- مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، قم، إيران.
- الصفدي: الشيخ صلاح الدين. (١٨٨٧م=١٣٠٥هـ)، الغيث المنسجم في شرح لامية العجم، ط١ - المطبعة الأثرية المصرية، القاهرة، مصر.
- الطهراني: آقا بزرك. (١٤٠٣/١٩٨٣)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣- دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

- المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي. (١٤٠٣-١٩٨٣) ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- مرسي: علاء الدين رمضان. (٢٠١٦) الشعر المكتوب بالعربية في شبه القارة الهندية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم – جامعة المنيا، العدد الرابع والثلاثون، يونيو ٢٠١٦، المجلد الرابع، ص. ص: ٢١٩٩ – ٢٢٩٨.
- همداني، حامد أشرف. (١٩٩٥) الشعر العربي في باكستان بين الأصالة والتجديد، مجلة القسم العربي، العدد الأول، لاهور باكستان، جامعة البنجاب، إقليم البنجاب، باكستان

## ثانياً: المخطوطات العربية

- الدمامي: بدر الدين محمد بن أبي بكر. (مخطوط)، «نزول الغيث على الغيث» في نقد شرح «الصفدي»، نُئِدن ٦٥٨-٦٥٧ وباريس ٣١٢٤ والإسكوريال ثان ٥٦٠، ١، ٣٢٥.
- القاهري: علاء الدين بن أقبس. (مخطوط) تحكيم العقول بأقول البدر بالزول، مكتبة باريس، باريس ٣١٢٥.

## ثالثاً: المراجع الأجنبية (بالأردية)

- البلگرامي: غلام علي آزاد. (١٢٧١/١٨٥٤) خزانه عامره، در مطبع مُنشى نول كشور واقع كان بور به طبع مُزَيْن كرديد، بمبي، ماهاراشترا، الهند.
- البلگرامي: غلام علي آزاد. (١٩١٠/١٣٢٨)، مآثر الكرام، موسوم به «سرو آزاد»، (بسعى واهتمام أحقر الأنام عبد الله خان)، از كتب خانه أصفيه حيدر آباد دكن شايع كرديد، در مطبع مفيد عام أكره باهتمام محمد عليخان صوفي مطبوع شد، حيدر آباد، الهند.

## المستوى الصوتي في كتب معاني القرآن

الدكتور/ محمد بن سالم بن خلفان المسلمي<sup>١</sup>

## الملخص

عني القدامى بالنص القرآني، من حيث معانيه وإعجازه وإعرابه وتفسيره. وهي ليست كتب تفسير وحسب؛ وإنما مجرد جزء منها اهتم بالتفسير وتفردته بالتعبير.

## مصطلح معاني القرآن

إن مصطلح معاني القرآن ذكره أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) بقوله: "فقصدت في هذا الكتاب تفسير المعاني، والغريب، وأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة، وأذكر من قول الجلة من العلماء باللغة، وأهل النظر ما حضرنه، وأبين من تصريف الكلمة واشتقاقها، إن علمت ذلك وآتي من القراءات، بما يحتاج إلى تفسير معناه، وما أحتاج إليه المعنى من الإعراب، وبما احتج به العلماء من مسائل سأل عنها المجادلون، وأبين ما فيه حذف، أو اختصار، أو إطالة لإفهامه، وما كان فيه تقديم أو تأخير، وأشرح ذلك حتى يتبينه المعلم، وينتفع به كما ينتفع العالم بتوفيق الله وتسديده"<sup>٢</sup>. وهي المؤلفات التي وضعها مؤلفوها لبيان معاني آيات الكتاب الكريم وبيان مشكلاتها اللغوية والنحوية والصرفية، وشرح غوامض ألفاظها وغريب مفرداتها، وإزالة اللبس في تعارضها ومتشابهها، فهي آخذة من اللغة بطرف ومن التفسير وبيان الأحكام بطرف، وهي تأخذ بمبدأ الانتخاب من الآيات القرآنية، فيما تريد أن تبحث مسألة فيه موضوعاً أو تناقش مسألة، وهذه هي الخصيصة التي تختلف فيها عن كتب التفسير التي تستقصى آيات القرآن بيانا وشرحاً<sup>٣</sup>. ونجد أن العلماء يستعملون في تفسير الآيات القرآنية هذه العبارات كأبي عبيدة (ت٢١٠هـ): مجازه كذا وتفسيره كذا، ومعناه كذا، وغريبه، وتقديره، وتأويله، على أن معانيها متقاربة وإن استخدم كلمة المجاز لأنها تعبر عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته<sup>٤</sup>. وخلاصة القول في كتب (معاني القرآن) أنها كتب وضعت لخدمة القرآن الكريم فعالجت نصح المقدس من جوانب مختلفة، إذ نجد فيها المادة اللغوية والتشريعية والتفسيرية. وذلك بالنظر في آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، وأشعار العرب للوصول إلى المعنى المراد.

و(معاني القرآن) اصطلاح قديم<sup>٥</sup> ظهر في كتب التفسير التي تعنى بالجانب اللغوي في القرآن الكريم. وما نقله الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) عن معاني القرآن لأبي عبيدة<sup>٦</sup>، وأنه احتذى فيه من سبقه: "وكذلك كتابه في معاني القرآن، وذلك أن أول من صنف في ذلك أي معاني القرآن أبو عبيدة معمر بن

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، جامعة الشرقية، سلطنة عمان

<sup>٢</sup> معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق/ محمد علي الصابوني، مطبعة جامعة أم القرى/ مكة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٤٣-٤٢/١.

<sup>٣</sup> ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة/ بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٠٣.

<sup>٤</sup> ينظر: مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ب ط، ١٩٨٨، ١٩-١٨/١.

<sup>٥</sup> ينظر: الفهرست: ابن النديم (ت٣٨٠هـ)، ص٣٧.

<sup>٦</sup> تاريخ مدينة السلام: الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، ٣٤٤/١٥، وينظر: تاريخ الإسلام: الذهبي (ت٧٨٤هـ)، ٦٥٨/٥.

المثنى، ثم قطرب بن المستنير، ثم الأخفش، وصنف من الكوفيين الكسائي ثم الفراء<sup>١</sup>، وأن تاريخ تأليف أبي عبيدة لهذا الكتاب سنة (١٨٨هـ)<sup>٢</sup>، ونُسبت أسبقية التأليف في (معاني القرآن) لقطرب<sup>٣</sup>؛ وإن كان الأصح أنه ألفه بعد شيخه أبي عبيدة، وذكر الجاحظ أن قطرباً أهدى الكتاب للخليفة العباسي محمد الأمين، وأخذ عنه جائزة، وخلافته امتدت من سنة (١٩٣هـ إلى ١٩٨هـ)<sup>٤</sup>، وقد وضع بعض الباحثين لهذا النوع تعريفاً يضببطه فقال: "معاني القرآن": هو البيان اللغوي لألفاظ وأساليب العربية الواردة في القرآن. ويدخل في علم (معاني القرآن) علم غريب القرآن وعلم مشكل إعرابه، وعلم الأساليب العربية المستخدمة في القرآن. وقال في موضع آخر: المعاني عندهم: المنحنى اللغوي للتفسير، وذلك ببيان غريب الألفاظ أو تقدير المحذوف والمضمر، أو تخريج مشكل الخطاب القرآني على الأسلوب العربي، أو تحليل تركيب الجملة لبيان المعنى، وغير ذلك من المباحث اللغوية"<sup>٥</sup>.

أما المستوى الصوتي فإن اللغويون العرب تناولوه بطريقة مختلطة مع غيره من فروع اللغة العربية، فلم يعالج مستقلاً، فالنحاة خصصوا بعض الأبواب في كتبهم لهذه الدراسة الصوتية، وإنها كانت تمهيداً لغيرها من المقاصد، كالحديث عن الإدغام أو الإعلال والإبدال، فهذا سيبويه يعالج الإدغام في نهاية الكتاب، ومن قبلها عالج الأصوات، المستحسنة وغير المستحسنة، ونجد المبرد يتناول الإدغام في الجزء الأول من المقتضب، ومهد له بدراسة الأصوات ومخارجها، وكذلك الزجاج في الجمل تحدث عن الإدغام وسبقه بالأفكار الصوتية، والزمخشري في المفصل على المنهج نفسه<sup>(٦)</sup>.

وتناول أصحاب المعاجم بعض المشكلات الصوتية سواء في مقدمات معاجمهم أو في ثنائها، وقد رتب الخليل كتابه العين ترتيباً صوتياً، بنظام التقلبات، ومثله: الجهمرة لابن دريد، فنجد عند الخليل الترتيب الصوتي للحروف، ومخارجها، والتفصيل في الحروف وأصواتها، والجهمرة تناولت نفس المنهج وبطريقة أكثر تفصيلاً<sup>(٧)</sup>، وتحدث علماء التجويد والقراءات القرآنية، فهي تعتمد على جودة الصوت وتحسينه، وتناولت كتب إعجاز القرآن وعلوم البلاغة الأصوات وما يتعلق بتنافر الأصوات وتآلفها، مثل كتاب النكت في أعجاز القرآن للرماني، ثم جاء ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة والباقلاني في إعجاز

<sup>١</sup> إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي(ت٦٢٤هـ)، ١٥-١٤/٣. وينظر: معجم الأدباء: ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)، ٢٧٠/٦/٦. ومقدمة معاني القرآن: الفراء(ت٢٠٧هـ)، ص١٢.

<sup>٢</sup> ينظر: نزهة الألباء: الأثري(ت٥٧٧هـ)، ص٨٦. ومعجم الأدباء: ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)، ٢٧٠/٦/٦. ذكر أن أبا عبيدة قدم بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة، يطلب من الفضل بن الربيع، ثم ذكر أنه شرع في تأليفه كتاب المجاز على إثر ذلك، فمنه أخذ أنه ألفه في هذه السنة (١٨٨هـ).

<sup>٣</sup> ينظر: طبقات المفسرين: الداودي(ت٩٤٥هـ)، ٢٥٦/٢.

<sup>٤</sup> البيان والتبيين: الجاحظ، ٢٧٩/١. وينظر: العقد الفريد: ابن عبدربه(ت٣٢٨هـ)، ٣٢٣/٢.

<sup>٥</sup> معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: أبو علي محمد بن المستنير قطرب(ت٢١٤هـ)، دراسة وتحقيق/ محمد لقرنيز، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، ص٩٣-٩٤.

<sup>(٦)</sup> ينظر: البحث اللغوي عن العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: أحمد مختار عمر، ص٩٣-٩٤.

<sup>(٧)</sup> البحث اللغوي عن العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: أحمد مختار عمر، ص٩٣-٩٤.



القرآن، والجاحظ في البيان والتبيين<sup>(١)</sup>، ويعد ابن جني في سر صناعة الإعراب أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل، وبأنه علم مستقل بذاته، إذ تناول عدد الحروف وترتيبها ومخارجها، وصفات الأصوات، وما يصيب الكلمة من تغيير بسبب الإعلال والإبدال والإدغام والنقل والحذف، وغيرها، إلى أن جاء السيد الرئيس ابن سينا الفيلسوف المشهور في رسالته أسباب حدوث الحروف فقد كانت دراسة صوتية بحثه<sup>٣</sup>.

وتعد بحوث علماء العرب القدامى في الأصوات اللغوية جليلة القدر، من زمنهم إلى الزمن الحديث، وذلك بشهادة عالمان غربيان كبيران أمثال براجشتر الألمانى بقوله: (لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند.. والعرب)، وقول جون روبرت فيرث (John Rupert Firth) الإنجليزي: (إن علم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية)<sup>(٤)</sup>.

ومن الظواهر الصوتية ما يلي:

#### ١- الإدغام:

عرفه الخليل (ت ١٧٠هـ): "والدغمة: اسم من إدغامك حرفاً في حرف"<sup>٥</sup>. وجاء تعريف ابن يعيش أكثر دقة وتفصيلاً فقال: "أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد، ترتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة، فيصير الحرف الأول كالمستهلك على حقيقة التداخل والإدغام"<sup>٦</sup>.

ذكر الكسائي (ت ١٨٩هـ) الإدغام في قوله تعالى: (يكاد البرق يخطف أبصارهم) البقرة/٢٠، والأصل عنده (يختطف)، ثم أدغم التاء في الطاء فالتقى ساكنان، فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين<sup>٧</sup>.  
وأما قطرب (ت ٢١٤هـ) فقال: "خَطَفَ، يَخِطِفُ، خَطْفًا، وهو يَخِطِفُ، مثل قراءة الحسن؛ كأنه أدغم التاء في الطاء"<sup>٨</sup>. وأضاف عما بيّنه الكسائي فقال: "وقال بعضهم: يَخِطِفُ فكسر الياء معها؛ كأنه جعلها معتلةً لاعتلال ما بعدها؛ كما قالوا، يَجَلُّ، وَيَجِجُّ، فكسروا؛ وقال بعضهم: يَخِطِفُ ففتح الخاء

(١) ينظر: نفسه، ص ٩٩.

٢ ينظر: البحث اللغوي عن العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: أحمد مختار عمر، ص ٩٣-٩٥.

٣ ينظر: نفسه، ص ١٠١.

٤ ينظر: نفسه، ص ١١٤.

٥ كتاب العين مرتباً على حروف المعجم: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، مادة (دغم)، تحقيق/ عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٣٢/٢. ينظر: الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق/ محمد علي النجار، الكتبة العلمية/ بيروت، ط ٢، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، ١٣٩/٢. والممتع في التصريف: ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، ١/١٩٥.

٦ شرح المفصل للزمخشري: ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق/ اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط ١، سنة ٢٠٠١م، ٥١٢/٥. وينظر: معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق التجارية، دم، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٦٢.

٧ معاني القرآن: الكسائي (ت ١٨٩هـ)، ص ٦٤.

٨ معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: أبو علي محمد بن المستنير قطرب (ت ٢١٤هـ)، ص ٢٩٢.

وكسر الطاء، كأنه رمى بحركة التاء التي أدغمها في الطاء، على الخاء، وقالوا في اِخْتَطَفَ: خَطَفَ، فرمى بألف الوصل، لما تحركت الخاء بحركة التاء المدغمة في الطاء؛ وقال بعضهم أيضا: خَطَفَ فكسر الخاء لسكون الطاء، ولم يلق عليها حركة<sup>١</sup>.

وننقل عنده الإدغام في موضع آخر كما في قوله تعالى: (ومن يرتدد منكم عن دينه) البقرة/٢١٧، قال قطرب: "العرب تقول في هذا المضاعف، إذا انضم ما قبله مثل: رُدَّ ومُدَّ، بثلاث لغات: بعضهم يتبع الضمة، لأن الأصل الذي أدغمه الضم، إذا قالوا: أُرْدُدُ، أَمْرُؤُ. وبعضهم يفتح فيقول: رُدَّ يا هذا، مُرَّ إليه، لما سَكَنَ الأول حُرْكَ لالتقاء الساكنين بفتح، كما قال: أين وكيف؛ لأنها أخف الحركات. ومن كسر فقال: رُدَّ يا هذا؛ كسر على مثل: إضرب الرجل، وخذ المال؛ لما تحرك لالتقاء الساكنين. فإذا كان ما قبل الآخر مفتوحا أو مكسورا كانت فيه لغتان: الفتح والكسر، وذلك مثل عضَّ وشمَّ ومسَّ، وفي المكسور: فَرَّ وهَرَّ، ولم يحبَّ يا هذا؛ وإن شئت: عضَّ وفرَّ وشمَّ، ولم يحبَّ يا هذا، فتنبغ الكسرة الكسرة، كما فعلت في الضمة، ونحرك لالتقاء الساكنين بكسر فيمن قال: مُرَّ يا هذا<sup>٢</sup>. وجمع قطرب بقية مواضع الادغام في الآيات: (قالوا أظننا) النمل/٤٧، و(حتى إذا أداركوا) الأعراف/٣٨، و(ارتبنت) يونس/٢٤، و(فأدارأتم فيها) البقرة/٧٢، و(في سبيل الله أتناقلتم) التوبة/٣٨، يقول: "فالقول في هذا عندنا كله على الاستئناف: (أظننا)، (أداركوا)، (ارتبنت)، (أدارأتم)؛ يريد: تطيرنا، وتداركوا، وتربنت، وثناقلتم؛ فأدغم التاء في الطاء والدال، فسكَّن الحرف الأول، ولا يكون الأول ساكنا؛ فأدخل ألف الوصل ليسكَّن الحرف بعدها، وليكون تحرك الابتداء عليها، فإذا وصل أذهبها؛ وهذا الذي نستحسن"<sup>٣</sup>. وفسر ادغام التاء في التاء في آيات أخرى كما في قوله تعالى: (لعلكم تتفكرون) البقرة/٢١٩.

وقد وافق الفراء الكسائيا لإدغام فيها بقوله: " فإنه نقل إعراب التاء المدغمة إلى الخاء إذا كانت منجزمة، وأما كسر الخاء فإنه طلب كسرة الألف التي في اختطف والاختطاف؛ وقد قال فيه بعض النحويين: إنما كسرت الخاء لأنها سكنت وأسكنت التاء بعدها فالتقى ساكنان فخفضت الأول، كما قال: اضرب الرجل، فخفضت الباء لاستقبالهم اللام، وليس الذي قالوا بشيء؛ لأن ذلك لو كان كما قالوا لقاتل العرب في يَمُدُّ: يَمِدُّ؛ لأن الميم كانت ساكنة وسكنت الأولى من الدالين، ولقالوا في يَعْضُّ: يَعْضُّ. وأما من خفض الباء والحاء فإنه أيضا من طلبه كسرة الألف؛ لأنها كانت في ابتداء مكسورة. وأما من جمع بين الساكنين فإنه كمن بنى على التبيان إلا أنه إدغام خفي<sup>٤</sup>. ولم أقف على مواضع للإدغام عند أبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) في مجاز القرآن.

<sup>١</sup> معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: أبو علي محمد بن المستنير قطرب (ت ٢١٤هـ)، ص ٢٩٢.

<sup>٢</sup> نفسها، ص ٣٥٥-٣٥٦.

<sup>٣</sup> نفسها، ص ٢٢٩.

<sup>٤</sup> نفسها، ص ٢٣٠.

<sup>٥</sup> معاني القرآن: الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ١/١٨.

ووقد وافقهما الأخفش (ت٢١٥هـ) القول في إدغام التاء في الطاء بقوله: "وقال بعضهم: (يخطفُ)؛ وهو قول يونس من: (يختطف)، فأدغم التاء في الطاء، لأن مخرجهما قريب من مخرج الطاء"<sup>١</sup>. ومثله في قوله تعالى: (فلا جناح عليه أن يطوّف بهما) البقرة/١٥٨.

وأما الإدغام عند ثعلب (ت٢٩١هـ) في قوله تعالى: (لا تضارّ والدها بولدها ولا مولود له بولده) فقال: "قال أحمد بن يحيى يجوز أن يكون تقدير (لا تضارّ والدها) لا تضارر ثم أدغم"<sup>٢</sup>. وهنا إدغام الراء في الراء أو المتماثلين. إذ خالف الكسائي وأخذ برأي الفراء.

وتناول الزجاج (ت٣١١هـ) الادغام في الآية: (يخطف أبصارهم) البقرة/٢٠، فقال: "فيه لغتان: يُقال خَطَفَ يَخْطِفُ، وخطَفَ يَخْطِفُ، واللغة العالية علمها القراءة (خَطَفَ يَخْطِفُ). وهذا الحرف يروى عن العرب والقراء، وفيه لغات تروى: عن الحسن (يَخْطِفُ أبصارهم) بفتح الياء والخاء وكسر الطاء، ويروى أيضا (يَخْطِفُ) بكسر الياء والخاء والطاء، ويروى أيضا لغة أخرى ليست تسوغ في اللفظ لصعوبتها، وعي إسكان الخاء والطاء. وقد روى سيبويه مثل هذا. رده عليه أصحابه وزعموا أنه غير سائغ في اللفظ وأن الشعر لا يجمع في حشوه بين ساكنين، قال:

كأنها بعد كلال الزاجر      وَمَسَّجِهَ مَرُّ عُقَابٍ كاسِرٍ

يبدل من الهاء حاء ويدغم الحاء الأولى في الثانية، والسين ساكنة فيجمع بين ساكنين، فأما بعد يَخْطِفُ فالجيد يَخْطِفُ ويخطفُ فمن قال (يَخْطِفُ) فالأصل يَخْتَطِفُ فأدغمت التاء في الطاء وألقيت على الحاء فتحة التاء، ومن قال (يَخْطِفُ) كسر الخاء لسكونها وسكون الطاء، وزعم بعض النحويين أن الكسر لالتقاء الساكنين ههنا خطأ وأنه يلزم من قال هذا أن يقول يَعْضُ يَعْضُ، وفي يَمُدُّ يَمُدُّ، وهذا خلط غير لازم، لأنه لو كسرهما ههنا لالتبس ما أصله يفعل ويفعل بما أصله يفعل، ويخطف ليس له أصل غير هذا. ولا يكون مرة على يفتعل ومرة على يفتعل. فُكْسِرَ لالتقاء الساكنين في موضع غير ملبس، وامتنع في الملبس من الكسر لالتقاء الساكنين، وألزم حركة الحرف الذي أدغمته لتدل الحركة عليه"<sup>٣</sup>. ونجده فسر إدغام (لبثت) في قوله تعالى: (كم لبثت) البقرة/٢٥٩، فقال: "تقرأ بتبيين التاء، وإدغام التاء في التاء، وإنما أدغمت لقرب المخرجين"<sup>٤</sup>. ومن مواضع الادغام التي فسرها الزجاج (فنعمما هي) البقرة/٢٧١. وقوله تعالى: (حتى إذا اذكركوا فيها جميعا) الأعراف/٣٨.

<sup>١</sup> معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق/ هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي للنشر/ القاهرة، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ٢٠/١.

<sup>٢</sup> ينظر: نفسه، ١٦٤/١.

<sup>٣</sup> معاني القرآن: ثعلب (ت٢٩١هـ)، ص ٤٠.

<sup>٤</sup> معاني القرآن واعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب/ بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٩٦-٩٥/١.

<sup>٥</sup> معاني القرآن واعرابه: الزجاج (ت٣١١هـ)، ٣٤٣-٣٤٢/١.

<sup>٦</sup> ينظر: نفسه، ٢٥٤/١.

<sup>٧</sup> ينظر: نفسه، ٣٣٦/٢.

وأما ابن كيسان فقال في إدغام (أَدْرَكُوا) في قوله تعالى: (حتى إذا أَدْرَكُوا فيها جميعاً) الأعراف/٣٨، "الأصل: تداركوا، فأدغمت التاء في الدال، فلما أدغمت فيها وجب إسكانها، فأدخلت ألف الوصل فأشبهت ألف (أَفْتَعَلَ)". وأشار سيبويه في باب الإدغام إلى هذا النوع من الإدغام بقوله: "فإن وقع حرف مع ما هو من مخرجه أو قريب من مخرجه مبتدأ، أدغم وألحقوا الألف الخفيفة؛ لأنهم لا يستطيعون أن يبتدئوا بساكن، وذلك قولهم في فَعَلَ من تَطَوَّعَ: أَطَوَّعَ، ومن تَدَكَّرَ: أَدَكَّرَ، دعاهم إلى إدغامه أنهما في حرف، وقد كان يقع الإدغام فيهما في الانفصال".<sup>١</sup> لم يتطرق أبو جعفر النحاس إلى الإدغام في هذه الآية، وإن كنت أجدّه ينقل عن الكسائي الفراء وابن كيسان.

## ٢- الإعلال:

و"العله: المرض، وصاحبها معتل"<sup>٢</sup>. والاعلال لغة: "مصدر أُعِلَّ أي أُصِيب بالعله"<sup>٣</sup>، وفي الاصطلاح: "تغيير حرف العلة بالقلب أو الإسكان أو الحذف للتخفيف"<sup>٤</sup>. ولفظ الاعلال في اصطلاح بعضهم مختص بتغيير حروف العلة: أي الألف والواو والياء<sup>٥</sup>. ويسمى تعليلاً واعتلالاً<sup>٦</sup>. ويرى بعض المحدثين أن الإعلال: "هو وضع حرف من أحرف العلة، ومعها الهمزة مكان آخر"<sup>٧</sup>. ومما يستشهد به ذكر الاعلال عند سيبويه قوله: "إن جاء اسم نحو الناب لا تدري أمن الياء أم الواو؟ فاحمله على الواو حتى يتبين لك أنها من الياء؛ لأنها مبدلة عن الواو أكثر، فاحمله على الأكثر حتى يتبين لك.. ومن العرب من يقول في ناب: نويب، فيجيء بالواو؛ لأن هذه الألف مبدلة من الواو أكثر وهو غلط منهم"<sup>٨</sup>.

زعم الكسائي في قوله تعالى: (ولا تَوَتُوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) النساء/٥، "أن قياماً مصدر أي ولا تَوَتُوا السفهاء أموالكم التي تصلح بها أموركم فتقومون بها قياماً. قال الكسائي: قياماً

<sup>١</sup> معاني القرآن وعرابه: أبو الحسن بن كيسان النحوي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق/ محمد محمود محمد صبري الجبة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع/ القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م، ص٣٨٩.

<sup>٢</sup> الكتاب: سيبويه، ٤/٤٧٥.

<sup>٣</sup> كتاب العين: الخليل (ت١٧٥هـ)، مادة (علل)، ٣/٢٢٠.

<sup>٤</sup> مختار الصحاح: مادة (علل)، ص٤٢٦، ٤٥١.

<sup>٥</sup> الكليات: أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، ص٦١. وشرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (ت٦٨٦هـ) مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) صاحب خزنة الأدب، تحقيق/ محمد نور الحسن ومحمد الزقراق ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٣/٦٦. وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، تحقيق/ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ٤/١٠٤٤.

<sup>٦</sup> ينظر: الكليات: أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، ص٦١. وشرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (ت٦٨٦هـ)، ٣/٦٦. وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، ٤/١٠٤٤.

<sup>٧</sup> ينظر: الكليات: أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، ص٦١. وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، ٤/١٠٤٤. والاعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، رسالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية للحصول على درجة دكتوراة في الفلسفة في اللغة العربية تخصص النحو والصرف غير مطبوعة: أنجب غلام نبي بن غلام محمد، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٦٢.

<sup>٨</sup> معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان/بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٥١. وينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٨٩.

<sup>٩</sup> الكتاب: سيبويه (ت١٧٥هـ)، ٢/١٢٧.

وقواما وقيما ثلاث لغات والمعنى واح، وهو ما يقيم شأن الناس ويعيشهم، وقال الكسائي: قواما بفتح القاف وكسرهما لغتان ومعناها واحد<sup>١</sup>. وفي الآية: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) الأعراف/٢٠١. "قال الكسائي في قراءة طيف هو مخفف من طَيْف. وحدّث الأصمعي قال: قلت للكسائي (طيف من الشيطان) ما هو من الفعل، قال فيعمل، ولكنه حذف كما قال مَيْت ومَيْت، وهَيْن وهَيْن"<sup>٢</sup>.

وفسر قطرب(ت٢١٤هـ) الإعلال في كلمة (القيوم) فقال: "وأما قوله جلّ ثناؤه (الحيّ القيوم) البقرة/٢٥٥، فهو القِيَم، والقيوم بعينه، والقيام على قراءة عمر (الحيّ القيّام)؛ فَيَعَالُ من قُمْتُ؛ كأنه الأصل: قِيَوْمًا، فأدغموا وكذلك القِيَوْمُ؛ فَيَعُولُ من قُمْتُ؛ فالأصل قِيُومًا، فأدغم مثل: ما بها من دِيَارًا، فَيَعَالُ من دار يدور، فأدغم؛ وقلب إلى الياء لخفة الياء وثقل الواو"<sup>٣</sup>. وذكر قطرب(ت٢٠٦هـ) الإعلال أيضا في قوله تعالى: (دينا قيما) الأنعام/١٦١، فقال: "فَعِيْلًا من قَامَ يَقُومُ، مثل: سَيِّدٍ من ساد يسود، ومَيْتٍ من مات يموت. وأما (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة/٢٥٥، فإنهم يقولون في الفعل: وَسِنٌ يُوَسِّنُ وَسَنًا، وكَرِيًّا كَرًا يا هذا، وربَّ يَرْوِبُ؛ إذا تَبَلَّغ فيه التُّعَاسُ"<sup>٤</sup>.

وتبع الفراء(ت٢٠٧هـ) الكسائي(ت١٨٩هـ) في الآية: (التي جعل الله لكم قياما) النساء/٥، بقوله: "يقول التي بها تقومون: قواما وقياما، وقرأ نافع قيما والمعنى والله أعلم واحد"<sup>٥</sup>. ومن هنا نجد أن قيما وقواما بمعنى قياما عن الكسائي والفراء، وانتصب عندهما على المصدر. وتناول الفراء الإعلال في مواضع كثيرة منها: (القيوم) في قوله تعالى: (الله لا اله الا هو الحي القيوم) آل عمران/٦٢.

وفي قوله تعالى: (التي جعل الله لكم قياما) النساء/٥، قال أبو عبيدة(ت٢١٠هـ) "مصدر يقيمكم، ويجيء في الكلام في معنى قوام فيكسر، وإنما هو من الذي يقيمك، وإنما أذهبوا الواو لكسرة القاف، وتركها بعضهم، كما قالوا: ضياء الناس وضياء الناس"<sup>٦</sup>.

وفي إعلال (سِنَّةً) في قوله تعالى: (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة/٢٥٥، فقال الأخفش(ت٢١٥هـ): "تقول: وَسِنٌ يُوَسِّنُ سِنَّةً وَوَسَنًا"<sup>٧</sup>. وكذلك فسر الإعلال في الآية: (الله لا اله الا هو الحي القيوم) آل عمران/٢، واتفق فيه مع تحليل قطرب والفراء<sup>٨</sup>. وأضاف في إعلال كلمة (طائف)، في قوله تعالى: (إذا

<sup>١</sup> معاني القرآن: الكسائي(ت١٨٩هـ)، ص ١١١.

<sup>٢</sup> ينظر: نفسه، ص ١٥١.

<sup>٣</sup> معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: أبو علي محمد بن المستنير قطرب(ت٢١٤هـ)، ص ٣٧٣.

<sup>٤</sup> نفسها، ص ٣٧٣.

<sup>٥</sup> معاني القرآن: الفراء(ت٢٠٧هـ)، ٢٥٦/١.

<sup>٦</sup> ينظر: معاني القرآن: الفراء(ت٢٠٧هـ)، ١٩٠/١.

<sup>٧</sup> مجاز القرآن: أبو عبيدة(ت٢١٠هـ)، ١١٧/١.

<sup>٨</sup> معاني القرآن: الأخفش الأوسط(ت٢١٥هـ): ١٩٥/١.

<sup>٩</sup> ينظر: نفسه، ٢٠٨/١.

مسهم طائف من الشيطان) الأعراف/١، ٢٠١، فقال: "و(الطَّيْفُ): أكثر في كلام العرب، وقال الشاعر أمية بن أبي عائذ الهذلي:

ألا يا لَقُومَ لَطِيفِ الخيال أَرَقَّ من نازِحِ ذي دلال

ونقرؤها (طَائِفٌ) لأن عامة القرءاء عليها<sup>١</sup>. إذ استدل الأخفش بشاهد من الشواهد الشعرية.

وفسر ثعلب (ت٢٩١هـ) الإعلال في قوله تعالى: (الذين إذا أصابهم مصيبة) البقرة/١٥٦. فقال: "قال أحمد بن يحيى: مُصِيبَةٌ كانت في الأصل: مُصُوبَةٌ، ألقوا حركة الواو على الصاد، ومثله: (وأقيموا الصلاة) الأنعام/٧٢، أصله: (أَقُومُوا)، فألقوا حركة (الواو) على (القاف)، فانكسرت وقلبوا الواو ياءً لكسرة القاف<sup>٢</sup>. ونجده يفسر الإعلال في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: (ولا تقولوا راعنا) البقرة/١٠٤،<sup>٣</sup>. أما في قوله تعالى: (الحي القيوم) آل عمران/٢، فقال الزجاج (ت٣١١هـ): "وأصل قَيْمٌ قَيْووم، إلا أن الياء إذا سبقت الواو بسكون قلبت لها الواو وأدغمت الياء فيها، وكذلك القِيَامُ أصله القَيْوَامُ"<sup>٤</sup>. ونجده قد نقل عن من سبق من أصحاب المعاني مثل قطرب (ت٢٠٦هـ)، والفراء (ت٢٠٧هـ)، والأخفش (ت٢١٥هـ). وفسر الإعلال في قوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الإسراء/١٥، فقال: "يقال: وَزَرَ وَزْرًا وَوَزَّرًا، وَوَزَّرًا، وَمَعْنَاهُ أَيْمٌ يَأْتُمُ إِثْمًا"<sup>٥</sup>.

قال ابن كيسان (ت٣٢٠هـ): في قوله تعالى: (الله لا اله الا هو الحي القيوم): "الْقَيْوُومُ): (فَيْعُولٌ) من الْقِيَامِ، وليس بـ (فَعُولٍ); لأنه ليس في الكلام (فَعُولٌ) من ذوات الواو، ولو كان ذلك لقليل: (قَوُومٌ)، و(الْقِيَامُ): (فَيْعَالٌ)، أصله (الْقَيْوَامُ). وقال الكوفيون: الأصل (الْقَوِيمُ)، وزعم الفراء أنه (فَعِيلٌ). قال ابن كيسان: ولو كان كذا في الأصل لم يجز فيه التغيير كما لا يجوز في (طَوِيلٌ)، و(سَوِيْقٌ)، ولو كان كما قال لما أُعِلَّ كما لم يُعَلَّ (سَوِيْقٌ) وما أشبهه<sup>٦</sup>. إن ابن كيسان يسوق آراء البصريين والكوفيين، ثم يذكر رأيه فيها، وأيهما يفضل، ونجده يميل إلى رأي الكوفيين هنا. أما أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، في إعلال (القيوم) فقد كرر ما ذكره ابن كيسان (ت٣٢٠هـ)، ونجده ينقل من البصريين كالفراء وينقل من الزجاج وبقية الكوفيين أيضا.

وهنا نستدل بما ذكره سيبويه فقال: "قِيمٌ وزنه (فَيْعَلٌ)، وأصله قَيْووم، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن، أبدلوا من الواو ياء، وأدغموا فيها الياء، فصارتا ياء مشددة، ومثله: سَيْدٌ وجَيْدٌ، وهَيْنٌ"<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> نفسه، ٣٤٤/١.

<sup>٢</sup> معاني القرآن: ثعلب (ت٢٩١هـ)، ص٣٣.

<sup>٣</sup> نفسه، ص٣٠.

<sup>٤</sup> معاني القرآن واعرابه: الزجاج (ت٣١١هـ)، ٣٧٤/١.

<sup>٥</sup> نفسه، ٢٣١/٣.

<sup>٦</sup> معاني القرآن واعرابه: ابن كيسان (ت٣٢٠هـ)، ص٣٦٥.

<sup>٧</sup> الكتاب: سيبويه (ت١٧٥هـ)، ٣٦٦/٤.

وقوله: "واذا أردت فِئَعَلٌ من قَلْتُ قَيْلٌ. فلو كان يغيّر شيء من الحركة باطراد الحركة ههنا. فهذه تقوية لأن يُحْمَلُ سَيِّدٌ على فِئَعَلٍ، إذ كانت الكسرة مطّرة كثيرة. وبنات الياء فيما ذكرت لك وبنات الواو سواء. ومما قلبوا الواو فيه ياء دَيَّارٌ وَقَيَّامٌ، وإنما كان الحدُّ من قَيُّوَامُودَيُّوَارُ، وقالوا: قَيُّوَمٌ وَدَيُّوَرٌ، وإنما الأصل قَيُّوَمٌ، وَدَيُّوَرٌ، لأنهما على فِئَعَالٍ وَفِئَعُولٌ"<sup>(١)</sup>. فرأي سيبويه هنا القَيُّوم.

### ٣- الإبدال:

يعرف الإبدال لغة: "خلف من الشيء، والتبديل: التغيير"<sup>(٢)</sup>. واصطلاحاً: "إبدال حرف مكان حرف في كلمة واحدة، والمعنى واحد"<sup>(٣)</sup>. وزاد عليه بعض الباحثين أنه: "جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى"<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة الإبدال عند الفراء (ت٢٠٧هـ)، إذ نجده ينقل عن الكسائي (ت١٨٩هـ) (٥) في إبدال (مدكر)، وأثنى على الكسائي صدقه فيما ينقل، وأضاف تحليلاً آخر فقال في قوله تعالى: (فهل من مدكر) [سورة القمر: ١٥]: "المعنى مذتكر، وإذا قلت: مُتَعَلٌّ فيما أوله ذالٌّ صارت الذالُّ وتاء الإفتعال دالًّا مشددة، وبعض بنو أسد يقولون: مُذَكَّرٌ، فَيُعَلِّبون الذال فتصير ذالا مشددة"<sup>(٦)</sup>. إذ تميّز الفراء بتحليل مفصل في إبدال تاء افتعل، وكذلك مشتقاتها كما في قوله تعالى: (وما تدخرون) [سورة آل عمران: ٤٩]، و(فمن اضطر في مخمصة) [سورة المائدة: ٣]، و(اصطبر) [سورة طه: ١٣٢]، فقد حلل إبدال الذال دالا، وإبدال التاء دالا، وإبدال التاء طاء<sup>(٧)</sup>. وهناك مواضع أخرى مثل: الرجس<sup>(٨)</sup>، وغيرها من المواضع. ومن أمثلة الإبدال:

قال الزجاج (ت٣١١هـ) في قوله تعالى: (فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) البقرة/٢٥٩، "يجوز بإثبات الهاء وبإسقاط الهاء في الكلام، ومعناه لم تغيره السنون، فمن قال في السنة سانهت فالهاء من أصل الكلمة، ومن قال في السنة سانيت فالهاء زيدت لبيان الحركة، ووجه القراءة على كل حال إثباتها والوقوف عليها بغير وصل، فمن جعله سانيت ووصلها إن شاء الله أو وقفها على من جعله من سانهت، فأما من قال: إنه من تغير من أسن الطعام يأسن خطأ. وقال بعض النحويين: إنه جائز أن يكون من التغيير من قولك من حمإ مسنون وكأنه الأصل عنده (لم يتسن) ولكنه أبدل من النون ياء كما قال:

<sup>(١)</sup> نفسه، ٣٦٦-٣٦٦/٤.

<sup>(٢)</sup> كتاب العين: الخليل (ت١٧٥هـ)، مادة (بدل)، ١٢٢/١.

<sup>(٣)</sup> كتاب الإبدال: ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن السكيت (ت٢٤٤هـ)، ص ٤٨. ويعرف الإبدال لغة: خلف من الشيء، والتبديل: التغيير، ينظر: العين: الخليل (ت١٧٥هـ)، مادة (بدل)، ٤٥/٨. وسر صناعة الاعراب: ابن جني (ت٣٩٢هـ)، ٦٩/١٠. وشرح المفصل للزمخشري (ت٥٣٨هـ): ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، ١٠/٧.

<sup>(٤)</sup> القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية: حمدي سلطان حسن أحمد العدوي، دار الصحابة للتراث/طنطا، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٦٥.

(٥) معاني القرآن: الكسائي (ت١٨٩هـ)، ص ٢٣٩.

(٦) معاني القرآن: الفراء (ت٢٠٧هـ)، ١٠٧/٣.

(٧) نفسه، ٢١٥-٢١٦.

(٨) نفسه، ٤٨٠/١. وينظر: معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: أبو علي محمد بن المستنير قطرب (ت٢١٤هـ)، ص ٥٩١-٥٩٢.

لقد سما ابن معمر حين اعتمر تقضي البازي إذا البازي كَشْرٌ<sup>١</sup>.

إن هذه الظاهرة شائعة ومعروفة، تقع بين الأصوات المتفقة في المخرج أو المتقاربة، أو أن يكون بين الصوتين اتحاد في الصفة، أو يكون هناك اختلاف في الصفة ما بين الهمس والجهر، أو الشدة والرخاوة.

#### ٤- القلب:

والقلب: تحويلك الشيء عن وجهه، وكلام مقلوب، وقلبتَه فانقلب، وقلبتَه فتقلَّب، وقلبت فلانا عن وجهه أي صرفته<sup>٢</sup>.

قال قطرب (ت ٢١٤هـ): من ذلك قوله في بوع وباع: "وقالوا: بُوَع متاعه، وخوَر له في ذلك، واخْتَوَر عليه، يريد: أُخْتِير عليه، فالباء والواو سواء، تنقلب إلى واو في هذه اللغة. والكسر في: قِيلَ وبيِعَ لغة أهل الحجاز، والضم لتميم"<sup>٣</sup>.

يقول ابن كيسان (ت ٣٢٠هـ) في قوله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) البقرة/٢٥٥، "القيوم) (فَيُعَوِّلُ) من القيام، وليس بـ (فَعُوِّلُ)؛ لأنه ليس في الكلام (فَعُوِّلُ) من ذوات الواو، ولو كان ذلك لقليل: (قَوُّومٌ)، و(الْقِيَامُ) (فَيُعَالُ)، أصله (الْقِيَوَامُ). وقال الكوفيون: الأصل (الْقَوِيْمُ)، وزعم الفراء أنه (فَعِيلٌ). قال ابن كيسان: ولو كان كذا في الأصل لم يجز فيه التعبير كما لا يجوز في (طَوِيلٌ)، و(سَوِيْقٌ)، ولو كان كما قال لما أُعِلَّ، كما لم يُعَلَّ (سَوِيْقٌ) وما أشبهه"<sup>٤</sup>.

#### ٥- التثقيب(التشديد) والتخفيف:

التشديد لغة: "شَدَّ: الشَّدُّ: الحمل، والشَّدُّ: العَدْوُ والفعل: اشتدَّ. والشَّدَّة: الصلابة"<sup>٥</sup>. وفي الاصطلاح هو: أن تشدِّد الحرف الأخير<sup>(٦)</sup>. أما التخفيف لغة: "الخِفُّ: كلُّ شَيْءٍ خَفَّ مَحْمَلُهُ. والخِفَّةُ: خِفَّةُ الوِزْنِ، وخِفَّةُ الحَالِ"<sup>(٧)</sup>. والتخفيف اصطلاحاً: ضدُّ التثقيب<sup>(٨)</sup>.

قال قطرب(ت ٢١٤هـ): ومنه ما اختص به جزء من بعض القبائل، مثل: "وإذا كان الثاني ياء أو واو، كان ساكناً عند العرب، إلا بعض هذيل، وذلك قولك: جَوَزَةٌ وجَوَزَاتٌ، و(فمن خيرات

<sup>١</sup> معاني القرآن وعرابه: الزجاج(ت ٣١١هـ)، ٣٤٣/١.

<sup>٢</sup> كتاب العين: الخليل، تحقيق/ عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤٢١/٣.

<sup>٣</sup> معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: أبو علي محمد بن المستنير قطرب(ت ٢١٤هـ)، ص ٢٨٥.

<sup>٤</sup> معاني القرآن وعرابه: أبو الحسن بن كيسان النحوي(ت ٣٢٠هـ)، تحقيق/ محمد محمود محمد صبري الجبة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع/ القاهرة، ط ١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م، ص ٣٦٥.

<sup>(٥)</sup> كتاب العين: الخليل: (ت ١٧٥هـ)، ٦/٢١٣ - ٢١٤.

<sup>(٦)</sup> أسرار العربية: الأنباري، ص ٢٠٤.

<sup>(٧)</sup> كتاب العين: الخليل(ت ١٧٥هـ)، ٤/١٤٣ - ١٤٤.

<sup>(٨)</sup> تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت ١٢٠٥هـ)، (مادة خفف)، ١٣٥٣/٥.



حسان)الرحمن/٧٠، و(روضات الجنات)الشوري/٢٢، و(ثلاث عورات)النور/٥٨، وبعض هذيل يقول: جَوَزَاتٌ، وَبِيضَاتٌ، وَرَوَّضَاتٌ، وزعم يونس أن تَوْبَةً وَتَوَاتٍ بالثقل يقولها ناس كثير<sup>١</sup>. قال قطرب(ت٢١٤هـ): "وأما التثقيـل -وهو قليل شاذ- لغة أسديّة، وذلك قول بعضهم، فيما كان قبل الحرف الآخر متحركاً: هذا عُمْرٌ، وَخَالِدٌ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ، وهو يَضْرِبُ، وَيَقْتُلُ؛ فَثَقُلُوا في الوقف خاصة، ليدلوا على أن الآخر متحرك في الوصل إذا سكن الأول؛ لأنَّ الْمُثَقَّلَ حرفان: الأول ساكن لأنه لا يلتقي ساكناً، والثاني متحرك"<sup>٢</sup>. وفي قوله تعالى: (فما استيسر من الهدى) البقرة/١٩٦. "فقد ذكرنا الهدْيَ مخففاً ومثقلاً"<sup>٣</sup>.

قال ثعلب(ت٢٩١هـ): "قال تعالى: (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) هود/٤٠، قال أحمد بن يحيى: التَّنُورُ تَفْعُولٌ من النور، ونقل عنه أنه قال: وأصله تنور فقلبت الواو الأولى همزة لانضمامها، ثم حذفت تخفيفاً، ثم شددت النون عوضاً عما حذفت"<sup>٤</sup>.

### الخاتمة

اتفق مؤلفو هذه الكتب على ظاهرة التثقيـل والتخفيف التي وقفوا عليها في آيات عدة، ولكنهم اختلفوا في الآيات التي وجدوا فيها التثقيـل والتخفيف، ووجدت قسماً منهم يذكرون الآية نفسها، وهذا يبيـن حينما لا يتفقون بأن لكل واحد منهم منهجاً، يختلف فيه عن الآخر، وربما لم يشأ أحدهم أن يكرر ما قاله الآخر، إذا كان قد اطلع على من سبقه. وعندما لا أذكر علماً من أعلام كتب معاني القرآن في ظاهرة ما، ربما لأنه لم يذكر المسألة التي أناقشها في تلك الظاهرة، أو أنه لم يتناولها بالتفصيل وإنما مر عليها عرضاً. ومن النتائج: انطلق مؤلفو كتب معاني القرآن من الكريم وقراءته في تفسير الظواهر الصوتية، و اعتمد هؤلاء ما قدمه الدرس الصوتي عند الخليل وسيبويه، ولم أجد أنهم خرجوا على هذا إلا في نسبة بعض الظواهر الصوتية إلى قبائل معينة، ويقترح الباحث أن توحد المباحث الصوتية في هذه الكتب مع ما ورد من مباحث الصوت عند اللغويين، وتقديمها إلى الدارسين بمفهوم موحد.

### المصادر والمراجع

- إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي(ت٦٢٤هـ)، ٣/١٥-١٤. وينظر: معجم الأدياء: ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)، ٦/٢٧٠. ومقدمة معاني القرآن: الفراء(ت٢٠٧هـ).
- البحث اللغوي عن العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: أحمد مختار عمر، ص ٩٣-٩٤.
- البيان والتبيين: الجاحظ، ١/٢٧٩. وينظر: العقد الفريد: ابن عبدربه(ت٣٢٨هـ)، ٢/٣٢٣.
- تاريخ مدينة السلام: الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ)، ١٥/٣٤٤. وينظر: تاريخ الإسلام: الذهبي(ت٧٨٤هـ)، ٥/٦٥٨.

<sup>١</sup> معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: أبو علي محمد بن المستنير قطرب(ت٢١٤هـ)، ص ٢٩٠.

<sup>٢</sup> نفسها، ص ١٩٩.

<sup>٣</sup> نفسها، ص ٣٥٠.

<sup>٤</sup> معاني القرآن: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي(ت٢٩١هـ)، تحقيق/ شاکر سيع نتيش الأسدي، المطبعة الناصرية للمطبوعات التجارية/ العراق، ط ١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ٩٧.

- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة/ بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٠٣.
- شرح المفصل للزمخشري: ابن يعيش(ت٦٤٣هـ)، تحقيق/ اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، سنة ٢٠٠١م، ٥١٢/٥.
- وينظر: معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق التجارية، د.م، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٦٢.
- طبقات المفسرين: الداودي(ت٩٤٥هـ)، ٢٥٦/٢.
- الفهرست: ابن النديم(ت٣٨٠هـ).
- كتاب العين مرتبا على حروف المعجم: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، مادة (دغم)، تحقيق/ عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٣٢/٢.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق/ محمد علي النجار، المكتبة العلمية/بيروت، ط٢، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، ١٣٩/٢.
- والممتع في التصريف: ابن عصفور(ت٦٦٩هـ)، ١٩٥/١.
- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي(ت٢١٠هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ب ط، ١٩٨٨، ١٩-١٨/١.
- معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس(ت٣٣٨هـ)، تحقيق/ محمد علي الصابوني، مطبعة جامعة أم القرى/ مكة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٤٣-٤٢/١.
- معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: أبو علي محمد بن المستنير قطرب(ت٢١٤هـ)، دراسة وتحقيق/ محمد لقريز، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، ص٩٣-٩٤.

## دور المدرسة الكوفية في إثراء الدرس الصوتي: دقائق التصريف أنموذجا

الدكتور/ سيف بن سالم بن فضيل المسكري<sup>١</sup>

## الملخص

تتناول هذه الورقة دور المدرسة الكوفية في إثراء الدرس الصوتي؛ لما لها من مساهمة في بناء نظرية النحو العربي ومن ضمنها الدرس الصوتي، ولها كذلك معالم تيسيرية واضحة، وقد كان لهذه الورقة وقفات صوتية، ونخص بالذكر كتاب دقائق التصريف لابن المؤدب؛ إذ تضمن آراء المدرسة في الدرس الصوتي.

## المقدمة

والهدف هو إبراز دور أعلام المدرسة الذين كانوا على قدر كبير من الدراية بعلوم اللغة العربية ومنها الدرس الصوتي، وسنركز على كتاب دقائق التصريف؛ لأجل أن نلفت نظر الباحثين إلى الدور الفعال الذي قامت به المدرسة الكوفية في إثراء الدرس الصوتي، لذا جاءت هذه الورقة لشحذ الهمم وجذب الانتباه للثروة العلمية المرجوة منها.

لذا سنُعنَى في هذه الدراسة بالظواهر الصوتية لمدرسة الكوفة، في كتاب دقائق التصريف لابن المؤدب، وسنسير بالمنهج الوصفي التحليلي فيه، فالمستوى الصوتي في دراسة التركيب يقع في مقدمة النحو، وتظل في دراسة النحو حاجة إليه، لذا كان من الواجب علينا بيان ذلك. وقد ضُمَّت الورقة بين دفتيها:

- ١- دور مدرسة الكوفة في الدرس الصوتي
  - ٢- المؤلفات المطبوعة التي تضمنت الدرس الصوتي
  - ٣- أبرز الظواهر الصوتية التي عرض لها علماء المدرسة الكوفية
  - ٤- أمثلة ونماذج من الدرس الصوتي في كتاب دقائق التصريف
- أولاً: دور مدرسة الكوفة في الدرس الصوتي

بدأت الدراسة الصوتية عند علماء العرب بالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، قال مهدي المخزومي: "فلم أجد نحوياً من النحاة الأولين أحسنَ بضرورة الدراسة الصوتية لفهم أسرار العربية غير الخليل بن أحمد"<sup>٢</sup>، فهو أول من عرض لدراسة الصوت من اللغويين العرب قبل أن يعرفها المقرئون، ووضع مصطلحات خاصة به، قال براجشتراسر: "وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب الخليل بن أحمد"<sup>٣</sup>، ولم يقتصر على البحث في مخارج الأصوات وصفاتها وإنما استطاع أن يفيد منها ما يختص بعلم النحو فوائد عملية، والباعث لذلك كله القرآن الكريم، ويُعدّ كتاب العين أول عمل تناول الدراسة

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، جامعة الشرقية، سلطنة عمان

<sup>٢</sup> مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٥٨م، ص١٦٨. التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، ترجمة رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص١١.

الصوتية<sup>١</sup>، وتبعه في ذلك تلميذه النابه سيبويه (ت ١٨٠هـ)، وكتابه، فقد ورث عنه هذا العلم، وعقد باباً كاملاً يتضمن علم الأصوات منهجاً علمياً في تقسيم الأصوات، ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً، دلالة على قوة الملاحظة، والمنهجية الواضحة، ولم يغفل الكوفيون ذلك بل كان لهم دور كبير في هذا العلم وبخاصة الكسائي المقرئ وتبعه الفراء (ت ٢٠٧هـ) الذي استند إلى منهج الفراء فقد أفاد مما تقدم في علم الأصوات فنبه على كثير من القواعد الصوتية ما دعت المناسبة إلى ذلك، وقد أظهر منهجاً واضحاً في كتابه معاني القرآن، وتبعهم في ذلك بقية علماء المدرسة الذين كانت لهم عناية بالظواهر الصوتية ومنهم ابن المؤدب. ثانياً: المؤلفات المطبوعة التي تضمنت الدرس الصوتي.

أولاً: الدراسات القرآنية: تُعدُّ الدراسات القرآنية لدى مدرسة الكوفة من أهم المصادر التي نستقي منها ما يختص بالدرس النحوي، ومن أبرز ما سنستقي منه المعلومات لاستخلاص الظواهر الصوتية الآتي:

- ١- كتب معاني القرآن: (الكسائي ت ١٨٩هـ)، والفراء (ت ٢٠٧هـ)، وثلعب (ت ٢٩١هـ).
- ٢- كتاب لغات القرآن، الفراء (ت ٢٠٧هـ).
- ٣- كتاب الوقف والابتداء، ابن سعدان (ت ٢٣١هـ)،
- ٤- كتاب إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ).
- ٥- كتاب ياقوتة الصراط، أبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ).

ثانياً: الدراسات اللغوية: فالدراسات اللغوية، كان لها أثر كبير في ثراء العربية ونضجها، من إظهار اختلاف اللهجات فيها، وما يرفد به القرآن الكريم والشعر من مادة أولية مهمة، مما يمثل التربة الخيرة التي تمهيات لكي ينبت الدرس اللغوي يانعاً مزهراً<sup>٢</sup>، فقد كانت غايتهم من التأليف تصويب الأخطاء التي وقع فيها كثير من العرب لاحتلاطهم بالأعاجم، وذلك بربط الألفاظ اللغوية بلغات العرب، فما وافق اللغة العربية أجازوه، وما خالفها رفضوه؛ حفاظاً منهم على سلامة اللسان العربي، وخوفاً على اللغة من الضياع، وصوناً لكتاب الله<sup>٣</sup>، ولها دور بارز كذلك في تأكيد الدور الفاعل للمدرسة في إثراء النحو العربي بالمسائل المبتوثة، ويمكننا أن نوزعها إلى قسمين بحسب اطلاعنا لها:

القسم الأول: مؤلفات خاصة في النحو والصرف

- كتب المذكر والمؤنث (الفراء (ت ٢٠٧هـ)، أبو موسى الحامض (ت ٣٠٥هـ)، أبو بكر ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ).
- كتب المقصور والممدود (الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ابن السكيت (ت ٢٤٦هـ)، أبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ).

<sup>١</sup> ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت، ٤٧/١-٦.

<sup>٢</sup> ينظر: الكتاب، سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢م، ٤/٤٣١-٤٨١.

<sup>٣</sup> ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب حتى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٢٩.

<sup>٤</sup> ينظر: التحولات الصرفية الصوتية في لغات العرب وأثرها على المعنى والدلالة، (دراسة وصفية تحليلية في كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت)، (رسالة ماجستير)، إعداد مالك جمال حسن عودة، إشراف عادل سلمان بقاعين، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١٦م، ص ١.

- كتاب مختصر النحو (ابن سعدان) (٢٣١هـ).
- كتاب القلب والإبدال (ابن السكيت) (٢٤٦هـ).
- كتاب مختصر في ذكر الألفات (أبو بكر ابن الأنباري) (٣٢٨هـ).
- كتاب دقائق التصريف (ابن المؤدب) (٣٣٨هـ).

#### القسم الثاني: مؤلفات خاصة في اللغة

- كتب تعالج الأخطاء اللغوية الشائعة في تلك الفترة وهي: ما تلحن فيه العامة (الكسائي) (١٨٩هـ)، إصلاح المنطق (ابن السكيت) (٢٦٤هـ)، الفصيح (ثعلب) (٢٩١هـ)، فائت الفصيح (أبو عمر الزاهد) (٣٤٥هـ).
- كتب الأضداد (ابن السكيت) (٢٦٤هـ)، أبو بكر ابن الأنباري (٣٢٨هـ).
- كتب تضم موضوعات متنوعة من علوم اللغة: المجالس (ثعلب) (٢٩١هـ)، الأمالي (أبو بكر ابن الأنباري) (٣٢٨هـ).
- كتب معاني الكلمات: الأيام والليالي والشهور (الفراء) (٢٠٧هـ)، الألفاظ (ابن السكيت) (٢٤٦هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس (أبو بكر ابن الأنباري) (٣٢٨هـ)، العشرات في غريب اللغة، والمداخل في اللغة (أبو عمر الزاهد) (٣٤٥هـ).
- ثالثاً: شروح الدواوين: تميّزت الفترة التي اشتهرت فيها مدرسة الكوفة بميزة الاهتمام بالدواوين الشعرية القديمة ابتداء من العصر الجاهلي وانتهاء بالفترة التي كانت المدرسة في أوج اتساعها، فقد اهتم علماءها برواية وتدوين الدواوين وشرحها، ومن الممكن أن نجمل ما وصل إلينا في الآتي:
- \* ابن السكيت (ت ٢٤٦هـ): من شروحه للدواوين التي وصلت إلينا مطبوعة، وأثرت عنه: ديوان الحطيئة، وديوان عروة بن الورد، وديوان النابغة.
- \* ثعلب (ت ٢٩١هـ): من شروحه التي وصلت إلينا: ديوان ابن الدمينة، ديوان الأعشى، ديوان الخنساء، شعر زهير بن أبي سُلَيْم، ديوان عدي، ديوان المزرد.
- \* أبو بكر ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ): فقد شرح: ديوان عامر بن الطفيل، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، شرح قصيدة مشكل اللغة، شرح ديوان المفضليات.
- ثالثاً: أبرز الظواهر الصوتية التي عرض لها علماء المدرسة الكوفية  
ومن أبرز الظواهر الصوتية التي تضمنها الكوفيون مؤلفاتهم الآتي:
- ١- الإدغام (المماثلة): الإدغام يُدخل فيه الأول في الآخر، والآخر على حاله ويقرب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد نحو قد تركتك، أمّا المماثلة مصطلح لغوي صوتي

أجنبي يعني ما نصطلح عليه في العربية بالإدغام والإبدال، فإذا كانت المماثلة كلية سُهي في العربية إدغاماً<sup>١</sup>.

ظاهرة الإدغام قديمة لحظها علماء العربية في وقت مبكراً<sup>٢</sup>، وعند تتبعنا للمصطلح وقفنا على أنه نُسب إلى الفراء فهو رائد مصطلح الإدغام بتسكين الدال، فالإدغام عنده إفعال، وعند البصريين إفعال أي إدغام، والأول أكثر شيوعاً<sup>٣</sup>، علماً باننا قد وقفنا على هذا المصطلح في كتبه المطبوعة كثيراً، وقد عُني الكوفيون بالإدغام وخاصة الكسائي والفراء؛ لأنهما يُعدّان من الفراء.

٢- الإعلال: هو تغيير حرف العلة للتخفيف بقلبه أو إسكانه أو حذفه<sup>٤</sup>، ويُعدّ الإعلال ضرباً من ضروب التغيير الصوتي يلحق بُنية الكلمة العربية درسها علماء المدرسة الكوفية، وهو على ثلاثة أقسام: إعلال بالقلب، وإعلال بالحذف، وإعلال بالتسكين (النقل).

٣- الإبدال: أن تقيم حرفاً مقام حرف إما ضرورة وإما صنعة واستحساناً، وظاهرة الإبدال ظاهرة صوتية يراد بها طلب الخفة والتقريب بين الأصوات ليجري اللسان على نسق واحد، وقد قيل: كل إعلال إبدال وليس كل إبدال إعلالاً، فالإبدال أعم وأشمل من الإعلال، وقد قُسم إلى قسمين: الإبدال القياسي ويتضمن: (إبدال حرف العلة تاءً، وإبدال التاء دالاً، وإبدال التاء طاءً)، والإبدال السماعي ويتضمن: (الإبدال بين: الباء والميم، الجيم والشين، الخاء والحاء، الزاي والتاء، السين والصاد، الدال والتاء، الفاء والتاء، العين والحاء، القاف والكاف، السين والزاي، النون واللام، الواو والتاء، السين والتاء، الهاء والألف، التاء والهاء، الياء والنون، الهمزة والواو).

٤- الإمالة: جنوح بالألف إلى صوت الياء، وبالفتحة إلى صوت الكسرة<sup>٥</sup>.

٥- الإشمام: الإشارة إلى حركة الرفع من غير تصويت<sup>٦</sup>.

٦- الوقف: القطع الذي يسكت القارئ عنده<sup>٧</sup>.

تهدف الظواهر (الإمالة والإشمام والوقف) إلى تحقيق التناسب الصوتي، والاختصار في المجهد العضلي، فهي ترتبط مباشرة بالنطق، وقد طبقها الكوفيون عملياً في قراءتهم.

<sup>١</sup> ينظر: الكتاب، سيبويه، ١٠٤/٤. وينظر: نحو اللغات السامية المقارن، سياتينو موسكاتي، إدفارد أولندورف، أنطون شيتلر، فلرام زودن، ترجمة مهدي المخزومي وعبدالجبار المطلبي، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت، ص ٩٩. ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، دط، ١٩٩٧م، ص ٣٨٧.

<sup>٢</sup> ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، ٤٩/١. والكتاب، سيبويه (ت ١٨٠هـ)، ٤٣٧/٤.

<sup>٣</sup> شرح المفصل، ابن يعيش الموصل (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ٥١٢/٥.

<sup>٤</sup> ينظر: شذا العرف في فن الصرف، أحمد محمد الحملاوي (ت ١٣١٥هـ)، علق عليه محمد بن عبدالمعطي، دار الكيان، الرياض، دط، دت، ص ٢٠٠.

<sup>٥</sup> ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، دار صادر، بيروت، دت، ٧/١٠.

<sup>٦</sup> ينظر: دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، أوفست الشركة التونسية، تونس، ١٩٦٦م، ص ١٥٦.

<sup>٧</sup> ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ١٢١/٢. والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبدالعزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٢٤٩.

<sup>٨</sup> ينظر: المقصد لتلخيص ما في المرشد، زكريا الأنصاري (ت ٩٢٥هـ)، دار المصنف، دمشق، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ٥.

رابعاً: أمثلة ونماذج من الدرس الصوتي في كتاب دقائق التصريف  
 قبل أن نعرّج إلى كتاب دقائق التصريف لاستخلاص المسائل الصوتية لا بد لنا من ترجمة  
 مختصرة لابن المؤدب:  
 ابن المؤدب (ت٣٣٨هـ)

هو أبو القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب، مع خلاف في اسمه فقيل: القاسم بن محمد؛ لعدم ذكره في كتب التراجم والسير، ويميل الدكتور حاتم الضامن في مقدمة تحقيقه لكتاب دقائق التصريف أنّ اسمه هو أبو القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب، وأنّ الناسخ أخطأ فأسقط لفظه (أبو) لأنه أملى العنوان من حفظه، وهو الصواب إذ إنّ الخاتمة كتبها المؤلف بخط يده<sup>١</sup>.  
 ولد في مدينة الشاش، وتعلّم فيها فقد كانت تشتهر بالعلماء من الرواة والفصحاء<sup>٢</sup>، برع في علم الصرف، يُعدّ كوفي المذهب لورود كثير من المصطلحات الكوفية في كتابه (دقائق التصريف)، ومع هذا فقد كان ينقل عن البصريين والكوفيين، ولكنه يميل في مذهبه الصرفي إلى جهة الكوفيين<sup>٣</sup>.  
 آثاره

كتاب دقائق التصريف، أبو القاسم بن محمد المؤدب (ت٣٣٨هـ)، حقق مرتين:

• الأول: تحقيق أحمد ناجي القيسي وحاتم الضامن وحسين تورال، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، بغداد، دت، ١٩٨٧م.

• الثاني: تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م.

توفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة للهجرة<sup>٤</sup>.

أبرز الظواهر الصوتية في كتاب دقائق التصريف

سأسير في إبراز الظواهر الصوتية في كتاب دقائق التصريف بعرضها في جداول مع الإشارة في الهامش إلى مواضع ذكرها، وأقتصر على ذكر مثال واحد للتوضيح عقب الجدول مباشرة.  
 أولاً: ظاهرة الإدغام

التاء في السين	الأسمّع أصلها الأسمّع
الدال في الدال	يودُّ
الراء في الراء	شهر رمضان

<sup>١</sup> ينظر: مقدمة دقائق التصريف، أبو القاسم بن محمد المؤدب (ت٣٣٨هـ)، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٥.

<sup>٢</sup> ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين البغدادي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٩٣م، ٣/٣٠٨.

<sup>٣</sup> ينظر: نظرات في المذهب الكوفي من خلال كتاب دقائق التصريف لابن سعيد المؤدب، محمد عطا موعد، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، المجلد ١٨، العدد ١٠، ١٩٩٦م، ص ٤٧. وفي المصطلح الصرفي عند ابن المؤدب دراسة في كتاب دقائق التصريف (رسالة ماجستير غير منشورة)، إعداد بسمة محمد رضا الحلاملة، جامعة مؤتة، الأردن، سنة ٢٠٠١م، ص ٨. والمسائل النحوية في دقائق التصريف للمؤدب (رسالة ماجستير غير منشورة)، إعداد حبيبة بنت عامر المفرجية، ٢٠١٥م، ص ١.

<sup>٤</sup> ينظر: مقدمة دقائق التصريف، ص ٣.

السین فی السین	مُسّ
الصّاد فی الصّاد	یخصّمون
القاف فی القاف	عَقّ
النون فی الرء	من رآشد
النون فی اللام	من لك
النون فی المیم	من محمد
النون فی النون	من نوح
النون فی الواو	من واقد
النون فی البیاء	من یابس
الواو فی التاء	أتزر أصلها أوتزر
الواو فی الواو	قَوّل
الواو فی البیاء	غیا أصلها غویا
البیاء فی الواو	طی أصلها طوی
البیاء فی البیاء	تضیّ

دقائق التصريف لابن المؤدب<sup>١</sup>

- يُعدّ ابن المؤدب في كتابه دقائق التصريف من أكثر علماء الكوفة في مجال الدراسات اللغوية عرضاً لظاهرة الإدغام، ونلاحظ أنّه:

١- قد يقصد بالإدغام التشديد بمعنى دمج حرف مع حرف آخر يجانسه ليصبحا حرفاً واحداً مشدداً وذلك في قوله: "فإن قال قائل لم جمعت العرب بين الساكنين في مثل: دابّة، وخاصّة، وراذ...، قلت: لأنّ أحدهما ساكن اللفظ والخلقة، والأخر ساكن اللفظ متحرك الخلقّة، ألا ترى أنّك تقول على الأصل: راذد، فتجد الألف ساكنة في اللفظ والخلقة، والدال متحركة في الخلقّة ساكنة وقت الإدغام" ٢، "(فَوَعَلَ): قِيلَ، بِبِع، بالتشديد لجال الاندغام" ٣، نلاحظ أنّه سجّى الإدغام هنا الاندغام؟!.

٢- وقد يقصد به حدوث ظاهرتين معاً في الوقت نفسه فيحدث إبدال ثم إدغام، وذلك في إدغام: التاء في السین (الأسْمَع)، إذ يقول: "كقولك: الأسْمَع والرّمْل... وأقحمت الألف فيه بعدما أدغموا التاء في السین لسكون الحرف الثاني المستأنف" ٤.

<sup>١</sup> ينظر: دقائق التصريف، ص ١٦٧، ١٧٠، ١٨٨، ١٩١، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٢٥، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٨٣، ٥٠٨.

<sup>٢</sup> ينظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، ص ١٩٨.

<sup>٣</sup> ينظر: نفسه، ص ٢٧٥.

<sup>٤</sup> ينظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، ص ١٦٧.



٣- ونوع ثالث يقصد به ما نجده في القرآن الكريم من التقاء النون الساكنة مع أحد حروف كلمة (يرملون) إذ يقول: "وتدغم النون في ستة أحرف وهي حروف (يرملون) تدغم في نون مثلها، كقولك: من نوح، وفي لام كقولك: من لك، وفي الراء كقولك: من راشد، وفي الميم كقولك: من محمد، وفي الياء كقولك: من يابس، وفي الواو كقولك: من واقد".<sup>١</sup>

### ثانياً: ظاهرة الإعلال

عرض ابن المؤدب لظاهرة الإعلال على الوجه الآتي:

نوع الإعلال	مثال	عدد المواضع
إعلال بالقلب <sup>٢</sup>	مَأزُورَات	١٤
إعلال بالحذف <sup>٣</sup>	يَعِدُّ	١٤
إعلال بالتسكين <sup>٤</sup>	يَقُولُ	٤

- ذكر ابن المؤدب في دقائق التصريف الأنواع الثلاثة للإعلال: القلب، إذ قال: "والعرب تقول: من حيث لا تعلم، ومن حُوْتُ لا تعلم"<sup>٥</sup>، والحذف إذ قال: "واعلم أنّ الواو يسقط من غابر ما كان على (فَعَلْ يَفْعَلْ) بفتح العين من كليهما... في مثل: يَعِدُّ، وَيَصِلُ"<sup>٦</sup>، والتسكين (النقل) إذ قال: "وإذا أخبرت عنه بالفعل المستقبل قلت: يُتَيْمُّ، وَيُخَيِّفُ، وَأَصْلُهُ: يُقْوِمُ، وَيُخَوِّفُ، فألقت حركة الواو على ما قبلها"<sup>٧</sup>، وهذا يدلنا على اهتمامه بتضمين الظاهرة بأنواعها الثلاثة في مظان كتابه.

### ثالثاً: ظاهرة الإبدال

كتب اللغة	عدد مواضع الإبدال القياسي	مثال	عدد مواضع الإبدال السماعي	مثال
دقائق التصريف لابن المؤدب <sup>٨</sup>	٧	أَتَلَج	٧	الْتَرَاتُ/الْوَرَاتُ

- تحدث عن نوعي الإبدال: القياسي فقال: "اعلم أنّ تاء الافتعال تبدل عند سبعة أحرف: عند الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والداد، والذال، والزاي... فأما الدال والذال والراء فإنّ تاء الافتعال تصير عندهن دالاً فتقول إذا وليت زايّاً: ازدجر، وازدهر"<sup>٩</sup>، والسماعي فقال: "وإذا كانت

<sup>١</sup> ينظر: نفسه، ص ٢٠٥.

<sup>٢</sup> ينظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، الصفحات: ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١.

<sup>٣</sup> ينظر: نفسه، الصفحات: ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٧٣، ٢٨٢، ٢٨٨.

<sup>٤</sup> ينظر: نفسه، الصفحات: ٢٥٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١.

<sup>٥</sup> ينظر: نفسه، ص ٢٠٩.

<sup>٦</sup> ينظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، ص ٢٢٢.

<sup>٧</sup> ينظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، ص ٢٨٠.

<sup>٨</sup> ينظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، الصفحات: ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٢٤٩، ٢٥٠، والصفحات: ١٧٧، ٢٠٨، ٢٤١، ٣٧٧، ٤٢٥، ٥٠٨.

<sup>٩</sup> ٥٠٩.

<sup>٩</sup> ينظر: نفسه، ص ١٧١.

مرفوعة صُيِّرَتْ تاءٌ كما قالوا: التُّكْلان، والتُّهْمَة، والتُّخْمَة، والتُّراث، ألا ترى أنَّ التاءَ فهِنَّ كَلهنِ  
واو في أصل البناء<sup>١</sup>.

#### رابعاً: ظاهرة الإمالة

الظاهرة الصوتية	عدد مواضع الإمالة	مثال
دقائق التصريف لابن المؤدب <sup>٢</sup>	٥	طَاب

- أفرد ابن المؤدب باباً خاصاً للإمالة أسماه: "حكم فيما تكلمت العرب فيه من إمالة الحروف"<sup>٣</sup>،  
وذلك بعد أن أشار إليه بقوله: "وقد ذكرت باب الإمالة في آخر الكتاب، وبيّنت مذاهب العرب  
والقراء في الإمالة فيه"<sup>٤</sup>.

#### خامساً: ظاهرة الإشمام

الظاهرة الصوتية	عدد مواضع الإشمام	مثال
دقائق التصريف لابن المؤدب <sup>٥</sup>	١	قُيْلَ

- ذكرها ابن المؤدب في موضع واحد فقال: "وبعض العرب يُشِمُّ الفاءَ ضمّةً فيقول: قُيْلَ"<sup>٦</sup>.

#### الخاتمة

١. أنّ ظواهر الإدغام، والإعلال، والإبدال، والإمالة، والإشمام، والوقف، وظواهر صوتية، ضمنها كتاب دقائق التصريف لابن المؤدب، وكذا كتب الكوفيين.
٢. ما ذكره ابن المؤدب من ظواهر صوتية في مظان دقائقه إلا ومضات حسنة تدل دلالة واضحة على سعة اطلاعه وأفقه، وفهمه للقرآن الكريم، وأشعار العرب، كما أنه استشهد بالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة لإثبات صحة ما يقول.
٣. يُعدّ ابن المؤدب في كتابه دقائق التصريف من أكثر علماء الكوفة في مجال الدراسات اللغوية عرضاً لظاهرة الإدغام، فقد يقصد بالإدغام التشديد، وقد يقصد به حدوث ظاهرتين معاً في الوقت نفسه، وقد يقصد به ما نجده في القرآن الكريم من التقاء النون الساكنة مع أحد حروف كلمة (يرملون).
٤. عرض ابن المؤدب في دقائق التصريف ذكر الأنواع الثلاثة للإعلال: القلب، والحذف، والتسكين (النقل)، وهذا يدلنا على اهتمامه بتضمين الظاهرة في مظان كتابه.
٥. نلاحظ أنّ ابن المؤدب في دقائق التصريف قد تحدث عن نوعي الإبدال: القياسي والسماعي.

<sup>١</sup> ينظر، نفسه، ص ٢٤١.

<sup>٢</sup> ينظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، الصفحات: ٢٥٥، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥.

<sup>٣</sup> ينظر: نفسه، ص ٥١٢.

<sup>٤</sup> ينظر: نفسه، ص ٢٥٥.

<sup>٥</sup> ينظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، الصفحة: ٢٥٧.

<sup>٦</sup> ينظر: دقائق التصريف، ابن المؤدب، ص ٢٥٧.

٦. ذكر ابن المؤدب في دقائق التصريف ظاهرتي الإشمام، والإمالة، وهي من الظواهر التي تهدف إلى تحقيق التناسب الصوتي، والاختصار في المجهود العضلي؛ لأنها ترتبط مباشرة بالنطق.
٧. أن الظواهر الصوتية الماثوثة في كتاب دقائق التصريف خاصة وكتب الكوفيين عامة بها حاجة إلى عناية، ودراسة متعمقة وواسعة، ليظهر أمام الباحثين الدور الفاعل لمدرسة الكوفة في كون علمائها قد عُنوا بالدرس الصوتي، مع ربط القديم من الدراسات الصوتية بالدراسات الحديثة؛ من أجل إثراء أفكارها، ومفاهيمها، ومصطلحاتها<sup>١</sup>، وتُنشر ككتاب يستفيد منه الباحثون.

### المصادر والمراجع

- إسهام اللغويين الأوائل في الدراسات الصوتية، محمد حسن باكلا، مجلة جذور، العدد السابع، المجلد الرابع، ٢٠٠١م.
- أهمية علم الأصوات في تحليل مسائل النحو، عباس علي إسماعيل، وخالد عباس حسين، وعبد الأمير كاظم عيسى، مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، العراق، العدد السادس، ٢٠٠٨م.
- التحولات الصرفية الصوتية في لغات العرب وأثرها على المعنى والدلالة، (دراسة وصفية تحليلية في كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت)، (رسالة ماجستير)، إعداد مالك جمال حسن عودة، إشراف عادل سلمان بقاعين، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١٦م.
- التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
- الدراسات اللغوية عند العرب حتى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م.
- دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، أوفست الشركة التونسية، تونس، ١٩٦٦م.
- دقائق التصريف، أبو القاسم بن محمد المؤدب (ت٣٣٨هـ)، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
- شذا العرف في فن الصرف، أحمد محمد الحملاوي (ت١٣١٥هـ)، علق عليه محمد بن عبد المعطي، دار الكيان، الرياض، د.ط، د.ت.
- شرح المفصل، ابن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٥٨م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبدالعزيز الصبيغ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
- معجم البلدان، شهاب الدين البغدادي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٩٣م.
- المقصد لتلخيص ما في المرشد، زكريا الأنصاري (ت٩٢٥هـ)، دار المصنف، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.
- نحو اللغات السامية المقارن، سباتينو موسكاتي، إدفارد أولندورف، أنطون شيتلر، فلرام زودن، ترجمة مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلي، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، د.ت.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- نظرات في المذهب الكوفي من خلال كتاب دقائق التصريف لابن سعيد المؤدب، محمد عطا موعد، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، المجلد ١٨، العدد ١٠، ١٩٩٦م.

<sup>١</sup>ينظر: إسهام اللغويين الأوائل في الدراسات الصوتية، محمد حسن باكلا، مجلة جذور، العدد السابع، المجلد الرابع، ٢٠٠١م، ص٧٧-٧٨. أهمية علم الأصوات في تحليل مسائل النحو، عباس علي إسماعيل، وخالد عباس حسين، وعبد الأمير كاظم عيسى، مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، العراق، العدد السادس، ٢٠٠٨م، ص٣١٧.

## صورة الرجل في تجربة النساء الشعرية: قراءة في بعض النماذج من الشعر القديم والحديث

الدكتور/ محمود حمدا<sup>١</sup>

الملخص

لا تقتصر التجربة الشعرية على موقف الرجل من موضوعات تشكّل المرأة الجزء الأكثر تأثيراً في بناءها؛ فتجربة المرأة الشعرية لا تقل أهمية من الموضوعات المرتبطة بالرجل، لكنّ الأوضاع الاجتماعية والدينية أخفت همّشت الكثير مما يمكن أن يشكل مقابلاً لتجربة الرجل الشاعر في التعبير عن الموقف من الرجل بأشكال وأغراض شعرية أثبتت تجارب المرأة منذ العصور القديمة عمقها وصدقها، وقد تنوّعت هذه المواقف التي يشكل الرجل مادة تجاربها باختلاف الأغراض الشعرية؛ كما هو في التجربة التقليدية، واختلاف مستويات الصورة في التجربة الحديثة، إذ شكّلت المرأة وموقف الرجل منها ومشاعره تجاهها مادة فنية غنيّة، وساهمت المرأة بجمالها وطبيعتها أنوثتها وعطائها العاطفي والاجتماعي في بناء التجربة الفنية التي انعكست بطبيعة الحال على تجربتها الشعرية.

تعنى هذه الدراسة بخصوصية المرأة العاطفية في ضوء تأثير الأوضاع المختلفة؛ إضافة إلى المشترك الكبير بين الرجل والمرأة، وتسهم ثقافة الشاعرة ومحيطها في تشكيل هذه الصورة بما يعني الاختلاف في بناءها الذي يعبر عن موقفها أو أثر الرجل أبا أو أختاً أو حبيباً في مادتها الشعرية، ولا ننسى الفترة الأدبية التي تؤثر فيها المتغيرات، واختلاف هذه الفترة وتطورها عن سابقتها؛ إذ يعبر الشعر باعتباره صورة المتغيرات الاجتماعية والدينية والفكرية، فصورة الرجل في تجربة المرأة الشعرية تنطق عن الخروج على الموروث والمكرر إلى اختلاف يعبر عن تنوع فني تفرضه القدرة الشعرية على التعبير عن التطور الفني الشعري.

من الصورة المباشرة للرجل الحبيب والعاشق والشجاع وصورته مفقوداً وغائباً تبرز التجربة محاسنه وأخلاقه وأثر فقدته وغيابه ورحيله؛ تتشكّل التجربة الحديثة مكانة الرجل في المسافة بين الذات الشاعرة في تجربة المرأة الشاعرة وموضوعات الوجود.

الكلمات المفتاحية: التجربة، المرأة، صورة، الرجل، العربية، العاطفة، الرومانسي، الإطار، القيم، المعادلة، الصراع، ملامح.

المقدمة

انعكاس صورة الرجل أو المرأة على التجربة الشعرية ينجزه غياب تام أو حضور طافح، واستعداد التجربة لتشكيل هذا المنجز يحقق الجزء الشفيف من الذات البشرية، غير أنّ الشعر كغيره من الفنون لا يولد بعيداً عن المؤثرات الاجتماعية والثقافية؛ ولهذا حكمت الموروثات بأنواعها على أحقيّة

<sup>١</sup> أستاذ متعاون، جامعة الشرقية، سلطنة عمان

الرجل بحريّة التعبير عن هذا الانعكاس، وفي المقابل قاومت تجربة المرأة الشعريّة ليرتفع تعبيرها بطبيعة شعريّة الذات الحرّة، وهو ما آمن به الكثيرون باعتبار المرأة فوق كل ما يهّمش مشاعرها وتعبيرها وتجاربها، فغيّرت مسارات الرؤى إلى الطريق الصحيح وأعدت تجربتها العناية إلى تجربة الماضي لتقدم للفن الحديث ما خفي عنه في الماضي.

وصورة الرجل في شعريّة المرأة تختلف عن صورتها في شعريّته؛ لاختلاف طبيعتها ونظرتها إلى الأشياء ومواقفها من المتغيّرات، وهذا يعود إلى الامتزاج بين طبيعتها العاطفيّة وخصوصيّتها الأنثويّة في التعبير عن الموقف من الموضوعات والأشياء، مع بروز المشترك بينها وبين الرجل في التعبير عن الكثير من المشاعر والمواقف؛ بل وتفوقه في بعضها لاختلاف الرؤى وأثر الوعي بالمحيط ومكوناته ومواقفها من المتغيّرات في خروجها إلى فضاءها الخاص.

من المتوقّع أن تضع هذه العجالة أمثلة على اشتراك المعاني بين الرجل والمرأة ضمن الأطر الإنسانيّة على اختلاف طبيعة كل منهما، إضافة إلى إنصاف تجربة المرأة في تشكيل صورة الرجل بما تتساوى فيه معه من مواقف ومشاعر وقيم نبيلة وردّات فعل لكلٍ منهما تجاه فعل الآخر.

ونقول: ما أهم صور الرجل في تجارب النساء الشعريّة. ما الفرق بين صورته في الماضي وصورته في تجارب النساء الشعريّة اليوم. كيف تطوّرت مادة صورة الرجل عبر الفترات الشعريّة العربيّة. وما أهم المؤثرات الثقافيّة والاجتماعيّة في تشكيل صورته في تجربة النساء الشعريّة؟.

هذه أهم الإشكالات الرئيسيّة، وغيرها تتفرّع منها؛ نحاول إضاءة بعض جوانبها في هذا المبحث من خلال بعض النماذج الشعريّة من تجارب النساء قديما وحديثا، وستقوم الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي

يعود هذا الحديث إلى الموقف من تذكير خطاب اللغة الغالب على الفنون اللفظيّة، وكأنّ الأمر يتعلّق بمحاولة إنصاف المرأة من تهيمش الأدب لإنتاجها، والذي هو خلاصة مواقف ومشاعر إنسانيّة لا يختلف فيها الرجل عن المرأة، ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه القضية؛ لأن جذورها تمتدّ إلى وضع اجتماعي وديني عاشت فيه المرأة تحت وطأة التهميش والتحقير في مواقف أقلّ ما يقال عنها إنها صورة من صور ظلم المجتمع الذكوري، من اللاوعي المتشكّل من قضايا وقوانين ومواقف مجتمعيّة، وأنصاف الرجل بالإيجابيّة والعقلانيّة، والمرأة بالسلبيّة والرضوخ للعادات والتقاليد؛ شكّلت صياغات محوريّة وقضايا رئيسيّة في كتابتها التي تمزّدت على النمط التقليديّ منها وتجاوزته إلى نمط جديد يبحث عن الحرّيّة في خضمّ التحوّلات الاجتماعيّة والثقافيّة<sup>(١)</sup>، فكان عليها أن تواجه جميع أشكال العنصريّة ضدها؛ ومنها التهميش الأدبي، والخروج إلى علنه بقضاياها الإنسانيّة ومواقفها التي تشترك فيها فطريّا مع الرجل دون اختباء أو خوف.

ولكن هل هذا التهميش كان واسعا لدرجة أنه لم يترك آثارا نسائيّة، وأنّ العرب . كما جاء في مقدّمة بلاغات النّساء عن كثير من العلماء . " أهملوا شأن المرأة فلم يذكروا من أحوالها شيئا إلا عرضا لا

يُقام له وزن " (١٦)، ولم يُشر إلى الأسباب؛ لكنّ صاحب المقدّمة ردّ على هذا الرأي بأنّ هناك مؤلّفين أفردوا لشؤون المرأة كتاباً خاصاً، ومنها كتاب بلاغات النساء (١٧)، ممّا يدلّ على طبيعة الاختلاف بين النظرة العامّة والنظرة المختلفة لدى الأدباء والبلغيين.

هذا الوضع يشبه شيئاً من واقع اليوم الذي صدّعته المرأة بتحرّرها منه، "إنّ المرأة قد شغلت في التراث العربيّ القديم (المنظوم منه والمنثور) حيّزاً واسعاً من العناية، فكانت المحرّك الأساس والعنصر المهمّ للأدباء، لكن صورتها لم تنحصر في ذلك الدّور. التحريك والإلهام. بل كانت حاضرة بوصفها أحد الموجهات الرئيسة للمجتمع العربيّ" (١٨)، فأثبتت الآثار بأنها. وإن غابت كثيراً للأسباب التي سبقت الإشارة إليها. ليست أقلّ نتاجاً أدبيّاً وبلاغياً من الرجل، ويمكن الإشارة إلى أكثر من مؤلّف في التراث الأدبيّ تضمّن الكثير من آثار النساء الأدبيّة بجانب مواقفهم الاجتماعيّة والسّياسية غيرها، ونذكر على سبيل المثال. إضافة إلى كتاب بلاغات النساء. عيون الأخبار لابن قتيبة، وأخبار النساء المنسوب لابن القيم الجوزيّة، والأغاني لأبي الفرج الأصبهانيّ.

يشير صاحب كتاب (شاعرات العرب في الجاهليّة والإسلام) إلى مظهر التهميش الأدبيّ بأنه لا يوجد ديوان شعر امرأة، وتبع المتأخرون في عدم الاهتمام بالشعر النسائي المتقدّمين (١٩)، وربّما نضيف إلى النظرة العنصريّة ضدّ المرأة ونتاجها؛ غياب النساء عن مجال التوثيق والاهتمام بهذا النتاج؛ مما ينصف. ولو قليلاً. هذا الأثر منذ بدأ كتابة الآثار ونقدها.

تعدّت المرأة الإنسان كلّ هذا وإن بقيت الكثير من أشكال التخلّف بسبب الموروث وجموع العقل، لكنّ المرأة العربيّة اختارت ذاتها، وانبتقت نضالها بأشكاله المختلفة لتكون امرأة تقابل الرجل بكلّ ما يشترك فيه من مواقف ومشاعر تعبّر عنها الفنون المختلفة، ولهذا شاركت الشاعرة العربيّة بخطابها المتعدّد وبفضايلها الإنسانيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة؛ فأثبتت مكانتها، وقدرتها التي تعني وجودها مثل قدرة الرجل، ولهذا فنحن اليوم أمام وضع مختلف، بل وساهمت الكثيرات في إغناء الدراسات النقديّة بما يؤكّد تساويها مع الرجل في الكتابة الأدبيّة والنقديّة.

شكّلت المرأة وموقف الرجل منها ومشاعره تجاهها مادّة فنيّة غنيّة. وساهمت المرأة بجمالها وطبيعتها أنوثتها وعطائها العاطفيّ والاجتماعيّ في بناء التجربة الفنيّة لدى المبدعين والكتّاب والشعراء؛ فكانت محور المواقف المختلفة، وكانت دائماً مقابل الذات والرجل والوطن والحياة، ولم يخل عصر أدبيّ منذ ظهر الشعر من هيمنتها على الإبداع باعتبارها محورا وانعكاسا، فهي مصدر العاطفة التي تولد في صلابة طبيعة الرجال، ومنها يولد ذلك العالم الرومانسيّ الذي ينحّي الكثير من أشكاله على الدّوات والطبيعة والمواقف والعلاقات، فيخلق أدب الشّاعر العاشق والمغترّب والهائم والصّوفيّ منذ القديم حتّى يومنا، وإذا كان هذا خلق الرجل الذي تنعكس عليه المواقف المختلفة من المرأة؛ فكيف سيكون خلق الأخيرة وهي مولّدة هذه المواقف ووجه الانعكاس الأساس.

إن الحديث عن صورة الرجل في بلاغات النساء يعني دراسة بعض التشكيلات التي تولدها خصوصية المرأة العاطفية، كما أنّ هذه الصورة ستكون في جزء كبير منها في بعض التجارب محاطة بعوائق اجتماعية ودينية؛ جعلها مختلفة عن صورة المرأة في تجربة الرجل، ومع الأخذ بالاعتبار الاختلاف الذي كان نتيجة اختلاف مواقف المبدعات من المؤثرات التي فرضت على العمل الفني أو كانت عفوية في محيط ولادة التجربة، وفي دراسة بعض التجارب التي تشكّل صورة الرجل ستتداخل. بلا شك. مع بعض صور المرأة في تجربة الرجل؛ وهذا يعود إلى المشترك الكبير بينهما شعورا ومواقف.

ومن أسطورة الحب الرومانسي التي تسوقها أنا دانيال، والتي تقول بأنه قبل ولادة الطفل تُقسم النفس البشرية إلى شطرين يظنّان يبحثن عن بعضهما ليتحدّا معا؛ إنهما الذكر والأنثى<sup>(٦)</sup>، من هذه الأسطورة ندرك بأنّ المرأة ليست أقلّ من الرجل في تكوينها الرومانسي؛ بل هي تفوقه باعتبارها انعكاس العواطف ومنبع المشاعر، وبطبيعتها تملأ ما يحيط بها حياة وعذوبة، ومن هنا فالحبّ الذي يحقق الذات أو العلاقة بالأخر أو الموقف به؛ من أهم صور الرجل في تجربة المرأة.

إنّ صورة الرجل في خطاب الشعر النسائي يتخذ أشكالا كثيرة تختلف باختلاف شعريته وثقافة الخطاب، وفترته الأدبية، فالصورة التي كانت تتشكّل في التجربة الشعرية قبل الإسلام مثلا تدور حول الرجل المعشوق، والشجاع، الكريم، وحامي الحي، وتقوم القصائد الغزلية على هذه المعاني، وفي الرثاء والفقد تتكرّر هذه المعاني، فهذه الخنساء في رثاء أخيه؛ تورد صفاته التي تفتقدتها في غيابه. تقول من (البحر البسيط) :

وإنّ صخرًا لوالينا وسيّدنا وإنّ صخرًا إذ نشتو لنحّار  
وإنّ صخرًا لمقدام إذا ركبوا وإنّ صخرًا إذا جاعوا لعقّار  
وإنّ صخرًا لتأتمّ الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نار  
جلد جميلٌ المّحيا كاملٌ ورعٌ وللحروبِ غداة الرّوعِ مسعّار<sup>(٧)</sup>

فالخنساء تفتقد في الإطار الاجتماعي صخر الصفات الاجتماعية أكثر من صخر الأخ؛ ولسنا نعني هنا غياب الشعور بهذا العلاقة الودودة بين الأخ وأخته، وإنّما نشير إلى الإطار الثقافي الذي شكّل صورة الرجل الفقيه في تجربة الخنساء، " فلم تُعدّ الخنساء كما كانت عليه سابقا تعيش بماضٍ مجيد بوجود هذا الرجل؛ إذ سرعان ما أصبحت امرأة تعيش مَنكسرة وحيدة بسبب هذا الغياب " (٨)، وناحت وندبت كأنه لم يفقد أحدًا كما فقدت الخنساء، لكنّ الجوانب التي ترى الشاعرة سقوطها ترتبط بمفردات مجتمعية سنجد اختلافها عند غيرها، فبينما ترى هي غياب الوالي والسيّد القائد والشجاع والكريم والهادي في المسير؛ ترى عائشة التيمورية فقد والدها. على الرغم من مكانته الاجتماعية. شرخا أصاب روحها، تعيش فقدته وحدها، بعيدا عن أي صفات اجتماعية.

تقول من (البحر الكامل) :

عزّ العزّاء على بني الغبراء لما توارى البدر في الظلماء

حتى على الأيام تندبُ فقد منهو نير [الافصاح] للبلغاء

حتى قالت :

أبتأه قد جرعتني [كاس] التّوبيا حرّ جرّعته على أحشائي  
أبتأه قد حشّ الفراق حشاشتهل يرتضي القلب الشّفوق جفائي  
يا من يحسّن رضاه فوز بنوّتيوعزير عيشته تمام رخائي<sup>(١)</sup>

فالفرق بين صورتَي الرَّجلين عند الشّاعرتين واضح؛ إذ يستدعي الإطار الاجتماعي لدى الخنساء الشعور بغياب صفات الفقيه، وأثر ذلك يتجاوز الشّاعر إلى المحيطين به؛ فهو على رؤوسهم بارز بما فرض عليه من قبل الثقافة السائدة، ومفردات الترابط المجتمعي، بينما تتجاوز التيمورية ذلك إلى حالة نفسية ترى فيها غياب أبها مؤثراً على رؤيتها للمحيط، فهو كما كانت تراه قمراً، رأته يخفي في الظلماء إلى غير رجعة، ولهذا اختلفت صورة الرجل في التجريتين، وهذا ينطبق على كل الصّور التي تشكلها اختلافات ثقافة الفترات الأدبية وظروفها الاجتماعية والسياسية والدينية، " وتتكوّن العاطفة من تكرار اتّصال الفرد بموضوع العاطفة في مواقف مختلفة، ترضي فيه دوافع مختلفة وتثير في نفسه مشاعر ساّرة لذيدة، أو تُحبط لديه بعض الدوافع وتثير في نفسه مشاعر مؤلمة مريرة " (١٠)؛ فينعكس كلّ ذلك في قالب المؤثّرات التي توجّه الشعر إلى التشكّل استجابة للعوامل المتعدّدة التي تصنعها البيئة في ثقافتها بجميع مستوياتها. صخر مفردة الموت بكلّ تداعيات الصدمة وكذلك الباشا فقيه التيمورية، لكنّ هذه المفردة في تجربة الخنساء تحمل دلالات السقوط لكثير من القيم والمقومات في العرف المجتمعي العربي القديم، فالإنسان مجموعة هذه الصّفات التي لا يمكن أن تنفصل عنه، تقوم به كما قامت بغيره في الأصل، وتسقط بغيابه، وعلاقتها بالشّاعر هي المعوّل عليها في جعله مميزاً، بينما ينسحب الشّاعر الحديث إلى نفسه، ويشغله هذا الانسحاب بتحديد علاقته بالغايب؛ فتدور التجربة داخل هذه الدائرة، إذ العلاقة بين الإنسان ونعني به الشّاعر هنا قبل أيّ أحد. تختلف في التجريتين، فالموت المنتشر وإن كان مؤلماً في مجتمع تسوده القبليّة والحروب المتتالية يصير وجعه في المفقود؛ والذي هو مجموعة الصّفات التي خلق بعضها الوضع المتوازي مع الموت، فصدمة الموت ليس في طبيعته التي اعتاد عليها الإنسان في مجتمع حروب وغزوات وثأر، بينما الإنسان الحديث علاقته بالموت علاقة وجودية مقلقة؛ سواءً تصالح معه أم لم يتصالح.

الصّراع بكلّ ألوانه جزء أساسي في حياة المبدع، فهو لا يتصالح ولا يطمئن مع أيّ فكرة كالموت، مقابل ميله إليها فلسفياً لتكون النتيجة إبداعاً؛ وبالتالي فحياته ليست مرضية بالمعنى البسيط الذي يفهمه عامة الناس، أو كما يرون الرضا، والنقص هو نتيجة طبيعة القلق الضّروري للإبداع (١١)، وعلى الرغم من تشابه حالة الموت كنهاية للكائن البشري، لكنّ صورة الرّجل اختلفت في هذا الفقد بين الشّاعرتين.

ترثي الأخيلىة حبيها توبة، فترثي الكرم والشّجاعة؛ من (الطويل) :



قتلتم فتى لا يُسقط الرُوعُ رُمحه إذا الخيلُ جالتُ في قنا مُتكَسِّر  
 فيا توب للهيجا ويا توب للندى ويا توب للمستنبح المتنور  
 [الا] ربّ مكروبٍ أُجبتُ ونائلٍ بذلتُ ومغروفٍ لديكٍ ومُنكرٍ (١١٢)

من خلال ما وصل إلينا من تراث ناقل للحياة الاجتماعية والسياسية؛ فإن الرجل لا يمكن تصوّره خارج الصّفات البارزة في المجتمع، والمرتبطة به، ولهذا كانت المنظومات المتوارثة والسّائدة هي صانعة صورة الرجل في بلاغات النساء، فليلى على الرغم من كثرة القصائد التي كتبها في حبّ توبة؛ لكنه ظل الرجل الشّجاعة والكرم والمغيث في وقت الشّدائد.

وعودة إلى البداية صورة المقابل الحبيب، فإنّ المرأة دفعت ثمن جنسها، إذ لم يكن لها ما للرجل من حرّية التعبير كما للرجل، ولهذا كانت حبيبة قيس ليل العامرية تكتم الهوى لطبيعتها ولعجزها عن البوح داخل الدائرة الاجتماعية التي فرضت عليها الشّعور بالعار وعلّقتة على بوحها وانساقها إلى مشاعرها.

قالت من (الرجز):

لم يكنّ المجنونُ في حالةٍ إلا وقد كُنْتُ كما كانا  
 لكنّه باح بسرّ الهوى وإنني قد ذُبْتُ كُثمانا  
 باح مجنونُ عامرٍ بهواه وكُنْتُ الهوى فمتُّ في وجدي  
 فإذا كان في القيامة نودي مَنْ قَتيل الهوى؟ تقدّمتُ وُحدي (١١٣)

ولكنها قاومت هذا الاضطهاد العاطفي، فانطلقت في شعرها إلى ما يتجاوز التعبير العاطفي، فالغزل " موضوع شعري يناسب المرأة؛ لأنها تنفّس من خلاله عن مشاعرها الفياضة، وتظهر نفثاتها الحري إزاء معاناتها من آلام الجوى، وحرقة الهوى" (١١٤)، وهذا التناسب لا يأتي فقط من طبيعة المرأة جيّاشة العواطف؛ بل لأنّ الشعر لغة خاصة يفتح لها حرّية وإن كانت محدودة في مجتمع للشعر فيه قابلية الخطاب المتبادل، إضافة إلى المساحة التي تتاح للمتلقيين الشّعور بهذه المعاناة؛ إذ يوظف الشعر بلاغة خطابيه في إيصال الموقف إلى الآخر.

صورة الرجل عاشقا في شعر ولادة بن المستكفي يكشف عن انفتاح المجتمع الأندلسي ورسوخ دعائم الحبّ في التصريح بما لم تستطعه الشاعرات الأخريات في غير هذا المجتمع، فولادة تحدّد ملامح هذا الرجل من خلال مفردات حالتها الشّعورية، وتبني الصّورة بمجموعة من الاستجابات العاطفية في دائرة تتسع بلا حدود، فالمغامرات ووقتها وأثر الفقد والشوق؛ كلها تشير إلى مكونات رسم صورة الرجل المعشوق.

قالت (من الطويل):

ألا هل لنا من بعد هذا التفرّقسبيل فيشكو كل صَبِّ بما لقي  
 وقد كنت أوقات التزاور في الشتا بيت على جمرٍ من الشوق مُحرق

فكيف وقد أمسيت في حال قطعة لَقَد عَجَل المَفْدُور ما كُنْتُ أَتَقِي

تمرُّ الليالي لا أَرَى البينَ يَنْقُضي [ولا الصَّبْرَ من رِقِّ التَّشْوَق]

سَقَى اللهُ أرضاً قدْ غَدَتْ لك مَنزلاً بِطَلِّ سَكُوبٍ هَاطِلِ الوَيْلِ مُغْدِقِ (١٥)

إن صورة العاشق هنا لا يعني فقط ذلك الامتلاء الذي يحقق الذات في الحب، بل هو مقاومة الشعور المضاد، وما يحققه الشَّعر يرتبط بوعي فني يظهر العلاقة العميقة بين الحب باعتباره حالة مغلَّصة من المعتاد والعاشق في اختزاله ارتباطات شعورية تلخَّص كثيراً من المواقف من موضوعات الحياة، وتقيم الشاعرة دعائم قضية الحب بمعناها المعروف لكن بطريقة مختلفة؛ دخلت فيها أصوات الرغبة في أن يكون الحب اعتدالاً على الرغم من قسوته العاطفية، وهذا الاعتدال هو طرح التساوي في المشاعر؛ فضلاً عن الإشارات المحسوسة التي تختبئ في اللفظة اللفظية، بما يشبه اليوم لغة الجسد، " ففي كتابة الجسد تحاول ذات الأنثى إقامة معادل موضوعي يحقق توقُّعها المضموع إلى التَّحرُّر الخالص من خلال الكلام المنبثق من أعماق اللاشعور. إن أعماقها المجهولة لديها ترغب في تحقيق الشكل الأمثل للقصيدة، الشعر الخالص، الانطلاق خارج بوابة اللاشعور المغلقة " (١٦)، ولهذا تجعل المقابل تحقيقاً للذات منطلقاً من المختبئ في اللغة العارية، يظهر ذلك في مقابل شعور جسد الرجل؛ جسد الأنثى الذي لا يقل عن اضطرامه بالشوق والاحتياج.

تحتل قصائد الغزل في تجربة عائشة التيمورية المرتبة الثانية في شعرها، فهي أوفر أبوابه، بل تكاد تبلغ نصفه، وتمتاز هذه القصائد بالسلاسة والعدوية (١٧)، وتبدو صورة الحبيب محدَّدة صفاته ومحاسنه في عين الشاعرة، والنص ينقل التقاء الثقافتين الشعريتين القديمة وبدائيات الخروج عنها؛ إذا أعدنا النظر في المعجم الذي وظفته الشاعرة في وصف لوعة حيا ومظاهر شوقها وأثار غياب حبيبها. تقول من (مجزوء الكامل):

مَلَكُ الفؤَادِ وَقَدْ هَجَرَ بَدْرَ المَحَاسِنِ مُدْظَهَرَ  
عَذْبُ الرِّضَابِ مَعْفُوفٌ يُنْسِي المُنْتَمِ بِالحَوَرِ  
ما حِيلَتِي فِي حُبِّهِ إِلَّا الخُضُوعَ لِمَا أَمَرَ  
مَنْ مُنْجِدِي وَجُفُونُهُ مَنَّمَا المُحِبُّ عَلَى خَطَرِ  
واحيرتِي فِي حُبِّهِ وَاطُولَ شَجْوِي بالخَفْرِ  
أَشْكو الغرامَ وَيَشْتَكِي جَفْنٌ تَعْدَبُ بالسَّهْرِ  
يا قلبُ حَسْبُكَ ما جرى أَحْرَقَتْ جَسْمِي بالسَّهْرِ  
رَامَ الحبيبُ لكَ الضَّنْنا لِمَ ذا وَأَنْتَ لَهُ مَقَرٌّ  
لكنَّ تعذيبَ الهوى ما للشَّجِي منه مفرٌّ (١٨)

لا يبدو الحبيب هنا إلا تلك المعادلة التي تستعين بها الشاعرة في مجتمع مازال يحرمها من أن تساوي خطاب الذكورة في التعبير عن الشوق للحبيب، يعود تكلم الشاعرة بلهجة الرجل. كما تشير مي

زيادة . إلى أمرين أشرنا إلى أحدهما كثيرا؛ وهو محاصرة صوت عواطف المرأة والتعبير عن مشاعرها وأحاسيسها، والأمر الثاني هو أن الشاعرة مقلدة للرجل في خطابها<sup>(١٩)</sup>، باعتبار خطابه سائدا، وعلى الرغم من تداخل الثقافتين وعلو صوت لواعج العشق لملامح الحبيب وصورته التي زرعت في الشاعرة حبا عميقا؛ إلا أن الاختفاء خلف الذكورة لتبرير التقيّد بتعاليم المجتمع مما يمنح الشاعرة حرية مقيّدة، فلخطاب المذكر جذور عميقة في الأدب العربيّ، ولعله يعود إلى شعور المحبّ إلى شموليّة حبيبته الإنسان، إضافة إلى جزء المغايرة، وبطبيعة الحال سيكون في شعر المرأة مساعدا في هذا الاختباء، والذي لا يظهر في تجربة التيموريّة لغياب دواعي توظيف التأنيث؛ فحديثها عن لواعجها وأشواقها لا يستدعي تعيين الجنس. صورة الحبيب المعشوق في نص الشاعرة السابقة تعدد مجموعة من الآثار الحاصلة في حالة الحبّ، وهذه الصورة تتشكّل في خطاب الخاصّ، وخطاب الحبّ العام، فهي تقول في غزل الغائب؛ من (البحر الكامل) :

يَا مَنْ أَفَاخِرَ فِي مَحَبَّتِهِ وَمَنْ أَصْبُو إِذَا ذُكِرَ اسْمُهُ فِي مَجْلِسِ  
الْوَرْدُ لَوْ فِي الْخَدِّ صَاحِبِ شَوْكَةٍ فَلَيْمَ [ارْتَضَى] بَعْلُو قَدْرَ التَّرْجَسِ  
مَا بِال سَهْمِ اللَّحْظِ حَلَّ بِمَهْجَتِي أَوْاهُ مِنْ أَفْعَالِ هَاتِيكَ الْقِيسِي  
يَسْطُو وَلَا يَخْشَى مَلَامَةً لَانِمٍ وَيَجُورُ وَهُوَ مُحَكَّمٌ فِي الْأَنْفُسِ  
فَفؤَادُهُ كَالصِّلْدِ [الآن أنه] تزهو محاسنه بروض السُّنْدُسِ (٢٠)

هذه الآثار تظهر الصراع بين تجلي المعاناة ومقاومتها في كوامن النفس، ويمكن أن نلمح محاكمة الحبيب والدفاع عنه بتبريرات الحب والعشق، فهو قاسٍ ورحيم، يحلّ بالحبّ وامتلاء النفس والألم والقسوة، هذه الصّورة ليست نتاج اليوم لكنّ الشاعرة تستعين باتّساع ثقافتها الأدبيّة في وصف الحبيب، وعلى مشارف الانفتاح الذي يحمله العصر الحديث كانت ترسم صورة الرجل الحبيب في زمن خفوتها وانطفاء مشاعر المرأة أدبيّا، "إنها في طليعة نساء العهد الجديد المعرفات حقهن في حرية العواطف ومشروعيتها ضمن حدودها الطبيعيّة، هي في طليعتهنّ؛ ليس في الشرق فقط، بل في العالم المتمدّن كلّ" (٢١)، حيث ينتظر الفنّ صوت المرأة العربيّة، وصوت الحبّ من جهة المرأة الإنسان، الذي من حقّه أن يحبّ ويحلم ويعين مستوى عشقه وانصهار روحه.

هذه الصّورة تأخذ أبعادا آخر في نصّ نازك الملائكة (قيس وليلى)، فليس المجنون هو العاشق المجرد عند ليلى الذي صرّحت بحبها في أبياتها السابقة، وأستطاع أن يبوح بهيامه ولم تستطع هي، إنّهما هنا قضية مختلفة، وصورة قيس هنا مختلفة :

كَيْفَ مَاتَ الْمَجْنُونُ ؟ هَلْ سَعِدْتُ لِي  
لِي ؟ سَلُوا الصَّحَارِي الْحَزِينَةَ  
اسْأَلُوهَا مَا حَدَّثَ الرِّيحَ قَيْسُ ال  
أَمْسِ لِيلاً وَكَيْفَ عَاشَ سِنِينَةُ

ذِكِّ الشَّاعِرُ الشَّرِيدَ الْخَيَالِيَّ

صَدِيقُ الطَّبَّاءِ فِي الصَّحْرَاءِ

...

وَتَبَقَى قَبْرٌ عَلَى قَدَمِ التَّلِّ

ذَوْتُ تَحْتَهُ مَعَالِمٌ لَيْلِي

وَحَنْتُ فَوْقَهُ شُجَيْرَةٌ وَرِدِّ

تَخَذَتْهَا الْأَشْلَاءُ فِي الْقَبْرِ ظَلًّا

وَتَبَقَى قَيْسَ الْمَعْدَبُ يَبْكِي

مَا تَبَقَى مِنْ عُمْرِهِ الْمَصْدُومِ

رَاقِدًا عِنْدَ حَاقَةِ الْقَبْرِ لَا يَفُ

تَأُ يَشْكُو إِلَى الصَّبَا وَالْغُيُومِ

...

ثُمَّ جَاءَ الصَّبَاحُ يَوْمًا وَقَيْسٌ

فِي يَدِ الْمَوْتِ ذَاهِلٌ مَصْرُوعٌ

لَيْسَ تَبْكِيهِ غَيْرُ تَنْهِيدَةِ الرَّيِّ

ج وَصَوْتِ الْبُومِ الْكَنْيَبِ دُمُوعِ (٢١٦)

في محاولتنا لتتبع حيثيات صورة الرجل المقابل للمرأة في الحب في نصّ الملائكة؛ ندرك أنّ الرجل يشكّل محور تيه تؤكّد حوله الشاعرة انكسارات العشق في هذا العالم، الصّورة هنا تتحقق بأوجه مختلفة من الخواء الذي يرسمه الزّمن على وجه العاشق، يذكّرنا بتلك القسوة التي تهشم روح شاعر الأطلال، إن الملائكة في تجربتها " تبحث عن هذه القضايا بحثًا فلسفيًا، وتعبّر فيها عن أحاسيسها وعواطفها وخلجاتها النفسيّة التي تكون مرآة لأرائها وعقائدها " (٢١٣)، ولهذا لم تأت صورة الرجل العاشق هنا إلا في محيط المؤثرات لصناعة اغتراب حادّ تبنته الطبيعة في كلّ مظاهرها؛ وكأنّ صدمة الحبّ انتزاع كونيّ يضيق على العاشق مدنيّة العلاقات بالآخر، وهذا الوعي بانكسارات الذات عمق إدراك الشاعرة بهشاشة الذات البشريّة وصلابة العواطف التي تضعها أمام الأشياء وجها لوجه.

الصّورة جزء كبير من موقف فلسفيّ ينجز الكثير من الفراغات التي بقيت ويجب أن تبقى في اكتمال عاطفة الحبّ الإنسانيّة، وهو هنا بعيد عن تلك الإحاطة بالمشاعر المجرّدة إلا من الميل إلى الطرف الآخر، صورة الرجل الثّانة هنا استجابة للداخل الذي يهرب إليه الإنسان، لكنه ليس داخلا منتهٍ أو محدود؛ إنه مساحة تتوسّع بمواقف من مفردات تسهم في اغتراب الإنسان لحظة حضورها، هذه الصّورة التي ارتبطت بالتيه، صورة الرجل المجنون، مجنون ليلي، ولم يأت اللقب من مجرد تعلق بمحبوبته المستحيلّة؛ وقد وصل الكثير من العشاق إلى هذه المرحلة من التيه في الفقد؛ وإن لم يتساووا مع قيس،

وربما لم يقدم علم النفس أو الفلسفة لهذه الحالة الإنسانية اقترابا أكثر، " فالعالم الحقيقي يختفي في نظر الشخص المجنون، إنه يهرب من العالم الذي شعر فيه بالوحدة والعزلة إلى عالم من صنع خياله وأوهامه " (٢٤)، لكنها نتيجة قدرة على اختراق المعتاد، ومازلنا نقول أنه يندر هذا الخروج إلى خصوصية اليقين بالعوالم المتعددة الخفية؛ كما يراها المجنون بالحب.

يتميز شعر الملائكة . خاصة في هذا الجانب منه . بالحساسية المفرطة والألم الحاد، وهذا نتيجة حب عيش امرأة شرقية كانت تنزو إلى تحقيق أحلامها؛ لكنها انصدمت بمقاومة الحياة الاجتماعية وتزمتها؛ فعادت إلى نفسها وتجربتها الرومانطيقية ذات الشكل التقليدي، ثم تجربتها السريالية الرمزية الوجودية؛ لتحطم الشكل القديم بنصّ التفعيلة (٢٥)، وصورة التائه هذه التي رسمتها للرجل هي انعكاس هذه الوجودية، وهذا القلق، ووظفت الكثير من المفردات لتحديد طبيعة هذا التيه، فالصحراء الوجه الأول والأكثر في الذات التائهة، شهدت على تيه الصحراء وبحثم عن الحرية والحبيبة والصعلكة، وكانت الرفيق الأقرب والأقسى في شعرية العربي القديم وحياته، وتشكل منظومة التيه مفردات ملموسة ومحسوسة تتعلق بمظاهر تراقق التائه، كالريح والظباء والليل والنجوم، ويبقى الحب معاناة التائه الأولى وحبل استمراره؛ فالقدرة على هذا الشعور هو الجوهر، وتخطي النرجسية التي يمر فيها الإنسان بالعمليات النفسية الداخلية، ولا تمثل المحيطات به دافعا أو حقيقة على الرغم من اكتسابها معنى من فائدتها التي تعود عليه (٢٦)، فهي علامات تمه، ومحددات ملموسة في طريقه الذي لا ينتهي إلا بموته.

هذا التائه يرسم صورة أخرى في تجربة المرأة؛ فكثيرا ما يكون مستحيلا أو يرفض إلا أن يكون حلما، وفي النصّ الشعري الحديث تختلط كثير من الجهات التي تنظر منها المرأة إلى الرجل؛ كما هي الجهات التي ينظر منها الرجل إلى المرأة، فإذا بها ليست تلك المحاصرة بصورة المحبوسة في أدبيتها؛ لكنها تمنع في هذا الإغراق، وتتعلق بهذا المستحيل.  
تقول فاطمة محسن في نصّها (أسقط منك واقفة):

خَبَّئِي فِي قَهْوَتِكَ

أشربني

على وجه قهوتك يَضِجُ احتضاري

ساومني على ليلة حبّ

أُبْدِعُ فِيهَا بِنَارِ حُرْفِي

حَرَّرْنِي مِنْ صَمْتِ جَنُونِي

وأشكر اللغة

حين نبضت بك في فهي (٢٧)

هذه الصورة التي ابتكرتها الشاعرة في النصّ الحديث لا تعتمد على مباشرة الفقد أو أثر الغياب، فالرجل ليس وحده من يشكّل الجانب العاطفي بالمعنى المطلق للذات في التجربة الحديثة؛ لكنه رهان

الحب ولو بصورة الممكن واللاممكن، وإبقاؤه لا ممكن استراتيجيّة التعامل مع القصيدة الحديثة، أي بناؤه بالمعنى الذي يكون في المتناول في الأصل، وتمكّن اللغة الشعرية الحديثة المرأة من جعل الرجل الممكن مستحيلا؛ إذ ما تجده في القريب يصير حبا مستهلكا لا يرضي الذات الثاقبة إلى كسر المعتاد، ولهذا يجب عليه أن يكون مرتبطا بعوالم تبدو مفرداتها أشياء تخصّها، وتحقق قوّتها العاطفيّة.

فاطمة محسن في نصّها السابق ترسم صورة المستحيل بما يمكن أن يخفى على رؤية العين ممكنا، إنه وجه من أوجه الانتصار لغرور الأنثى، أو لشكل آخر للحب؛ يعود إلى تحولات الثنائيّة من (رجل/امرأة) إلى (امرأة/رجل)، أو على الأقل أن يكون الحب واحدا في الشكل والجنس، وهذا كما يقول صلاح فضل عن صورة الرجل في تجربة سعاد الصّباح (كنّ صديقي) بأننا " نجد شكلا طريفا منها يتراءى لدى سعاد الصّباح. ففي مقابل تقاليد الشعر العربيّ التي رسمت صورة ضوئيّة للمرأة المعشوقة عندما تشفّ وتحوّل إلى " طيف خيال " نرى شاعرنا تصنع طيفا للرجل بعد رحيله، تصوّر احتلاله لها وشوقا للتحزّر منها" (٢٨)، وهذا يحسب لها في تجربة تخصّها استطاعت تحقيق ذاتها بها، فليست أقلّ من الرجل، وكانت التجربة الشعرية مساندة لها حين آمنت بنفسها وجها للإنسان.

رشا أحمد ترسم في نصّها (ضجّر) صورة الرّجل المستبدّ بشكل آخر من ترف العلاقة التي لا يمكن تصوّرها بغير الانسحاب الذي يكسر قلب المرأة:

الخسارات / رغبات / وريما / عثرات

قالها / وتراجع / للوراء !

فتح عيوننا / للرغبة / في جسدي

هل / كنت تعي / أنّ الرغبة / عين الأعشى

أصابك / ليست قمحا / ولا غشبا أخضر

لماذا لا / يُغادرها / طوفان / قبلا تي / الثمل !! (٢٩)

إنّ المسافة بين الحبّ واستبداد الرجل في هذا النصّ هشة جدا، وريما هي أقرب إلى المخاتلة، فقد كان قريبا يملأ هذه المسافة، ولا يمكن أن نثق أنه كان حاضرا بمعنى الحبّ العاطفيّ، فالشاعرة لا تحدّد هذه المعالم، وكلّ ما يمكن الانطلاق منه هو تعيين بغير مؤشر سابق، سوى ما يمكن فهمه أنّه ردّة فعل لموقف يتعلق بصدق العاطفة التي قابلها المستبدّ بانسحابه.

إنّ موقف الشاعرة ليس ضعيفا أمام هذا الاستبداد؛ لكنه خيار آخر يحقق للمرأة العاشقة النّجاة بعاطفتها إلى مساحة تجد فيها ذوات تمنحها اكتمالها الإنسانيّ في دائرة الألم؛ والذي يوازي العاطفة الصادقة التي تكتمها للرجل، إنها لا تضعف بقدر ما تواجه بتساؤلات تشكّل مجموعة من المواقف التي تحدد ملامح صورة الرجل المستبدّ:

هل / كنت تعي / أنّ الرغبة / عين الأعشى

أصابك / ليست قمحا / ولا غشبا أخضر

نعم، هذه الشاعرة المعاصرة، فهي حين تختار جهتها العاطفية؛ تشكل تجربتها موقف الحياة الصّارم تجاه استبداد الرجل عاطفياً، وهي " لا تتورع عن البوح بما يمكن أن يجرح سكينته ويخدش سلطته البطركية المستقرة. فنزعة التحرير تمتد من المرأة إلى الوطن، من الجسد إلى الروح، ونموذج الرجل الذي تمثله وتنشده وتصنعه هذه القصائد، عليه أن يندغم في تيار الحرية ويتألف مع مقتضياتها اللغوية والجمالية"<sup>(٣٠)</sup>، إذ يستجيب العالم اليوم والمحيط بأكمله لصوت الإنسان العميق المتجلي في المرأة، وإذا كانت المرأة تنسحب لذاتها تواضعاً أمام أنوثتها التي تكتمل بتقدير الرجل؛ فالمرأة اليوم تقدّر هذه الأنوثة بفهمها لهذا الرجل بعد فهمها لنفسها.

صورة الرجل الاكتمال تتحقق بمستوى وعي المرأة بأنها الكائن الذي يستحق الامتلاء بالحياة والحبّ معا، فإذا بالشاعرة تصل مع هذه الثنائية ( المرأة/الرجل ) إلى الاعتراف بدورها في تشكيل أولويات الأدوار العاطفية، فهي العاشقة الراغبة العاطفية المتحرّرة من شفقة المشاعر، فما تصل إليه هو طبيعتها الإنسانية وليس ممّا من شكل ونوع الإنسان الذكوريّ، إنها قادرة على أن حبّ الرجل وتمنح ذاتها حباً يحميها من التعالي عليها عاطفياً :

ديمة علي قاسمتعيين صورة أخرى للرجل في تجربة النساء؛ إنه الرجل المتصالح، حيث تبدو العلاقة ممتلئة بتقدير واحترام كبيرين :

إن لم تُنرّ شمسها أو تُهدني  
خير السبيل إلى يدك ..  
وتلقني مثل الرّبيع  
يضمّ زهرته الفريدة..  
إن لم تُفخّ كالعطر مّي  
أو تُكوّني ..

أو تُعانقني كأني فيك ذاكرة المسرات الوحيدة

لنقيم فيما بيننا أودّ القصيدة<sup>(٣١)</sup>

ما الذي تحتاجه المرأة في الحقيقة داخل دائرة العلاقة بينها وبين الرجل بعيداً عما يعرفه الكلّ، وكثيراً ما يُكرّر كأنه في المتناول، ويمكن ممارسته في ظل العلاقة الاجتماعية والإنسانية؛ وتكفله الدساتير المدنية والأنظمة الدولية، لكن في الحقيقة هو أن لا تميزها هذه القوانين خارج الطبيعة، ومن قبل الشكل البشري الآخر؛ الرجل الاعتراف بالحبّ كما هو الحب، وليس كما تسته رؤى وتنظيرات عكفت على محاولات معاملة المرأة بنظم الرجل نفسه.

الشاعرة في المقطع السابق تعيّن صورة المتصالح ضمن الحب بمعناه البعيد عن كلّ تصدّعات الاختلاف ومحاولات الخروج من النظم البائدة، لهذا فهو لها مثل ما هي له؛ بدون عرض خيارات الاستطاعة؛ فلا مقابل لهذه الصّورة، التصالح لا يعني قبوله؛ فلا تحتاجه المرأة مقابل وجوده، إنه

الصّوت العالي المحقّق للإنسان بشكّلين: ( امرأة/رجل ) تساوي (رجل/ امرأة)؛ بمعنى أنّ الجهة ليست مهمّة؛ الأهميّة تتحقّق بدورهما في الصدق الذي يحتاجانه.

حاولنا أن نقرأ بعض صور الرجل في تجارب النساء؛ من خلال نصوص تنوّعت بين القديم والجديد، وهذه الصّور ليست محدودة، إنها تتجدّد وتولد مع ولادة التجارب؛ لكننا أردنا تقديم تمثيل متواضع عن هذه الصّور، وبقي أن نشير إلى المشترك الذي بدوره تشكيل صوراً متعدّدة؛ بعضها يتعدد في النص الواحد، والبعض الآخر ينفرد بملامح صورة الرجل.

### الخاتمة

تتشكّل صورة الرجل كما هي صورة المرأة بأقرب الأدوات حساسية إلى لغة الخطاب الشعريّ؛ للطبيعة التي تشكّل بها الذات تجاربه كما تعبّر عن مواقفها من العالم، وتتعدد هذه الصورة بتعدد مواقف الشاعرة ووعي تجربتها بمكانة الرجل، وانعكاس تعدد أشكال العلاقة على تجربتها، حاولت في هذا المبحث دراسة بعض صور الرجل في تجربة المرأة الشعريّة، والتي تضمّنت بعض النماذج من الشعريين القديم والحديث، فتعددت هذه الصور ضمن الجوانب العاطفيّة والاجتماعيّة والقيميّة؛ مؤكدة على ما تشترك فيه المرأة والرجل فيها، إضافة إلى خصوصيتها التي تأتي من طبيعتها الأنثويّة، وقد خرجت بنتائج أهمّها:

- عبرت تجربة المرأة في تعبيرها عن عاطفتها تجاه الرجل عن عمق تجربتها وحققها في أن تكون تجربتها في صف الشعر الإنسانيّ؛ بعد أن بقيت في جانب قصيّ بعيداً عن الاهتمام بها، ساهمت في ذلك موروثات اجتماعيّة وتجاهل دراسات قديمة سارت على درب الدراسات التي سبقتها.
  - تنوّعت صورة الرجل في تجارب النساء الشعريّة في إطار المؤثرات الاجتماعيّة والثقافيّة، وشكلت هذه الأطر مستويات الوعي بشكل صورة الرجل وعلاقته بموضوعات المحيط، وتعددت ضمنها صورة الرجل.
  - تطورت صورة الرجل في تجربة النساء الشعريّة من صور ترتبط بالجانب الاجتماعي والقيميّ والجانب العاطفي إلى صور تعبّر عن مواقف وجوديّة؛ عبرت فيها تجارب المرأة عن حساسية الشاعرة الحديثة وعمق فكرتها ولغتها الشعريّة.
- بقي أن نقول: إن هذه الصور مجرد نماذج للصور الأكثر تشكيلاً في تجربة المرأة الشاعرة؛ وإلا ففي التراث الشعري وتجاربه الحديثة ما يعبر عن تعدد وتطور هذه الصورة، ولعل هذا المبحث يدفع إلى توسّع يضيف الكثير إلى هذا الموضوع.

### المصادر والمراجع

- "أدب المرأة في العصر العباسيّ وملاحم الفتيّة"، خالد الحلبيّ، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد ٤٣، ٢٠١٠.
- "الفراشة والصّياد: صورة المرأة / صورة الرجل في أدب بديعة"، هناء سليم غانم، موقع الحوار المتمدّن، العدد ٤٤٩٦، ٢٠١٤/٦/٢٨.
- "جسد الأنثى في مدوّنة الشاعرة ضحى بوترة (قراءة ذكوريّة)"، عن مجلة فصول، العدد ٧٩، ٢٠١١، موقع خضر محج



- "خطاب المرأة"، شاكر هادي التميمي ورائد حامد خضير، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العراق، العدد ١٩٩، ٢٠١٦/١٠.
- "صورة الرجل في قصيدة المرأة العربية ( طيف الرجل المستبد نموذجاً شعرياً عربي )"، ٢ من ٢، صلاح فضل، صحيفة الحياة، ٢٠١١/٦/١١.
- "صورة الرجل في قصيدة المرأة العربية ( طيف الرجل المستبد نموذجاً شعرياً عربي )".
- "نازك الملائكة وإبداعاتها الشعرية؛ رؤى نقدية"، حسين شمس آبادي ومُهْدَى ممتحن، مجلّة إضاءات نقدية، السنة ٢، العدد ٢، ٢٠١٢.
- ديوان ليلى الأُخيلية، جمع وتحقيق: خليل إبراهيم العطية وجيل العطية، وزارة الثقافة والإرشاد، العراق، بغداد.
- اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، محمود تيمور، مكتبة الآداب ومطبعها، مصر، ١٩٧٠.
- أسقط منك واقفة، فاطمة مَحْسَن، الملتقى الثقافي الأهلي، البحرين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
- أشهر شاعرات الحب في الشرق والغرب (تراجم ومختارات شعرية)، إحسان هندي، القسم الأول، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.
- بلاغات النساء (وطرائف كلامهنّ وملح نوادرهنّ وأخبار ذوات الرأى منهن، وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام)، الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)، مطبعة ومدرسة والده عباس الأول، مصر، القاهرة، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.
- التفسير النفسي للأدب، عزّالدين إسماعيل، مكتبة غريب، مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤.
- الحب بين الفلسفة والعلم (دراسات في النفس والمجتمع)، علي السيد سليمان، مكتبة الصفحات الذهبية، السعودية، الرياض، ٢٠٠٠.
- ديوان عائشة التيمورية، نسخة كربونية، المطبعة الشرقية العامرة، مصر، ١٣٠٣هـ.
- ديوان نازك الملائكة، دار العودة، لبنان، بيروت، ١٩٩٧، المجلد الأول.
- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشر يموت، المكتبة الأهلية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م.
- الصورة الفنية في شعر الخنساء، سليم سعيد السُّلعي، رسالة مقدّمة للحصول على درجة الماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٩.
- ضجّر الخسارات، رشاً أحمّد، بيت الغشام للنشر والترجمة، عُمان، مسقط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.
- عائشة تيمور (شاعرة الطليعة)، ميّ زيادة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، ٢٠١٢.
- في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠١٣.

## القيمة الفنية والغاية القيمية:

### مقاربة تأويلية للمسالك والغايات في شعر الزبيريين

الدكتور/ ماجد بن حمد العلوي<sup>١</sup>

#### الملخص

ترمي هذه الدراسة إلى سبر غور نظرية تداولية Pragmatica تتوسل الأدوات النقدية والبلاغية برؤية لسانية معاصرة، وقد نظرَ الباحث محمد محمد يونس علي في كتابه "تحليل الخطاب وتجاوز المعنى" لهذه الرؤية حتى غدت نظرية متماسكة لتحليل الأجناس الأدبية وخصوصاً تلك الأجناس التي تحمل في طياتها رسالة تتجاوز المسالك الفنية إلى مقاصد وأغراض وغايات.

إن دفع الآليات البلاغية من دائرة التوصيف والتصنيف الجمالية إلى دوائر تأويلية هو توسيع لانشغالاتها، ومن ثمَّ تكشف لنا عناصر خطابية تتجاوز العنصر الفني، وتضع العنصر البلاغي الكامن في النص في موضع التأويل، ولكي نصل إلى تطبيقات تكشف عن المقاصد السياقية للخطاب المكون من نصوص عديدة ستسعى الدراسة إلى تحليل جملة من النصوص الشعرية ذات السمة الرسالية التي تتوسل لأغراض البلاغية لكي تبتث أغراضاً ومقاصد خطابية؛ بغية الوقوف على ماهية تلك النصوص، ومدى انسجام قوالها الفنية مع غاياتها القيمية، فما من شك أن كثيراً من النصوص يمكن التعامل معها بهذه الكيفية، والجدوى من ذلك تظهر عندما نُسقط مضامين هذه النظرية على نصوص تشكلت في لحظة فارقة من لحظات الأمة العربية والإسلامية كان الشعر فيها جنباً لجنب مع أدوات واقعية تسعى لخلق عالم أراد الشعراء بخطابهم أن يُسهموا في تغيير واقع ما، أو تشكيل وعي ما، أو توثيق لتاريخ ما.

ستتناول الدراسة نماذج شعرية من شعر الزبيريين، وهم أبناء الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، وهم ليسوا فرقة مخالفة لسماحة الإسلام، وإنما هم نسل لهم اجتهادهم القائم على ثوابت شرعية، وسنة نبوية نشروا خطاباً عمَّ أرجاء المناطق الإسلامية واعتنوا بالشعر ليكون إحدى الأدوات الإعلامية لترويج خطابهم، وعليه توافر في نصوصهم ما يخدم منطلق هذه الدراسة القائم على فكرتين أساسيتين هما:

١- شعر الزبيريين قائم على مرجعية مركبة من الإحالات نستطيع تفكيكها من خلال دراسة بنيتها الفنية وتحليل رسالتها القيمية.

٢- شعر الزبيريين له مسالك متبعة في صوغه، وأغراض بلاغية تحكم غايته، وعلمه يعدُّ مثلاً جيداً للتطبيق.

ومن المتوقع أن الدراسة ستقدم مقاربة تداولية تستند لمفاهيم البلاغة الجديدة تكشف عن مرجعيات الخطابات التراثية المضمنة في النصوص الشعرية، وستعطي وجهة نظر نقدية لتحليل العناصر

<sup>١</sup> أستاذ متعاون، جامعة الشرقية، سلطنة عمان

الصريحة وغير الصريحة للخطاب، وستفتح بابا يسعى لوضع تصور عن مدى تعدد المسالك وملاءمتها للمقاصد، وكذلك يمكن الإجابة عن: هل المقاصد تبع للغايات؟ هل يمكن أن تتحقق الغايات دون وضع قوالب محددة تخدم تلك المقاصد؟

#### المقدمة

يسعى البحث إلى دراسة خطاب الزبيريين المضمن في بعض المقطوعات الشعرية، إذ تُعدُّ هذه المقطوعات أسلوبا تواصليا يُضمِّنُ أتباع ابن الزبير فيها زمرة من الإيحاءات السيكولوجية والاجتماعية والخبرات الحياتية في قالب بلاغي تتناسق الدلالات في تركيبها وتتحد مع المعاني من طريق العقل لا المواضع اللغوية فقط؛ فالخطاب الشعري عند أتباع ابن الزبير يُفهم من خلال عملية تفكيكية يستعين فيها المتلقي بمعطيات خارجية لفهم مضامينها، وبما أن الخطابات قديما وحديثا لا يمكن التوصل إليها من طريق دلالة اللفظ، فإن عملية الفهم تتجه إلى تفكيك تركيبها لمعرفة حركة الأعراف المتداخلة فيها، وعليه تُعدُّ المقطوعات الشعرية عند أتباع ابن الزبير خطابا حضاريا لكونه لبنة من لبنات التخاطب الاجتماعي آنذاك.

#### الأهداف

إن من أهم ما يرمي إليه هذا البحث هو إعادة قراءة الخطاب الشعري لأتباع ابن الزبير قراءة تتجاوز ثنائية اللفظ والمعنى إلى تحليل في المرجعيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية التي أوجدت هذه المقطوعات الشعرية المبتوثة في كتب الأدب العربي القديم، وأكسبتها شيوعا وتوارثا بين الأجيال، حتى غدت ذاكرة تاريخية يلج القارئ من خلالها إلى عوالم دلالية تصف الحالة الاجتماعية من حيث ثقافة المجتمع وتدينه ومستوى المعيشة فيه إلى غير ذلك من العوالم، ومن أهم النتائج المتوقعة ما يأتي:

١- تحليل خطاب أتباع ابن الزبير

٢- اقتراح منهج معاصر لتحليل الخطاب الشعري القديم من خلال تتبع مسالك وغايات المقطوعات الشعرية لأتباع ابن الزبير

الأهمية: أهمية البحث ووجهته تظهر في تطبيق نظرية المسالك والغايات على مقطوعات شعرية في حقبة زمنية مهمة.

#### منهجية البحث

سيستعين هذا البحث في دراسته لخطاب أتباع ابن الزبير بأدوات دُرسية متعددة ومتداخلة مثل تحليل الخطاب، وتحليل المحادثة، والتداولية، وعلم اللغة وغيرها بمنهج وصفي تحليلي دون اللجوء إلى الحصر والاستقصاء، كذلك سوف يختار بعض المقطوعات لتكون أنموذجا لبعض القيم، وقد اعتمد الباحث على دراسات سابقة من أهمها كتاب: الزبيريون في التاريخ والأدب للمؤلف محمد نافع المصطفى، وكتاب تحليل الخطاب وتجاوز المعنى للمؤلف محمد محمد يونس علي.

## ٢- تاريخ الزبيريين

من الزبيريون؟

نُسب الزبيريون إلى الزبير بن العوام، وهو نسب إلى الجد، فالنسب إلى الجد بمنزلة النسب إلى الأب؛ لأن العرب تنتسب في كثير من الأحيان للجد لاعتبارات عديدة، وربما من أهمها توارث الأجيال قيم الجد ومنجزاته، فالزبير بن العوام (ت ٣٦هـ) كان صاحب إرث معنوي عظيم فهو حواري النبي ﷺ كما ورد في الأحاديث النبوية<sup>١</sup>، والزبيريون هم أشياع عبدالله بن الزبير الابن الأكبر للزبير بن العوام، وأخوته وأصحابه وجنده الذين بايعوه خليفة للمسلمين، واتفقوا معه على قيم إسلامية كلية أصيلة دون الغلو في الجزئيات، ولعل من أهم هذه القيم الحرص على اتباع الخلفاء الراشدين في التجربة السياسية، ولا سيما في طريقة الاستخلاف وما يندج تحتها من قيم تُعنى بإقامة أمر الله في الأرض، وصون العقيدة الإسلامية الصحيحة، واختيار أهل الحل والعقد لحماية حقوق الأمة وصونها من التبديل والتعطيل<sup>٢</sup>.

لم يكن ابن الزبير شخصية عادية في التاريخ بل كان له صيت منذ ولادته فقد فرح الرسول ﷺ والصحابة بمولده، وكان أول مولود للمهاجرين في المدينة المنورة، وتوافر له نسب عظيم، فهو ابن الزبير بن العوام وأسماء بنت الصديق ذات النطاقين، وتذكر كتب السير أن الرسول ﷺ قد حنكه بالتمر وبرك عليه<sup>٣</sup>، وقبل بيعته مع مجموعة من الصغار<sup>٤</sup>، وكان ابن الزبير يتهيأ لعمل قيادي في المستقبل، ولذلك شارك في مواقع عديدة، من أهمها موقعة اليرموك وهو في السن الرابعة عشر، وفي فتح مصر، وفي زمن الفتنة ظهر له موقف، ولم يكن مكتوف اليد، فقد انحاز إلى من اعتقد عنده الصواب، ولم يكن رجل سيف فحسب، بل كان صاحب همة في طلب العلم فكان من نساخ القرآن الكريم في عهد الخليفة عثمان بن عفان<sup>٥</sup>، ويعد من أكثر الصحابة ورعا وخوفا من الله تعالى.

أشارت كتب السير أن قلوب المسلمين هفت إلى أنموذج يُشابهه سيرة الأئمة من الصحابة، «فالصالح والتقوى والسابقة، والتمسك بالهدى النبوي والشجاعة والزهدي، الذي عُرف به عبدالله بن الزبير، قد شدت أنظار الناس إليه وتعلقت الآمال في زعامته»<sup>٦</sup>، خصوصا بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ، فبايعته معظم الأمصار، واستمرت خلافته تسع سنين وشهرين تقريبا، وبوفاته رضي الله عنه سقطت مجموعة من القيم التي تمسك بها ابن الزبير مع أصحابه، وهي قيم كلية ومن أهمها توثيق لحظة تاريخية وتثبيت قيمة اجتماعية ودينية وأخلاقية، وبما أنها جاءت في قوالب أدبية فهي ذات سمة فنية

١- قال النبي ﷺ: (لكل نبي حواري، وحواري الزبير) ينظر: صحيح الإمام البخاري رقم/ ٣٧١٩

٢- المصطفى، محمد نافع، الزبيريون في التاريخ والأدب، دار البشير، ص ٧٧

٣- صحيح الإمام البخاري رقم/ ٣٩٠٩

٤- ابن كثير، البداية والنهاية، دار المعارف، بيروت، ج ٢/ص ٢٦٦

٥- المصطفى، محمد نافع، الزبيريون في التاريخ والأدب، دار البشير، ص ٥٥

تحمل رسائل مهمة من الشعراء في زمنهم يدعون إليها، ويدافعون عنها وينشرونها، فأصبح خطاب ابن الزبير ومن معه ذا سمة رسالية قيمية يتسم شكلا ومضمونا بسمتين:

- شعر الزبيريين قائم على مرجعية مركبة من الإحالات، وربما من أهم مرجعياتها المرجعية الشرعية، والواقعية، والاجتماعية.

٢- شعر الزبيريين له مسالك متبعة في صوغه، وأغراض بلاغية تحكم غايته، فلم يكن شعرهم نياحة، أو تغن بالماضي، بل تجاوز شعراء تلك الفترة التقريرات والمباشرة إلى مقطوعات شعرية منسجمة في شكلها ومضمونها.

٣- تحليل خطاب الزبيريين

يبدو من المستحسن التعامل مع النتاج الشعري للزبيريين على أنها ملفوظات حضارية يستعملها أنصار ابن الزبير في إنجاز أعمال، وترسيخ قيم، والتحذير من سلوك؛ والدعوة إلى مبادئ، فالخطاب نسق غير محايت: بما أن الخطاب يحمل مضمونا إبلاغيا فإنه يميل إلى الانفتاح من البنية اللغوية المحايتة، وعليه يُحلل الخطاب وفق أركان التخاطب وهي: المخاطب، والمخاطب، والسياق، والرسالة اللغوية، فالخطابات «وحدات تتجاوز نمط الجملة»<sup>١</sup>.

فخطاب أتباع ابن الزبير خطاب موجه حيث يصدر من مخاطب، وهذا لا يعني أن المخاطب مستبعد أو أقل أهمية، ففي مقامات التفاعل اللغوي يصدر الخطاب إلى من كان متبني لفهمه كما أشار الأمدي في تعريفه للخطاب، لكن تصاريح الخطاب تكون حسب مقاصد المخاطب، لذا يقول طه عبدالرحمن: «إن إنشاء الكلام من لدن المتكلم، وفهمه من لدن المخاطب عمليتان لا انفصال لاحدهما عن الأخرى، وانفراد المتكلم بالسبق الزمني ليلزم عنه انفراد بتكوين مضمون الكلام، بل ما أن يشرع المتكلم في النطق حتى يقاسمه المخاطب دلالات لأن الدلالات الخطابية لا تنزل على ألفاظها نزول المعاني على المفردات في المعاجم، وإنما تنشأ وتتكاثر وتتقلب وتتعرف من خلال العلاقة التخاطبية»<sup>٢</sup>.

ومن نافلة القول أن الخطاب فعل: يتمثل -في الغالب- في شكل الطلب؛ أي يأتي بصيغة (الأمر، والنهي، والاستفهام... الخ)، وحسب نظرية ج.ل. أوستين (J.L.Austin) و ج.ر. سيرل (J.R.Searle) إنه ضمن اهتمامات نظرية أفعال الكلام، وهذا يتطلب دراسة الظروف التي أنتجت النص.

لقد كان خطاب أتباع ابن الزبير خطابا محكوما بمقام فالبحت عن معنى الخطاب مرهون بمعرفة مقامه، فالمقام داخل في الأصول التخاطبية التي تحدد المقصد النهائي من الخطاب، فقد يكون الملفوظ مشيرا إلى مدح شخص معين، لكن معرفة المقام قد توجه الأفهام إلى أن ذلك الملفوظ جاء بدم يشبه المدح كما يقول البلاغيون، وعليه فخطاب أتباع ابن الزبير به مرجعية فلا تنشأ الخطابات دون مرجعية مفسرة له «وقد تكون المرجعية داخلية مستنبطة من خطابات سابقة، وقد تكون خارجية مبعثها

١ - ينظر شارودو باتريك، منغو دومينيك، معجم تحليل الخطاب (ص١٨٢).

٢ - عبدالرحمن، طه، في فصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، البيضاء (ص٥٠).

وضع اصطلاحاً أو منظومة عقلية أو توجهات عاطفية أو نحو ذلك»<sup>١</sup> لذلك فالمقام عنصر أساسي لمعرفة الخطاب، وليس إطاراً هامشياً له.

وهنا لا بد من التذكير أن النص ليس مرادفاً للخطاب، فقد يختلط مفهوم النص بمفهوم الخطاب، إذ النص يتعدى الجملة وكذلك الخطاب، فالتشابه الشكلي قائم، ولكن هناك فوارق من حيث الماهية، ولعل رؤية بيوجراند (Beaugrande) عن ماهية الخطاب اللغوي تحل ذلك الإشكال حيث يرى أن الشكل اللغوي لكي يكون خطاباً فإنه يخضع لمعايير سبعة، وهذه المعايير هي: التماسك (Cohesion) والاتساق (Coherence) والمقصدية (Intentionality) والمقبولية (Acceptability) والإفادة (Informativeness) والمقامية (Situationality) والتناص (Intertextuality)<sup>٢</sup>، فالتماسك من حيث تركيبه النحوي، ومتسق من حيث أصول التخاطب المنطقية، وذو خاصية مقاصدية، ومقبول من جهة المخاطب، وذو فائدة، ومرتبطة بمقام ما، وبه تناص يشير إلى عناصر خارج النص.

بعد هذه المقاربة التي رمنا من خلالها كشف ماهية الخطاب اللغوي لكونه الشكل اللغوي الرئيسي لمعرفة مقاصد المتكلم نستطيع تفكيك خطاب أتباع ابن الزبير من خلال نظرية المسالك والغايات.

٤- نماذج تحليلية:

لقد وضع الباحث محمد محمد يونس الملامح الأساسية لنظرية المسالك والغايات في كتابه تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، وهي نظرية تشدد على سمة « الغائية »<sup>٣</sup>، التي تتفرع منها ثلاثة مفاهيم وهي المقصد والغرض والغاية، وهي مفاهيم -لاشك- ترادف مفاهيم أخرى ليس هنا مجال التفصيل فيها، والذي يهمننا في هذا البحث استثمار مصطلح المسلك والغاية.

فالمسلك مصطلح شاع في كتب التراث وهو مستعمل في بعض الدراسات اللسانية إما بهذا اللفظ أو بلفظ الاستراتيجية، وإن كان الأخير أكثر شهرة، إلا أن الباحث محمد محمد يونس على يُفضل مصطلح المسلك لأعتبارات موضوعية، واختصاراً فالمسلك هو الطريق والمذهب والطريقة الدقيقة المتسلسلة بإتقان، فإذا اسقطنا هذه المفردات على الفكر اللغوي التخاطبي سوف يظهر لنا المصطلح جلياً وهو « الطريقة في التعبير ترتبط بخطة ذهنية بسيطة أو مركبة ترمي إلى استثمار بعض المعطيات الوضعية أو السياقية أو القدرات المنطقية أو الأصول التخاطبية أو الوسائل الخطابية المتاحة أو أكثر من نوع منها لتحقيق غاية أو أكثر من غايات التخاطب»<sup>٤</sup>.

١- علي، محمد محمد يونس، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٦م، ص١٩.

٢- p.3. -٢ De Beaugrande, R., & Dressler, W. U, Introduction to text linguistics (London: Longman, 1981) ينظر، علي، محمد

محمد يونس، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ص١٩-٢٢)

٣- علي، محمد محمد يونس، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ص٧١.

٤- الكتاب نفسه، ص٧٨

أما الغاية فهي مدى الشيء، وهي أقصياه ومنتهاه،<sup>١</sup> أي ما يرمي إليه القائل سواء باللفظ أو غيره من أدوات التخاطب، فإذا كان المعنى من نتائج اللغة والوضع فإن المقاصد من نتائج الكلام والاستعمال<sup>٢</sup>، وعليه فالمعاني غير المقاصد، والغايات التي يرمي إليها المتكلم، فالمعنى موضوع ذهني يرتسم في ذهن الإنسان بعدما يتلقى مدلولاً ما، أما المقصد والغايات فهي تتجلى من المدلول المتسق مع القرائن المحيطة به، فإذا حُررت المعاني والمقاصد وفق النسق اللغوي فإن المعنى يظهر من المدلول اللغوي، في حين أن المقصد والغايات تتبدى من عناصر لغوية، وأصول منطقية، وأصول تخاطبية.

فالخطاب مكون من نظام، والنظام في مستوى التجريد فإنه مسؤول عن ضبط التركيب من خلال ضبط الصياغة اللغوية "نحوياً" ينتج عنه صورة سطحية (معنى أول)، وقد يؤلف المخاطب وفق قواعد منطقية فتتشكل دلالة، وهذا (معنى ثان)، وعند خروج هذين المعنيين إلى فضاء الاستعمال في سياق كلامي وفق مقام ما فإننا نقترّب من الوصول إلى المقاصد والغايات.

ينبغي ألا يعزب عن بالنا أن المقاصد ترد في كتب التراث تعبيراً عن المراد وهو مستوى يشمل المعنى الحرفي وغير الحرفي من الجملة شريطة قدرة هذين الآخرين على حمل رسالة المخاطب إلى المخاطب، ولكن أيضاً يرد مصطلح المقاصد على الغايات التي وُضعت الشريعة لتحقيقها،<sup>٣</sup> كما يرى الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ) - وتنقسم إلى مقاصد عامة ومقاصد خاصة، والفرق بين المصطلحين أن المقاصد تأتي باعتبارها من جهة قصد المتكلم من أجل الإفهام وتبليغ الرسالة، فالأولى مسائل إدراكية يتوصل من خلالها للغايات، أما الثانية فهي المراد من الملفوظ ويحمل رسالة لغوية، وهذا الأخير معتبر في اللسانيات الحديثة مثل: «الفحوى (force)»، ومعنى الجملة (sentence meaning) ومعنى القولة (utterance meaning) ومعنى المتكلم (the speaker's meaning)»<sup>٤</sup> وغيرها.

ونظراً إلى طبيعة المقطوعات التي سندرسها المتشكلة في لحظة زمنية معينة، ومصطحية لأحداث تاريخية محددة، وترمي إلى رسائل خطابية مرادة فإن الغايات الكلية لهذه المقطوعات لا تكاد تخلو من سمة تاريخية أو اجتماعية أو دينية أو أخلاقية، وبما أنها جاءت في قوالب أدبية فهي ذات سمة فنية. وابتعاداً عن التنظير سوف نتعامل مع بعض المقطوعات الشعرية لأتباع ابن الزبير باعتبارها ملفوظات مكانية حضارية؛ إذ حركة معانها تتعدى المبنى إلى المعنى، لكن المعنى يدخل في سيرورة متوالية يمكن رصدها من خلال القيم التي استخلصناها من نتاجهم الشعري، وعليه سوف ننتقي منها ما يثبت ما زعمناه في بداية البحث، وبهذا يمكن حزم القيم الميثوقة في نتاجهم الشعري في ست قيم، وسنذكر بعض المقطوعات الدالة على ثلاثة قيم مما سنذكره في النقاط الآتية، وهي:

<sup>١</sup> ابن منظور، لسان العرب (الغاية، مادة غيا)

<sup>٢</sup> علي، محمد محمد يونس، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى (ص ٩٣)

<sup>٣</sup> ينظر، الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، المواقفات، دار ابن عفان، القاهرة، ط ١٤١٢ هـ / ١٩٩٧ م (٢ / ١٦-٧)

<sup>٤</sup> - حُصرت هذه الأشكال في كتاب علم التخاطب الإسلامي، ينظر، علي، محمد محمد يونس، علم التخاطب الإسلامي ص ٦٢

- ١- ضرورة اتباع سيرة الخلفاء الراشدين
  - ٢- الدعوة إلى الطريقة الإسلامية في الاستخلاف
  - ٣- إقامة أمر الله
  - ٤- صون العقيدة الإسلامية من التبديل والتغيير
  - ٥- اختيار أهل الحل والعقد
  - ٦- حماية حقوق الأمة
- سنتبع القيم السالفة بحسب النموذج التحليلي الآتي:
- ١- ضرورة اتباع سيرة الخلفاء الراشدين:
  - أ- أنشد نابغة بني جعدة ابن الزبير قائلاً:

البيت الشعري	دواعي إلقائه والمسلك	المعنى العام	الغرض	الغاية
حَكَيْتَ لَنَا الصِّدِّيقَ مِمَّا وَلَيْتَنَا وَعُثْمَانَ وَالْفَارُوقَ فَارْتَاخَ مُعَدِّمُ وَسَوَّيْتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَقِّ فَاسْتَوَوْا فَعَادَ صَبَاحاً حَالِكُ اللَّيْلِ مُظْلِمُ	الإخبار	تذكر سيرة الخلفاء الراشدين	المدح	التأثير

لم يتقصده النابغة بني جعدة المديح والثناء من أجل المال، فقد كان ابن الزبير لا يعطي الشعراء، ولا يصرف مال المسلمين إلا في وجه حق، لكن الشاعر بلغ رسالته بالدعوة التي اتضحت لنا في الغاية القيمة التي كان يضمنها في شعره، وهو التأثير في ابن الزبير بأن يلزم سيرة الخلفاء ولا يعدو عنها، فقد سلك مسلك الانحياز، والغاية من المدح ترسيخ قيمة العدل التي جعلت من الليل المظلم صباحاً مشرقاً على المسلمين، فلم تزل الحالة الحضارية عند المسلمين تستمد تعاليم العدل وصيانة الحقوق من جيل عاصر النبي صلى الله عليه وسلم.

ب- وهذا الشاعر عبدالله بن الحجاج يعقد مقارنة بين بني مروان وبين ابن الزبير، فهذه مقارنة في مدى توافر العنصر القبلي في ابن الزبير وفيه دعوة صريحة للعودة لسيرة الخلفاء<sup>١</sup>، وتفوق ابن الزبير على غيره في صفات تستميل الرأي العام للانحياز لطرف على طرف، وفي هذا يقول الشاعر:

البيت الشعري	دواعي إلقائه والمسلك	المعنى العام	الغرض	الغاية
	الانحياز لابن	مقارنة	المقارنة	التأثير في

١- ديوان النابغة الجعدي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط، ص ٢٠٤

٢- البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١/ ٢٦٢٢



الرأي العام		يتفوق فيها ابن الزبير على بني مروان	الزبير	أتطلب شأو ابن الزبير ولم تكن تكلفت أمرا لم تكن لتناله فمهلا بني مروان لستم بزيادة إذا التقيت الأبطال كنتم ثعلبا	لتدركه ما حج لله راكب طوال الليالي أو تنال الكواكب إذا ما التقيت يوم اللقاء الكتائب وأسد الشرى في السلم عند الكواكب
-------------	--	--	--------	--	--

ج- عمرو بن هند النهدي أعلن مديحه لأبناء الزبير فهم أهل المجد والمكرمات<sup>١</sup>، فلا يجتمعون إلا على القيم الرفيعة، ولهم سابق فضل على غيرهم في حماية حى المسلمين والذود عن القيم الإسلامية الرفيعة.

البيت الشعري	دواعي إلقائه والمسلك	المعنى العام	الغرض	الغاية
ألم تر أولاد الزبير على المجد ما تحالفوا صامت قريش وصلت هم منعوا البيت أمية تاهت في الحرام فأصبحت البلاد وضلت قريش غياث في غياث قريش حيث السنين وأنتم سارت وحلت ألم تر أولاد الزبير على المجد ما تحالفوا صامت قريش وصلت	وصف لتحالف أبناء الزبير على القيم العليا	أحقية ابن الزبير بالخلافة	تذكير الناس بفضائل أبناء الزبير	الاستمالة

٢- الدعوة إلى الطريقة الإسلامية في الاستخلاف

قضية الاستخلاف من أهم القضايا، وكان الابتعاد عن سنن الخلفاء الراشدين يعد انتهاكا واضحا للقيم الإسلامية واستبدالها قيما مستحدثة تشبه قيم الأكاسرة الذين ترسخت فكرة الطغيان عنهم في العقل الجمعي للمسلمين، فهذا عبدالله بن همام السلوي يُحذر من هذا الاستبدال فيقول:<sup>١</sup>

١- المزباني، معجم الشعراء، ص ٤٥

الغاية	الغرض	المعنى العام	دواعي إلقائه والمسلك	البيت الشعري
التأثير من أجل التمسك بسنة الخلفاء الراشدين	التنبيه	التوريث سنة متحدثة أشبه بسنة الأكاسرة	التحذير من تغيير سنة الاستخلاف	إذا ما مات كسرى قام كسرى نعدُّ ثلاثة مُتتَابِعِينَا وكلُّ الناسِ نحنُ مُبَايَعُوهُ وإن شئتم فعمَّكم السمينَا وإن جئتم برملةً أو بهنْدِ نُبَايعُهَا أَمِيرَةَ مُؤْمِنِينَا نثبت ملكُكم وإذا أردتم بنا الصَّلَاءَ قُلْنَا مُخْبِتِينَا فيا لهفي لو أن لنا نُوفًا ولكن لن نعود كما غنينا إذا لُضِرْتُمْ حتَّى تعودوا بمكة تلحسون بها السَّخِينَا حُشِينَا الغيظَ حتَّى لو شَرِينَا دماء بني أمية ما زوينا

٣- إقامة أمر الله

لم يخش الشعراء من مخاطبة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير، وخصوصاً في إقامة أمر الله تعالى، وتنفيذ حدوده، وجعل القانون فوق الجميع، فهي قيم ورثها ابن الزبير، وعاهد أصحابه عليها، فهذا ابن همام السلولي يشكو مرثد بن شرحبيل، ويطلب من أمير المؤمنين وعزله في أبيات جريئة معلنة عند الجميع، ولم يخش الشاعر على نفسه فالمزاج العام اعتاد على مخاطبة الأمراء وتذكيرهم بإقامة أمر الله، وهذه الأبيات الآتية دالة على ذلك:<sup>٢</sup>

الغاية	الغرض	المعنى العام	دواعي إلقائه والمسلك	البيت الشعري

١- ديوان عبدالله بن همام السلولي، ص ١٠٥

٢- ديوان عبدالله بن همام السلولي، ص ٩٥

التغيير	التنبية	إقامة القانون	الشكوى من العمال
			يا ابن الزبير أمير المؤمنين ألم يبلغك ما فعل العمّال بالعمل باعوا التجار طعام الأرض واقتسموا صلب الخراج شحاحاً قسمة النفل وقدموا لك شيخاً كاذباً خذلاً مهما يقل لك شيخ كاذب يقل وفيك طالب حقّ ذو مرّانية جلد القوى ليس بالواني ولا الوكيل اشدد يدك بزید إن ظفرت به واشف الأرامل من دُحروجة الجعل إنا مُتينا بضبّ من بني خلفٍ يرى الخيانة شرب الماء بالعسل

الخاتمة

البحث إعادة قراءة الخطاب الشعري لأتباع ابن الزبير قراءة تتجاوز ثنائية اللفظ والمعنى إلى تحليل في المرجعيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية التي أوجدت هذه المقطوعات الشعرية المبثوثة في كتب الأدب العربي القديم، وأكسبتها شيوعاً وتوارثاً بين الأجيال، فلم تكن مقطوعات الزبيريين قالباً شكلياً فارغاً للاستئناس اللغوي والفني، وإنما انطوت على مبادئ تداولية من خلال سماتها التأثيرية والحجاجية، فثمة عناصر صريحة مثل المكان، وهناك عناصر غير صريحة مثل الشخصيات والأحداث، والخطاب الشعري يرمي إلى إنجاز أفعال ولا يكتفي بوصفها، وقد برهننا على ذلك من خلال تتبع المسالك والغايات في أشكال مبسطة للتوضيح، وعليه منحتنا تلك المقطوعات الزبيرية قيماً وأطراً وفهماً عميقاً لمرجعيات فنية واجتماعية خاصة بالثقافة الإسلامية آنذاك.

## المصادر والمراجع

- ابن كثير، البداية والنهاية، دار المعارف، بيروت، ج ٢
- ابن منظور، لسان العرب (الغاية، مادة غيا)
- البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١/٢٦٢٢
- المصطفى، محمد نافع، الزبيريون في التاريخ والأدب، دار البشير
- عبدالرحمن، طه، في فصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، البيضاء
- علي، محمد محمد يونس، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى
- شارودو باتريك، منغو دومينيك، معجم تحليل الخطاب
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات، دار ابن عفان، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م (٢/١٦-٧)

## تحليل النص بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة: السمات والإجراءات

الدكتور/ محمد صالح الشيزاوي<sup>١</sup>

## الملخص

إن السؤال عن مفهوم البلاغة يتكرر مع كل مشروع أو محاولة بلاغية؛ لأن مكونات الدرس البلاغي وموجهاته واتجاهاته تفرض مفهومها الخاص<sup>٢</sup>؛ لأن مفهوم البلاغة تاريخي<sup>٣</sup> يتغير بحسب الثقافات والبيئات؛ وعليه فلا يمكن حصر البلاغة في اتجاه واحد، إذن فنحن أمام بلاغات متعددة تدعي كل واحدة منها امتلاك الأحقية<sup>٤</sup>، وإن كان ما تقدمه تلك المحاولات من مفاهيم أو أطروحات نظرية مهماً؛ فإن الأهم منه ما تنجزه من تحليلات تطبيقية وتفسيرات بلاغية لتوظيف الصور الفنية في خدمة السياق ومناسبة النص.

## المقدمة

فإذا استثنينا من المشتغلين بالبلاغة الزمخشري وحازم القرطاجني نكاد لا نجد بلاغيًا في مستوى عبد القاهر أو الجاحظ، ونكاد لا نجد من طور الملاحظات البلاغية، أو من سعى بها لتكون أكثر ألقًا ووضاءة، بل على العكس من ذلك نجد أن البلاغة بعد أن وصلت إلى القمة انحدرت على السطح الآخر من الجبل، يعود ذلك إلى أسباب وعوامل تتعلق بالمتغيرات التي طرأت على سيرورة المجتمع العربي، فبعد أن وصلت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوجها بدأت تنحسر عن الساحة بسبب عوامل خارجية تمثلت في الغزو المغولي الآتي من الشرق، فحين سقطت بغداد عام (٦٥٦هـ) تحت سناك الجيوش المحتلة تغير لون دجلة بسبب الكتب الكثيرة التي أغرقت، غير الذي سرق، ولحق ذلك بعد ذلك طلائع التصرانية والجيوش الصليبية لتستعمر المنطقة، وتنخر في جسد الأمة وتعمل على تقويضها، ولا ننس تمزق الأندلس وانهارها؛ فكان لهذه الحروب والغزوات تأثير كبير في الفكر العربي والإسلامي، وإضافة إلى تلك العوامل الخارجية عوامل داخلية يمكن أن نحصرها في الأمور الآتية:

- ١- تحول البلاغة إلى قوالب جامدة ومحفوظات، عند محاولة جعلها علمًا كسائر العلوم التي لها قواعدها الثابتة، وأحكامها المعيارية.
- ٢- غلبة المنطق على الذوق، ومن المعروف أن الدائقة المصقولة أو المثقفة هي عماد الإبداع الأدبي.
- ٣- شيوع النظم مقابل الشعر، وفرق كبير بين الشعر وما يملكه من خصائص، والنظم الذي لا يرى فيه إلا الوزن والقافية.

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

<sup>٢</sup> عبد الرزاق، أبو عافية محمد، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة (قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة)، مؤسسة حسين راس الجبل، الجزائر، ٢٠١٨ (ص: ٨٨).

<sup>٣</sup> العمري، محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٣ (ص: ١١).

<sup>٤</sup> عبد الرزاق (ص: ٢١٩).

٤- تحوّل النّوع أو الكيف إلى كم عددي، فبعد أن كان التّراكم المعرفي هو سبيل التّمييز أصبح الكم العددي هو أسّ التفاضل.

وقد ترتّب على ذلك قولبة البلاغة، وغلبة التّفريع على التّأصيل، فبدلاً من أن ينحو البلاغيون نحو الرؤية الكلية الشّمولية -كما فعل الجرجاني- أخذوا يفرعون الفرع إلى فروع، التي أدّت إلى التحجّر والتّعصب والحفظ والاجترار هو بعض القيم السّائدة، وأصبح النّصّ البلاغيّ هو الذي يحوي عدداً من الاستعارات بغضّ النّظر عن وظيفتها وقيمتها.

وقد طغى هذا الوضع على البلاغة العربيّة قرونًا حتى أصبحنا مضطرين إلى امتلاك أدوات معرفيّة بلاغيّة جديدة نستمدّها أول ما نستمدّها من العصر الأزهر للبلاغة العربيّة، عصر عبد القاهر الجرجانيّ، فالبلاغة الجديدة تقوم على التّحليل الوجداني لا العقلي، وإذا كان العقل والمنطق هما المسيطران على البلاغة القديمة، فإنّ الفِكر والوجدان هما المسيطران على التحليل وفق البلاغة الجديدة.

والانتقال من البلاغة القديمة إلى البلاغة الجديدة ليس انتقالاً من أنموذج عربي إلى أنموذج غربي، يقول الدكتور نعيم اليافي -رحمه الله- في إحدى محاضراته: «أرى أن البلاغة الجديدة لم تخرج في دراستها للمسألة في معظم تجلياتها عما ذكره عبد القاهر الجرجاني لاسيما من هاتين الزّاويتين: زاوية حركة النفس، وزاوية الفن أو حركة التّشكيل»<sup>١</sup>.

#### السمات بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة

لنتعرف الفرق بين وجهة نظر كل من البلاغة التقليدية والبلاغة الأسلوبية لابد أن نقارن بين

سماتهما:

سمات البلاغة الجديدة	سمات البلاغة القديمة
- تقوم على معايير مشتقة من النّصّ. وتعدّ انتهاك قواعد المعيار من أهم سمات الأسلوب الأدبي.	- تقوم على معايير مسبقة الصنع، فترى القول البليغ في موافقته لمقتضى الحال، وتتجاهل الانزياح الأسلوبي، تاركة أمره لقواعد النحو.
- توصيفية تشرح العلاقات وتوضحها، ولا تصدر الأحكام والمعايير.	- تنحو نحو القيم والمعايير والأحكام.
- تحلل التراكيب على ضوء الأنساق، فتتناول المسلك الأسلوبي في تفاعل المكونات: الصوتية، التركيبية، والدلالية.	- تعزل تركيباتها عن الأنساق، وتتناول كلّ مكون بمعزل عن الآخر: البيان، المعاني، والبديع.
- لا تتحدث عن المتلقي، وإنما عن نص له علاقات	- تركز في مقتضى الحال على موقف المتلقي.

<sup>١</sup> سمعت ذلك منه ودونته في محاضرة ضمن مقرر البلاغة العربية في جامعة الكويت في العام ١٩٩٨.

وشبكات بناء التعبير.	- تؤسس ذاتها من خلال الأغراض.
- تؤسس ذاتها من خلال الوظائف.	- تطبق القاعدة البلاغية على عدد متناهِ، أو غير متناهِ من العبارات الأدبية وغير الأدبية.
-تطبق القاعدة الأسلوبية مرة واحدة في النص الذي اكتُشفت فيه، ولا تقبل النقل أو التعميم.	-لا تتوافر على تطبيق يؤدي معنيين مختلفين للمسلك البلاغي الواحد؛ لذا تنتهي إلى نتيجة واحدة تُعرف مسبقًا، ويشترك فيها كل من تعلّم البلاغة.
- تمكّن من تعدد القراءات للمسلك الأسلوبي الواحد، فتسمح بتباين نتائج التحليل تبعًا لاختلاف القراء.	

فقد عدّت البلاغة القديمة -مثلًا- الذكر أصلًا في التعبير، والحذف فرعًا، واشترطت له وجود قرينة تسوّغه، وأما البلاغة الجديدة فقد رفضت هذا التّفريع، وجعلت النص المضمر والقطع والغياب أصلًا، ولم تشترط وجود القرينة؛ لأنّ هذه الظواهر في الأصل وجدانية متصلة بالمجاز الذي يقوم على الانحراف في الدلالة والتّعبير.

وإذا كانت البلاغة القديمة قد عزلت التركيب عن سياقه نتيجة لطغيان الاتجاه التعليمي؛ فإن البلاغة الجديدة ردّت التركيب إلى سياقه تبعًا للاتجاه التدوقي الجمالي، وهذا هو المسلك الذي سلكه عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) -ولا عجب أن يفوق في هذا العرض كل ما قاله القدماء- فقد رأى أنها يجب أن تُحلّل من زاوية النفس، وزاوية الفن، فمن الناحية النفسية كلّ ذكر أو حذف لا بدّ أن يرتبط بحركة النَّفس أو بالدلالة النَّفسية، وإنّ تباين التركيب ينعكس عن تباين في الوضع النَّفسي للمتكلم والمتلقي على حد سواء. وأما من الناحية الفنية فقد رأى أن المسألة لا بدّ أن يُنظر إليها من الزاوية الجمالية حتى نتبين مظهر التشكيل وبيانه وإعجازه في هذه البنية أو تلك<sup>١</sup>، ونوضّح ذلك من خلال مثالين:

**المثال الأول:** في قول موسى عليه السلام: (هِيَ عَصَايَ) [طه:١٨]. جاء هذا ردًّا على سؤال الله تبارك وتعالى: (وَمَا تَلُكُ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) [طه:١٧]. وكان يكفي موسى عليه السلام أن يجيب بقول: (عصا)، ولكنّه ذكر المبتدأ أولًا، ثم نسب العصا ثانيًا فأضافها إلى نفسه، ثم استمر في الحديث عن العصا ثالثة، من حيث وظيفتها (أَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا وَأُشُّقُّ بِهَا عَلَىٰ غَنِيِّ وَيَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى) [طه:١٨]. قصدًا منه -عليه السلام- إلى إطالة الحديث تلذدًا بمناجاة ربه العظيم، ومن هنا فإنّ الذكر قد أدّى وظيفة دلالية نفسية وتعبيرية مهمّة هي الانسراح والتلذذ.

**المثال الثاني:** نقارنين آيتين وردتا في سياقين مختلفين الأولى في سورة الزمر، والثانية في سورة الزخرف، يقول الله تعالى في الأولى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [لقمان:٢٥]. ويقول في الثانية: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) [الزخرف:٩].

<sup>١</sup> دلائل الإعجاز (ص: ٥٤٦).

نلاحظ أنّ الآية الأولى اقتصرّت في نهايتها على إبراز الفاعل (الله)، وحذفت الفعل، في حين أنّ الآية الثانية ذكرت الفعل، وأبدلت اسمين من أسماء الله الحسنى باسم الله الأعظم، وإذا عدنا إلى بنية سياق النصّ في الآيتين اتضح لنا ذلك السرّ، فالآية الأولى وردت في معرض الحديث عن الوجدانية، وهو الحديث القطعي الذي لا يحتمل الشك ولا الريب، فحذف الفعل وجاء بالفاعل؛ ليقطع النصّ دابر التساؤل عن الخلق والخالق، فالمجال هنا مجال بت قاطع لا يحتمل التردد ولا يسع الشك واللبس، فاقتصر النص على ذكر الله. وأما سياق الآية الثانية فالأمر فهممختلف؛ لأن الخطاب فيه عن التساؤل في فعل الخلق وعن علمية الخلق والإيجاد، وليس عن الله؛ والأمر هنا محتاج إلى مجادلة؛ لذلك ذكر الفعل ثم ذكر ما يتلاءم مع فعل الخلق بصفيتين ترتبطان به هما: العزّة والعلم.

### موقف البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة من النماذج المفردة

عرف القدماء الفصاحة بأنها (خلوص الكلام من التعقيد المعنوي واللفظي، وتكون في الكلمة كما تكون في التركيب)١. ومن هنا فقد حددوا فصاحة الكلمة على أساس السلب أو النفي بشروط أربعة٢:

- ١- الانسجام، ويقابله عدم التنافر.
- ٢- الألفة، ويقابلها عدم الغرابة.
- ٣- الجزالة، ويقابلها عدم الابتذال.
- ٤- المقيس، ويقابله الشذوذ بالخروج على المقياس سواء أكان هذا المقياس صرفياً أم نحوياً أم لغوياً.

لذا استهجنوا مفردة (مُسْتَشْرَات)؛ لوجود ثلاثة أحرف متقاربة في مخارجها هي السين والشين والزاي٣، كما استهجنوا قول عيسى بن عمر النحوي -وقد سقط عن دابته- مخاطباً من تجمّع حوله: (ما لكم تكأكتُم عليّ كَتَأَكْتُكُمْ على ذي جِنَّةٍ افرْتَقِعُوا)٤، فجعلوا كلمتي: (تكأكتُم، وافرْتَقِعُوا) غير فصيحيتين؛ لأنّهما غريبتان نابتان عن الذوق، كما رأوا أنّ كلمة (بعر) (أبعر) لا تمتان إلى الفصاحة بصلة؛ لأنّهما من المبتذل الرخيص.

أما البلاغة الجديدة فتقوم بردّ الكلمة إلى سياقها ونسبها، ثم تحكم على فصاحتها من خلال الواقعية والوظيفية، وأول ما نلاحظه على الأمثلة أنّها نادرة ومحدودة ومتكررة في كلّ كتب البلاغة، ولا تكاد تصل في مجموعها إلى عدد أصابع اليد، فلو أعدنا كلمة (مُسْتَشْرَات) التي حُكِم عليها بعدم الفصاحة إلى مكانها في نصّ امرئ القيس، وهو يصف شعر المرأة٥:

وَفَرَعٍ يَزِينُ المَثْنَ أسودَ فاجِمٍ ... أثيبُ كَفْنُو التَّخْلَةِ المُتَعَثِّكِلِ

١ السيوطي، معجم مقاليد العلوم. (ص: ٩٤)؛ والمؤيد بالله، الطراز (٣/٢٢٧).

٢ المؤيد بالله، الطراز (١/٥٧)؛ والسبيكي، عروس الأفراح (١/٧٨).

٣ خنكّة، عبد الرحمن، البلاغة العربية (١/١١٢)، القزويني؛ و عوني، المهاج الواضح للبلاغة (١/٩).

٤ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (١/٢٤).

٥ ديوان امرئ القيس (ص: ٤٣).

عَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا ... تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُتْنِي وَمُرْسَلِي

سنلاحظ أن كلمة (مُسْتَشْزِرَات) التي تحكم عليها بأنها غير فصيحة نتيجة تجاور الحروف الثلاثة، نستطيع أن نعيد النَّظْرَ فيها على ضوء نسقها ووظيفتها؛ فترى أنها كلمة معبّرة جاءت ترسم وتصوّر في آني واحد تداخل شعر الفتاة تداخلاً شديداً، وهو ما أراد الشاعر تصويره.

وبالطريقة نفسها نستطيع أن نعيد النَّظْرَ في بعض الكلمات التي رُئي أنها غير شعريّة، ولنضرب لذلك مثلاً بكلمة (بعر) التي حُكم عليها بالابتدال فقد ورد البيت ١:

تَرَى بَعَرَ الْأَزَامِ فِي عَرَصَاتِهَا ... وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلٍ.

جمال هذا البيت وفصاحته ندركما بالعودة إلى عصره الجاهلي، وفق زمانه ومكانه وطبيعة خياله، فهذا الشاعر الجاهلي حين أورد كلمة (بعر) إنما كان يستعمل كلمات يعرفها، وهي أليفة بالنسبة إليه، ومعبرة عما يريد ومصورة لواقع يعيشه، ومن هنا نستطيع أن نقول: إنها كلمة أتت في مكانها المناسب وليست مبتذلة، وعلى ضوءها لا تُعدّ كلّ الكلمات التي ترد في أمكنتها مبتذلة حتى لو كانت عامية، فما يجعلها مبتذلة أو غير مبتذلة إنما هو الوظيفة الشعريّة التي تؤدّيها، وما دامت هذه الألفاظ وأمثالها قد رسمت جمالاً محدداً فقد أدّت غرضها، وهذه الظاهرة ترد في الشعر الحديث والمعاصر بصورة لافتة في الشعر النبطي كما في الشعر الفصيح؛ ومن الظلم أن نحكم عليها بمجرد ورودها بالابتدال.

ومن الأمثلة –أيضاً- مخالفة القياس النحوي والعروضي والبلاغي نحو بيت المتنبي ٢:

فإن يكُ بعضُ الناسِ سيقاً لدولةٍ ... ففي الناسِ بوقاتٌ لها وطبولُ

فاعترضوا على كلمة (بوقات)، وقالوا: إن القياس (أبواق)، فبوق تجمع على أبواق وليس على بوقات، ومن يحلّل هذا البيت يعرف أن المتنبي قصد قصداً إلى إيراد كلمة (بوقات) كما هي؛ لأنه في سياق يمدح فيه سيف الدولة ويهزأ بالآخرين، وكلمة (بوقات) جاءت في مكانها لتصوّر حال هؤلاء الخصوم، فهما أبواق خربة فاسدة مشوهة تبعاً لفساد الجمع وتشوهه في (بوقات).

هذا فيما يتعلق بالمفردات الفصيحة، أما ما يتعلق بالتركيب فقد اشترطوا لفصاحتها أن تخلو من التعقيد اللفظي والمعنوي، وفسروا ذلك مرة بالصعوبة، ومرة بالتنافر بين المفردات، وثالثة بضعف التأليف أو النظم، وساقوا لذلك أمثلة منها ما نسهل العرب إلى أحد شعراء الجيّن أنه قال ٣:

وقبُرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ... وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

فقالوا تعليقاً على هذا البيت: إن المفردات في ذاتها فصيحة، لكن انتظامها في هذا البيت بتوالي القافات غير فصيح. وهذا البيت الذي مثلوا به فرد واحد كُرّر آلاف المرات، فمنذ القرن الثاني الهجري حتى الوقت الحاضر وهذا البيت يشار إليه أنموذجاً للتنافر بين الكلمات، صحيح أنّ فيه تنافرًا، لكن القاعدة

١ ديوان امرئ القيس (ص: ٢٢).

٢ الحريري، درة الغواص (ص: ٢٣٣).

٣ الجاحظ، البيان والتبيين (١/٧٤).



البلاغية اشتقت من النصوص الشعرية وليس من هذا البيت النشاز، لذلك لا يستبعد أن يكون هذا البيت قد صنع من أجل التمثيل به على ذلك التنافر، أو ربّما قائله قد نُظمه متحدثًا غيره أن ينطق به مكرّرًا من دون خطأ.

ومن أمثلتهم أيضا قول أبي تمام<sup>١</sup>:

كريمٌ متى أمدّحه أمدّحه والورى ... معي وإذا ما لُمْتُه لُمْتُه وحدي.

وعلقوا عليه بأنّ التكرار فيه غير فصيح. غير أنّ مجرد التكرار لا يمكن أن يكون سببًا لعدم الفصاحة؛ لأنه ظاهرة فنيّة موجودة في القرآن وفي غير القرآن، وهو أسلوب تعبيرى رائع ذو غايات بلاغية ومعنوية، وأزعم أنّ أبا تمام كرر كلمة (أمدحه) عن قصد، لذلك جاءت اللفظة الثانية تأكيدًا للمعنى الذي يتوخاه الشاعر في الشطرين على حد سواء، فإن أضفنا إلى ذلك زيادة المعنى في الحالة الأولى الورى (الناس) كلّهم يمدحونه معه، وأنه وحده يتلوّمه عرفنا مبلغ الفصاحة في هذه المفردات.

وخلاصة هذا ما يأتي:

- (١) قلة الشواهد التي استعملها القدماء للتعبير عن آرائهم.
- (٢) تكرار تلك الشواهد في كتب البلاغة.
- (٣) افتعالها وتصنّعها في بعض الأحيان.
- كانت طريقتهم في رؤيتها بعزل المفردات عن سياقها، والنظر إليها بشكل مستقل.
- (٤) الطريقة الأمثل في رؤيتها كطريقة (الرجاني) في نظرية النظم أن نعيدها إلى بنيتها وسياقها، وأن ننظر إليها نظرة كليّة وعضويّة.
- (٥) إن مفهوم الجمال مفهوم شموليّ كليّ وليس جزئيًّا.
- (٦) الفصاحة أمر نسبيّ؛ لأنه يعتمد على الذوق والتلقي وهما متغيّران.
- (٧) الزمان والمكان والذوق عوامل مؤثّرة في التحوّل وفي الحكم الجماليّ على حدّ سواء.

موقف البلاغة القديمة والجديدة في تحليل النصوص الكاملة

(أ) سورة القارعة

(١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١).

أولاً: تحليل النصّ على ضوء طريقة البلاغيين القدماء، إذا استثنينا عبد القاهر الجرجاني:

\* أتسم منهج القدماء بما يأتي:

١- فصل التشبيهات عن سياق النصّ.

<sup>١</sup> الأمدى، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (٣/٥٨٧).

٢- حصر التّشبيّهات في آيتين، أوفي خطين من التّشبيّهات هما:

(يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْتُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ).

٣- ثمّ تحليل هاتين الصورتين التّشبيّهيتين على النحو الآتي:

أ- قالوا: إنّهما تشبيّهان مرسلان؛ لوجود الأداة، مجملان؛ لأن وجه الشبه محذوف.

ب- حاولوا أن يقدّروا وجه الشبه بالخفة أو الانتشار أو انعدام الوزن.

ج- رأوا من زاوية طبيعة المشبه والمشبه به بأنهما ينتميان إلى حقل الحسيّة (حسي + حسي)

فالمشبهان حسيان هما الناس والجبال، والمشبه بهما أيضاً حسيان وهما القراش والعين.

ثانياً: التحليل على ضوء طريقة البلاغة الجديدة وعبد القاهر الجرجاني، وفق المنهج الآتي:

(١) رؤية الصّور أو النّصوص ضمن سياقاتها دون فصل.

(٢) الحديث عن وظيفتها الجماليّة.

(٣) الحديث عن علاقاتها بالبيئة أو بالنفس، وهو ما يُسمّى في البلاغة القديمة (مقتضى الحال)،

وحتى تحقق هذه البلاغة هذه الخطوات ألغت مصطلح التّشبيه بتفصيلاته وتفرعاته، واتّفقت على

مصطلح واحد هو (صورة تشبيّهية)، وبعد تحديد المصطلح انتقلت إلى التّحليل، فرأته في نطاق النّص كلّ

بمعنى: ماذا يريد النّص أن يقول؟ أو كيف وُظّفت الصّورة التّشبيّهية لخدمة ما يريد النّص؟

يريد هنا أن يصف ملمحاً من ملامح يوم القيامة، فاستعمل مفردة خاصّة به لم تستعمل من قبل،

وكثيراً ما استعمل القرآن مثل هذه المفردات التي أوجدها بداءة نحو: الحاقّة، والغاشية، والواقعة،

والصّاخة... ولكنه استعمل ههنا القارعة، وكلّ لفظ من هذه الألفاظ لا يمكن إعجازياً أن يُستعمل مكان

غيره.

القارعة هنا هي التي تفرع وتدقّ، ونلاحظ في هذه المفردة أمرين: القرع الشديد، وهو وُزْنٌ وثقلٌ

وصوتٌ عنيفٌ طاغٍ ساقطٌ هاوٍ بسرعةٍ مطلقةٍ من أعلى جهاز النّطق، فلا يوجد ما هو أعلى من الألف، ثم

يهوي هذا الصوت على حرف يميّز دون سائر الحروف بالتكرار والتّرجيع، وهو الرّاء، نزولاً منه على حرف

قصيّ مجهور هو حرف العين، انتهاء إلى حرف أقصى في الجوف هو حرف الهاء الذي تنقطع عنده طاقة

الصوت فيتلاشى. وضمن الثّقل أو الوزن والصوت نتذوق ونحلّل سائر الآيات، فكل الآيات بعدها تقوم على

عنصري الوزن والصوت مع القرع الشّديد والوزن الثّقل الذي يجسّده حرف القاف الهاوي بعد ارتفاعه

مع الألف من الأعلى إلى أسفل. إنها القارعة حيث ينفّث الفم بالقاف مديداً مع الألف ثم يهوي بالوزن إلى

الأرض مع ترجيع الرّاء سقوطاً على العين هبوطاً واستقراراً وانتهاءً إلى الهاء الذي يستغرق كل الطاقة

التنفسية.

فما الذي يقابل هذه القارعة التي كُزّرت غير مرة؟ وكلما كُزّرت كان التّركيب أشدّ وأطول ليبدل على

أن ذلك القرع كلما تكرر وقع أشد وأثقل من سابقه، وكل موجة لاحقة أطول من السّابقة حتى ينتهي القرع

وينقطع إيداناً بالحشر والحساب، سيقابل ذلك مشهد الانتشار، حيث التّاس يُبعثرون على الأرض كالقراش

المبثوث المنتشر، وحيث الجبال التي وُجِدَت على الأرض ثقيلة؛ لتحفظ موازين الأرض فلا تميد، يختلف حالها مع القرع الشديد فتصير هباء منثورًا، وهو ما يحدث للناس يوم القيامة حيث يكونون كالفرش المبثوث، صورة تدلّ على الخفة والفراغ، مثلما تدلّ على الخواء والعدم، فلا وزن ولا قوة، وهذا ما يريد أن يلفت القرآن النظر إليه؛ ليدخل إلى القلوب المهابة والجلالة؛ ليجعلهم يؤمنون بالغيب عن طريق المشهد، وهو الموضوع الأثير في السور المكيّة حيث الدّعوة إلى الإيمان بالغيب من خلال إطلاع الناس على التحوّلات الكونيّة والإنسانية التي تطرأ عليها يوم القيامة، ومن يتتبع ربط الحدث في موقف القرآن من الجبال في صورتها في الدنيا، وكيف تؤول يوم القيامة يجد فرقًا واضحًا، لقد صوّرها في الدنيا أثقالًا فوق أثقال، وظيفتها تثبيت الأرض حتى لا تميد ولا تميل ولا تضطرب ولا يختل توازنها، ثم يوم القيامة صورها تصاوير شتى وفق مراحلها، فمرةً يقدمها لنا أنها تمرُّ مرَّ السحاب، ومرةً يقدّمها على أنها هامة لا حركة لها، وثالثة يقدمها على أنها خفيفة، ورابعة على أنها سراب: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) [طه: ١٠٥]. كل ذلك بما يتوافق مع مقتضى الحال وسياق النص.

لم شبه القرآن الجبال بالعين المنفوش؟

أطلق القرآن لفظة العين على الصّوف للدلالة وفق تركيب الكلمة على الخفة وانعدام الوزن، وهذا ما يريد النص أن يخلفه في روع المتلقّي إزاء قوة القرع يوم القيامة حتى يحدث التأثير النفسي أولاً، ويقوم نوعًا من التوازن والتناسب والانسجام الجماليّ في التعبير والأداء، فتتناسب حروف الكلمة مع معناتها وانعدام الوزن، وهكذا خدمت الصّورة الفنية القائمة على التشبيه سياق النص، ومن هنا نفهم لماذا استمر النص في الحديث عن الأمرين معًا حتى نهايته، أمر الثقل والوزن، والخفة والانعدام، فقال: (وَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَةٌ هَاطِيَةٌ)، فكما يعود الوليد إلى أصله - إلى بطن أمه الأجوف- يعود الكافر إلى أمه السعيرة؛ ليتجاوب سقوط القرع ودوي صوته مع سقوط الكافر، وهو يهوي بأمر رأسه إلى الهاوية التي ثبت القرآن علاقتها به (علاقة الكافر بالنار)، أمه الحامية التي أنكرها في الدنيا، فهذه النار التي كنتم بها تكذبون، وعلينا أن نتخيل هذه الهوة السحيقة التي يهوي إليها الكافر يوم القيامة، سقوط أشبه بالقرع الساقط من أقصى ارتفاع حتى يستقر وينتهي إلى أقصى هبوط في أسفل سافلين.

(ب) خميلة الربيع للشاعر عبد الله الخليلي<sup>١</sup>:

وخميلة حالك الربيع بساطها  
خضراً ونمنمها بزهر كاس  
من أحمر مثل العقيق وأصفر  
ومورد زاه كوجنة حاس

<sup>١</sup>ديوان: وحي العبقريّة (ص: ٣٨٥).

غناءً باكرها الحيا فإقأها  
 ثغرٌ ونرجسها ذواتُ نَعاس  
 والياسمين على البنفسج طافحٌ  
 والوردُ جورِيٌّ على منعاس  
 والاس من تحنّ النسيم كأنه  
 مَرَحُ الملبح بقده الميَّاس  
 وكأئما النسرينُ في باقاته  
 أقراط غانيةٍ على مقياس  
 وكأئما الرمانُ أنداءُ المها  
 والكرم يلحفه بليل عاس  
 وكانَّ زغردةَ الهزار بغصينه  
 نغمُ الجِسان تهيِّمُ في الأجراس  
 وكانَّ ترجيعِ البلابلِ حوله  
 داوؤدُ هاجَ بلابلِ الجُلاس  
 وكانَّ وسوسةَ الجداولِ في الدُّجى  
 جلي الكعب برنة الوسواس  
 وكانَّ هيمنة الصِّبا وحفيفها  
 همساتُ مُشتاقين حَوْفِ جِراس

التحليلُ على ضوءِ البلاغةِ القديمةِ

فصلُ التشبيهات عن سياق النصِّ، ثم ننظرُ إليها تقسيماتها بحسب ما وردَ في شجرة التشبيه،  
 سنجد النص يزخر بالتشبيهات بدءًا من الشَّطر الثالث: «...أحمر مثل العقيق وأصفر»، مرورًا بقوله:  
 «ونمنمها بزهر كاس من أحمر مثل العقيق وأصفر»، ثم سبعة تشبيهات أداته أكأن، كلها تشبيهات مرسلة  
 لوجود أدوات التشبيه، مجملة لحذف وجه الشَّبه، الذي نستطيع تقديره في التشبيه الأول: «ونمنمها بزهر  
 كاس من أحمر مثل العقيق وأصفر»؛ تناسقًا وجمالًا، وفي الثاني: «ومؤرد زاه كوجنة حاس» في البروز، وفي  
 الثالث: «والاس من تحنّ النسيم كأنه مَرَحُ الملبح بقده الميَّاس»؛ حفة ورشاقة، وفي الرَّابع: «وكأئما النسرينُ  
 في باقاته أقراط غانيةٍ على مقياس»؛ في لونها وتمائلها، وفي الخامس: «كأئما الرمانُ أنداءُ المها»؛ بروزًا  
 واشتهاءً، وفي السادس: «وكانَّ زغردةَ الهزار بغصينه نغمُ الجِسان تهيِّمُ في الأجراس»؛ تأثيرًا وطربًا، وفي  
 السَّابع: «وكانَّ ترجيعِ البلابلِ حوله داوؤدُ هاجَ بلابلِ الجُلاس»؛ حسنًا وجمالًا، وفي الثَّامن: «وكانَّ وسوسةَ  
 الجداولِ في الدُّجى جلي الكعب برنة الوسواس»؛ خفاءً انسيابًا، وفي التاسع: «وكانَّ هيمنة الصِّبا وحفيفها  
 همساتُ مُشتاقين حَوْفِ جِراس»؛ هدوءًا وعدوبةً.

وكلُّ التشبيهات السابقة قريبة، تنتمي إلى المجالِ الحسيِّ بطرفيها، ما عدا «والأس من تحْتِ النسيم كأنه مَرَحُ المَلِيحِ بِقَدِّهِ المِيَّاسِ» فَطَرَفُهُ الأَوَّلُ حسيٌّ، وطرفه الثاني معنويٌّ. التحليلُ وفق طريقة عبد القاهر الجرجاني، والبلاغة الجديدة:

سنعيد الصور إلى سياقاتها، وننظر إليها من خلال الموقعية، وسنستعمل مصطلح الصور التشبيهية، جميع الصور التشبيهية في النصِّ جادت للقيام بوظيفتين: إحداها جمالية، وثانها فنيّة. الوظيفة الجمالية: الصور التشبيهية تتأزر خدمةً؛ لغرض تصوير أثر الربيع، فمظاهر الربيع في الخميّة تقوم على عنصري الجمال والافتتان، فالجمال حيث العقيق بألوانه الجميلة المتناسقة مع اختلافها، ومزامير داود المتمثلة في أصوات البلابل والطيور، وحلي الكعاب بأصواتها وجمالها. والافتتان حيث تبخر المليح بقوامها لمتمايل، وأثناء المها، وأقراط الغواني، وأغاني الحسناوات، همسات العاشقين.

الوظيفة الفنيّة: أراد الشاعر من خلال الصور التشبيهية أن يدلّل على مكانته الشعريّة، ومنزلته بين شعراء العربية، وإجادته ما أجادوا، فأظهر دقته في وصف الطبيعة، فوصف الربيع كما وصفه البحري مُتخيراً رويّاً يذكرنا بسينيته الشهيرة، فجاءت صورته التشبيهية مُبرهنة على براعته التصويرية، وقدرته التعبيرية.

## المراجع

- الأمدى، الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، تج: عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار ومكتبة هلال، بيروت، ١٤٢٣.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تج: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣-١٩٩٢.
- حَبَنَكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ١٤١٦-١٩٩٦.
- الحريري، القاسم بن علي، درة الغواص في أوهام الخواص، تج: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٨-١٩٩٨.
- الخليلي، عبد الله بن علي، ديوان وحي العبقريّة، وزارة التراث القومس والثقافة، سلطنة عمان، ط٢، ٢٠٠٦.
- الدينوري، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.
- السبكي، أحمد بن علي عبد الكافي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تج: عبد الحميد هنداي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣-٢٠٠٣.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تج: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة ١٤٢٤-٢٠٠٤.
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين، أمالي المرتضى، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٧٣-١٩٥٤.
- عبد الرزاق، أبو عافية محمد، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة (قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة)، مؤسسة حسين راس الجبل، الجزائر، ٢٠١٨ (ص: ٨٨).
- العمري، محمد، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٣.
- عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، تج: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، د.ت.
- المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣.

## الدراسات اللغوية والأدبية ومتغيرات العصر

الدكتور/ عبدالله بن مبارك السعدي<sup>١</sup>

## الملخص

تُعدّ عبارة الجاحظ (ت٢٥٥هـ): " لكل صناعة أفاظ"<sup>(٢)</sup> منطلقاً لدراسة المصطلحات التي تواضع عليها أصحاب كل فن، فكان القدماء يطلقون على المصطلحات أنها (مفاتيح العلوم)<sup>(٣)</sup> التي لا بدّ من فهمها فهماً صحيحاً؛ ليبني عليها ما يبني، وصولاً إلى تقويمها. ولعلّ كتاب (مفاتيح العلوم) للخوارزمي<sup>(٤)</sup> من أقدم المصنفات التي عُيّنت بتعريفات مصطلحات الفنون والعلوم، ثم جاء (معجم التعريفات) للشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)<sup>(٥)</sup>، ثم (التعريفات) لابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)<sup>(٦)</sup>، ثم (الكليات) للكفوي (ت١٠٩٤هـ)<sup>(٧)</sup>، ثم (كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي (ت١١٥٨هـ)<sup>(٨)</sup> وغيرها.

إنّ المتبّع لتاريخ المصطلح يجد أنه يتّرجح بين الأصل اللغوي (المفهوم) الذي استعملته العرب للكلمة، والاستعمال الاصطلاحي (المصطلح) الذي تواضع عليه أهل فن معين، ويتخذ الشكلين الآتيين:  
أولاً: يتطابق الأصل اللغوي مع الاستعمال الاصطلاحي

ف (الفاعل) مثلاً في الأصل اللغوي " إحداث شيء من عمل وغيره"<sup>(٩)</sup> وفي الاصطلاح " هو الهيئة العارضة للمؤثر في غيره بسبب التأثير"<sup>(١٠)</sup>، ومثله مفهوم الفاعل والماضي وغيرها.  
ثانياً: يكون للأصل اللغوي دلالة وللإستعمال الاصطلاحي دلالة أخرى  
ف (الصلاة) مثلاً في الأصل اللغوي تعني "الدعاء"<sup>(١١)</sup>، وفي الاصطلاح عبادة ذات " أركان مخصوصة، وأذكار معلومة، بشرائط محصورة في أوقات مقدرة"<sup>(١٢)</sup>، ومثلها مفهوم الزكاة والسنة وغيرها.

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، جامعة الشرقية، سلطنة عمان

(٢) - كتاب الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده/ مصر، ط٢، سنة الطبع ١٩٦٥هـ، ٣/٣٦٨.

(٣) - ينظر: الخوارزمي (ت٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق: محمد كمال الدين الأدهي، مؤسسة هندواي، دط، سنة الطبع ٢٠١٧م، ص٧.

(٤) - هو محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، من أهل خراسان، يُعدّ كتابه (مفاتيح العلوم) من أقدم ما ألفه العرب على الطريقة الموسوعية، توفي سنة ٣٨٧هـ. ينظر: الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، سنة الطبع ٢٠٠٢م، ٥/٣٣.

(٥) - علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف من كبار العلماء بالعربية.

ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز، له نحو خمسين مصنفاً، منها (كتاب التعريفات)، توفي سنة ٨١٦هـ. ينظر: نفسه، ٥/٧.

(٦) - أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين: قاض من العلماء بالحديث ورجاله، تركي الأصل، تعلم في أدرنه، وولي قضاءها ثم الإفتاء بالأسنانة، له تصانيف كثيرة، منها (طلقات الفقهاء) و(طبقات المجتهدين)، توفي سنة ٩٤٠هـ. ينظر: نفسه، ١/١٣٣.

(٧) - هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسي الكفوي، ولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقُدس، وببغداد، توفي سنة ١٠٩٤هـ. ينظر: نفسه، ٢/٣٩.

(٨) - هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، باحث هندي، له (كشاف اصطلاحات الفنون) و(سبق الغايات في نسق الآيات)، توفي ١١٥٨هـ. ينظر: نفسه، ٦/٢٩٥.

(٩) - أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، سنة ١٩٧٩م، ٤/٥١١.

(١٠) - الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية/بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص١٦٨.

(١١) - نفسه، ص١٣٤.

(١٢) - نفسه، ص١٣٤.

تواجه الباحثين والمهتمين بقضايا المفاهيم والمصطلحات إشكالياتان:  
أولاً: تعدد المصطلح للموضوع الواحد: من صور هذه الظاهرة استعمال مصطلح: (البديل = الترجمة = التكرير = المرود = التفسير = التبيين)

استعمل سيبويه (ت ١٨٠هـ) مصطلح البديل في عامة كتابه فقال: " هذا باب بدل المعرفة من النكرة، والمعرفة من المعرفة"<sup>(١)</sup> وتابعه في استعمال مصطلح البديل طائفة من النحويين<sup>(٢)</sup>، واستعمل نحاة الكوفة مصطلحات أخرى في هذا الباب وهي: الترجمة<sup>(٣)</sup>، والتكرير<sup>(٤)</sup>، والمرود<sup>(٥)</sup>، والتفسير<sup>(٦)</sup>، والتبيين<sup>(٧)</sup>. إن ظاهرة تعدد المصطلح للموضوع الواحد في كتب التراث تحتم علينا تضافر الجهود: أفراداً ومؤسسات لتوحيد (المصطلح) في كل علم " على الرغم مما بُذل حتى الآن من جهد، به حاجة إلى التواصل لاستكمال ما أنجز"<sup>(٨)</sup>.

ثانياً: مصطلحات مشتركة في أكثر من علم:

ومن أمثلة هذه المصطلحات (الخبر) نجده مشتركاً في أكثر من علم، مما يشكّل إرباكاً في الدرس والبحث، ففي النحو: " الجزء المنتظم منه مع المبتدأ"<sup>(٩)</sup>، وفي البلاغة: " الكلام المحتمل للصدق والكذب"<sup>(١٠)</sup>، وفي الحديث مصطلح عام " للمرفوع والموقوف من الأحاديث"<sup>(١١)</sup>، والخبر مصطلح في التاريخ معروف وكذلك في السياسة<sup>(١٢)</sup>.

نستطيع القول بأن صلة المفاهيم اللغوية بالعلوم الأخرى متأصلة بها منذ نشأتها فهي لا تنفك عنها، إذ هي مفاتيح الوصول إلى هذه العلوم منطلقاً وفهماً وتأطيراً، ومن بينها هذه العلوم علم أصول الفقه، وتكمن علاقته بالمفاهيم اللغوية من حيث الاستعمال اللغوي، والشرعي للوصول إلى المعاني المقصودة من قبل الشرع الحنيف.

(١) - الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ط ٣، سنة الطبع ١٩٨٨م، ١٥-١٤/٢.

(٢) - ينظر:

- الأفضى، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ط ١، سنة الطبع ١٤١١هـ، ١٦/١، ١٧، ١٨.

- الميزد، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، دت، المقضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عظيمه، عالم الكتب/ بيروت، دط، ٢٤/١، ٢٧، ٢٨.

(٣) - ينظر: الفراء، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، دت، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة/ مصر، ط ١، ٤١/١، ٢٥٩/٢، ٢٦٧/٣.

(٤) - ينظر: نفسه، ٧/١، ١١٢.

(٥) - ينظر: نفسه، ٨٦/١، ٣٠٤، ٤٠٩.

(٦) - ينظر: نفسه، ١٧/١، ٧٩.

(٧) - ينظر: الأشموني، علي بن محمد (ت ٩٠٠هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط ١، سنة الطبع ١٤١٩هـ، ٣/٣.

(٨) - الزبيدي، سعيد جاسم، من إشكاليات العربية، دار كنوز المعرفة/ الأردن، سنة الطبع ٢٠١٣م، ص ٢٢.

(٩) - العقيلي، عبدالله بن عبدالرحمن (ت ٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث/ القاهرة، ط ٢٠، سنة الطبع ١٩٨٠هـ، ٢٠/١.

(١٠) - مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، دط، سنة الطبع ١٩٨٣م، ٤٦٥/٢.

(١١) - الغوري، سيد عبدالماجد، معجم المصطلحات الحديثة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع/ دمشق- بيروت، سنة الطبع ٢٠٠٧م، ص ٣٢٥.

(١٢) - الزبيدي، من إشكاليات العربية، ص ٣٥.

يبحث علم أصول الفقه في الألفاظ لا من حيث التخصص اللغوي، بل يجعل اللغة وسيلة مهمة للاستدلال ومنهجاً يعتمد على الوصول إلى الأحكام الشرعية، يتضمن البحث بعضاً من المصطلحات: كالأمر والقياس والمشارك اللفظي والنهي، وغير ذلك مما تناقشه هذه الورقة بالبحث والموازنة وصولاً إلى نتائج تخدم الدرس اللغوي وتعزز من تأثيره وتأثره بالعلوم الأخرى.

### مفهوم الأمر

يناقش هذا المبحث مفهوم الأمر من حيث اللغة والاصطلاح وموقف الأصوليين، وفيه ثلاثة

مطالب وتعليق:

### المطلب الأول: الأمر لغة

في تعريف الأمر لغة قال الخليل (ت١٧٥هـ): "أمر: الأمر: نقيض النهي، والأمر واحد من أمور الناس. وإذا أمرت من الأمر قلت: أؤمر يا هذا، فيمن قرأ: (وأمر أهلك بالصلاة)<sup>(١)</sup>. لا يقال أؤمر ولا أؤخذ منه شيئاً، ولا أؤكل، إنما يقال: مُرْ وَحُدْ وَكُلْ في الابتداء بالأمر، استثقالاً للضمتين، فإذا تقدم قبل الكلام واو أو فاء قلت: وأمر، فأمر... وهذه أحرف، جاءت عن العرب نواذر"<sup>(٢)</sup>.

وقال الجوهري (ت٣٩٣هـ): "واحد الأمور. يقال: أمر فلان مستقيم، وأموره مستقيمة. وقولهم: لك عليّ أمرة مطاعة، معناه لك عليّ أمرة أطيعك فيها، وهي المرة الواحدة من الأمر. ولا تقل إمرة بالكسر، إنما الإمرة من الولاية. وأمرته بكذا أمراً. والجمع الأوامر"<sup>(٣)</sup>. وعدّد باحث معاصر سبع دلالات للفظ (الأمر) في اللغة والقرآن الكريم وهي: ضد النهي، والشأن، والإبداع، والعظيم المنكر، والمشاورة، والنماء، والعلامة<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الثاني: الأمر اصطلاحاً

هو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، أو... هو صيغة تستدعي الفعل أو قول يُنْبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"<sup>(٥)</sup>. ويوضّح أحد الباحثين المعاصرين الأمر بين

(١)- فُرئت "وامر" بتخفيف الهمزة بإبدالها ألفاً، وهي قراءة: ورش والسوسي. ينظر: مكرم، عبدالعال سالم، وعمر، أحمد مختار، معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت/الكويت، سنة الطبع ١٩٨٨م، ١٢٢/٤.

(٢)- الفراهيدي، كتاب العين، باب الرء والميم و (واي) معهما، ٢٩٧/٨.

(٣)- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، سنة الطبع ١٩٨٧م، مادة أمر، ٥٨٠/٢.

وينظر: الرفاعي، رافع بن طه، الأمر عند الأصوليين، دار المحبة، دمشق، دار آية، بيروت، ط١، ط١، سنة الطبع ٢٠٠٧م، ص١٤.

(٤)- ينظر: الأنصاري، يوسف بن عبدالله، أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، رسالة ماجستير، في البلاغة والنقد، نوقشت وأجيزت في جامعة أم القرى، ١٩٩٠م، ص١٠-١١. وينظر أيضاً: حسن، كرار إسماعيل صالح، الأمر ودلالته بين النحويين والبلاغيين والأصوليين، رسالة ماجستير، في اللغة العربية، نوقشت وأجيزت في جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٥م، ص٨ وما بعدها.

(٥)- مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص٣١٣. وينظر:

- الزمخشري، أبو القاسم (ت٥٣٨هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، سنة الطبع ١٩٩٨م، ٢٤٧/١.

- ابن الخشاب، عبدالله بن أحمد (ت٥٦٧هـ)، المرجل في النحو، تحقيق علي حيدر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سنة الطبع ١٩٧٢م، ص٢١٥.

- السكاكي، يوسف بن أبي بكر (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢ سنة الطبع ١٩٨٧م، ص٣١٨.

- عتيق، عبدالعزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، سنة الطبع ٢٠٠٩م، ص٧٥.



البصريين والكوفيين فيقول: "وعده - أي الأمر - البصريون قسماً مستقلاً ثالثاً في الأفعال، وعندهم مبني، ولم يشترطوا الاستعلاء، وعند الكوفيين والأخفش (ت٢١٥هـ) مقتطع من المضارع، وهو معرب"<sup>(١)</sup>

### المطلب الثالث: الأمر عند الأصوليين

قال ابن بركة (ت٣٦٢هـ)<sup>(٢)</sup>: "أن يقول الأمر افعَل، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]"<sup>(٣)</sup>، وقال الجصاص (ت٣٧٠هـ): "قول القائل لمن دونه افعَل إذا أراد به الإيجاب"<sup>(٤)</sup>، وقال الباقلاني (ت٤٠٣هـ): "القول المقتضى به الفعل من المأمور على وجه الطاعة"<sup>(٥)</sup>. وقال الكلوزاني (ت٥١٠هـ)<sup>(٦)</sup>: "استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء"<sup>(٧)</sup>.

وعند الوارجلاني (ت٥٧٠هـ)<sup>(٨)</sup>: "طلب الفعل واقتضاؤه على غير وجه المسألة"<sup>(٩)</sup>. وقال الأصفهاني (ت٧٤٩هـ)<sup>(١٠)</sup>: "طلب فعل غير كف"<sup>(١١)</sup>.

- الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، بغداد، سنة الطبع ١٩٨٨م، ص ٨٣.
- (١)- الزبيدي، سعيد جاسم، سؤال في التفسير محاولة في البحث عن منهج، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، سنة الطبع ٢٠١٩م، ١٢٨/٣-١٢٩.
- (٢) - هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة السليبي الهلوي، عاش في القرن الرابع الهجري، أنشأ مدرسة كانت تضم الكثير من طلبة العلم من عمان وخارجها، له العديد من الآثار العلمية من بينها (كتاب الجامع). ينظر: السعدي، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ٢٩١/٢-٢٩٢.
- (٣)- الهلوي، عبدالله محمد بن بركة، كتاب الجامع، تحقيق عيسى يحيى الباروني، سنة الطبع ٢٠٠٧م، ٨٩/١.
- (٤)- الجصاص، الفصول في الأصول، ٧٩/٢.
- (٥)- الباقلاني، التقريب والإرشاد، ٥/٢. وينظر:
- إمام الحرمين (ت٤٧٨هـ)، البرهان، ٦٣/١.
- الغزالي، أبو حامد (ت٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، ط ١، سنة الطبع ١٩٩٣م، ص ٢٠٢.
- (٦) - هو أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن العراقي الكلوزاني، تلميذ القاضي أبي يعلى بن الفراء، شيخ الحنابلة، مولده في سنة ٤٣٢هـ، وتوفي سنة ٥١٠هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٤٨/١٩-٣٥٠.
- (٧)- الكلوزاني، محفوظ بن أحمد، التمهيد في أصول الفقه، تحقيق مفيد محمد أبو عمشة ومحمد بن علي بن إبراهيم، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى، ط ١، سنة الطبع ١٩٨٥م، ٦٦/١. وينظر:
- الأمدى (ت٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ١٤٠/٢.
- البيهقي، عبد العزيز بن أحمد (ت٧٣٠هـ)، كشف الأسرار وشرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، ١٠١/١.
- (٨) - هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني (٥٠٠هـ-٥٧٠هـ)، من أشهر علماء الإباضية بالمغرب، ترك بصمات بارزة في التراث الإباضي خصوصاً، والمكتبة الإسلامية عموماً. ينظر: بابا عبي، محمد بن موسى، وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط ٢، سنة الطبع ٢٠٠٠م، ١٨٠/٢.
- (٩) - الوارجلاني، يوسف بن إبراهيم، العدل والإنصاف في معرفة أصول اللغة والاختلاف، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٩٨٤م، ٥١/١.
- (١٠) - هو أبو القاسم محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد، شمس الدين الأصفهاني، أو الأصبهاني (٦٧٤ - ٧٤٩هـ)، مفسر، كان عالماً بالعقليات، ولد وتعلم في أصبهان، ورحل إلى دمشق فأكرمه أهلها. ينظر: الزركلي، الأعلام، ١٧٥/٧.
- (١١) - الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية، ط ١، سنة ١٩٨٦م، ٣٣٠/١. وينظر:
- البابرتي، محمد بن محمود (ت٧٨٦هـ)، الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق ضيف الله بن صالح بن عون العمري وترحيب بن ربيعان الدوسري، مكتبة الرشد ناشرون، ط ١، سنة ٢٠٠٥م، ٦٩/٢.
- الزركشي، محمد بن عبدالله (ت٧٩٤هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط ١، سنة ١٩٩٤م، ٢٦١/٣.
- الفناري، محمد بن حمزة (ت٨٣٤هـ)، فصول البدائع في أصول الشرائع، تحقيق محمد حسين محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، سنة ٢٠٠٦م، ٢٠٣/١.

وجمع الشماخي (ت١٣٣٢هـ)<sup>(١)</sup> بين التعاريف السابقة بقوله: "طلب فعل غير كفّ على جهة الاستعلاء"<sup>(٢)</sup>. وزاد السالمي (ت١٣٣٢هـ) عبارة لا على وجه الدعاء: "طلب فعلٍ غير كفّ لا على وجه الدعاء"<sup>(٣)</sup>، وقال في الجوابات: "طلب إيقاع الفعل جزماً"<sup>(٤)</sup>، واستطرد الباحث ماجد الكندي تفصيل تعريفات الأمر وأحكامه عند الأصوليين في كتابه الوسيط<sup>(٥)</sup>.

### تعليق

اتفق اللغويون والأصوليون على أنّ الأمر غير (النهي)، وله معاني متعددة: منهم من عدّها سبعة<sup>(٦)</sup>، ومنهم من عدّها ستة وعشرين<sup>(٧)</sup> وقد بلغت عند أحمد مطلوب واحداً وثلاثين معنى<sup>(٨)</sup>، كما وردت لفظة (الأمر) في اللغة ولها دلالات سبع ذكرناها سابقاً.

أما في الاصطلاح فقد عرّفوه عدة تعريفات متقاربة منها طلب الفعل وطلب إيجاده ويكون هذا الطلب بصيغة محدودة، تدخل فيها جميع الأقوال الدالة على استدعاء الفعل كالأفعال وأسماء الأفعال والمصادر النائية عن أفعالها وغيرها، واشترط بعضهم الاستعلاء، والمقصود به طلب الأمر العلو وذلك بأن يعدّ نفسه أعلى من المخاطب، وأرفع شأنًا وذلك بإظهار حالة التعالي؛ لكون كلامه على وجه الغلظة والقسوة وليس على جهة التواضع والانخفاض، "ومناطق الأمرية في الطلب هو الاستعلاء ولو من الأدنى، ومناطق الدعاء فيه التضرّع والخضوع ولو من الأعلى، ومناطق الالتماس فيه التساوي مع نفي التضرّع والاستعلاء"<sup>(٩)</sup>، ولم يشترط بعضهم الاستعلاء وهو ما يراه السالمي (ت١٣٣٢هـ)، وإليه يميل الباحث، وزاد آخرون شرطاً آخر غير الاستعلاء وهو الإلزام قال به عبد العزيز عتيق ولم نجد من تابعه في هذا الشرط.

(١) - هو أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، عالم من بلدة يُقرن بجبل نفوسة من أعمال طرابلس الغرب، له تصانيف عديدة من أشهرها: مختصر العدل والإنصاف وسرجه، وكتاب السير، توفي في ٩٢٨هـ ينظر: بابا عي، محمد بن موسى، وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، ١/٨٢-٨١.

(٢) - الشماخي، أحمد بن سعيد، كتاب شرح مختصر العدل والإنصاف، تحقيق ميني بن عمر التيواجي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، الجامعة الزيتونية، تونس، سنة الطبع ١٩٩٠م، ص ٣٠٠. وينظر: اطفيش، محمد بن يوسف (ت١٣٣٢هـ)، فتح الله شرح شرح مختصر العدل والإنصاف، ص ٢٠.

(٣) - السالمي، طلعة الشمس، ١/١١٧. وينظر:

- السليبي، حمد بن عبيد (ت١٣٩٠هـ)، مشكاة الأصول، تحقيق أحمد بن سالم بن موسى الخروصي، مطبوعات وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط ٢، سنة الطبع ١٤٤٠هـ، ص ١٨٧.

- السياي (ت١٣٩٢هـ)، فصول الأصول، ص ٢٢٩.

(٤) - السالمي، عبدالله بن حميد (ت١٣٣٢هـ)، جوابات الإمام السالمي، تنسيق عبد الستار أبو غدة، مكتبة الإمام السالمي، سلطنة عمان، سنة الطبع ٢٠١٠م، ١/٢٣٨.

(٥) - ينظر: الكندي، ماجد بن محمد بن سالم، الوسيط شرح تطبيقي مقارن لمنظومة طلعة الشمس، مجموعة مسقط للأعمال الخيرية، سلطنة عمان، ط ١، سنة الطبع ١٤٤٠هـ، ١/٩٥ وما بعدها.

(٦) - الأنصاري، أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، ص ١٠-١١.

(٧) - ينظر: السياي (ت١٣٩٢هـ)، فصول الأصول، ص ٢٣.

(٨) - ينظر: مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص ٣١٥ وما بعدها.

(٩) - الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والأصوليين، ص ٨٨.

## مفهوم القياس

يدرس هذا المبحث تعريف القياس لغة واصطلاحاً وموقف الأصوليين منه، ويشتمل على ثلاثة مطالب وتعليق.

## المطلب الأول: القياس لغة

قال الخليل (ت١٧٥هـ): "قيس: القَيْسُ مصدرُ قَيْسْتُ. والقَيْسُ بمنزلةِ القدر، وعودُ قَيْسٍ إصبعُ أي قدرُ إصبع، وقيس هذا بذاك قياساً وقَيْساً، والمقياس: المقدار"<sup>(١)</sup>. ونقل الأزهري (ت٣٧٠هـ) عن ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) قوله: "قال ابن السكيت: قاس الشيء قَوْسَهُ قَوْساً، لغة في قاسه يقيسه، يقال: قَيْسْتُهُ وَقَيْسْتُهُ. قال ابن السكيت: قال الأصمعي: قست الشيءَ أقيسه قيساً وقَيْساً، وقُستهُ أقوسهُ قوساً وَقَيْماً. وَلَا يُقَالُ أقسته بِالْأَلْفِ"<sup>(٢)</sup>. وتابعه الجوهري (ت٣٩٣هـ)<sup>(٣)</sup>. وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "القاف والواو والسين أصل واحد يدل على تقدير شيء بشيء، ثم يصرف فتقلب واوه ياء، والمعنى في جميعه واحد... ومنه القياس وهو تقدير الشيء بالشيء"<sup>(٤)</sup>.

## المطلب الثاني: القياس اصطلاحاً

قال الرماني (ت٣٨٤هـ): "الجمع بين أول وثان يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني وفي فساد الثاني فساد الأول"<sup>(٥)</sup>. وعند أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ): حمل الشيء على الشيء في بعض أحكامه لوجه وقيل حمل الشيء على الشيء وإجراء حكمه عليه لشبه بينهما عند الحامل"<sup>(٦)</sup>. وقال أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ): "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه"<sup>(٧)</sup>، وتابعه السيوطي (ت٩١١هـ)<sup>(٨)</sup>. وقال في موضع آخر: "تقدير الفرع بحكم الأصل، وقيل: هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع، وهذه الحدود كلها متقاربة ولا بد لكل قياس من أربعة أشياء: أصل وفرع وعلّة

(١)- كتاب العين، باب القاف والسين و (واي) معهما ، ١٨٩/٥.

(٢)- نقلاً من تهذيب اللغة، مادة قوس، ١٧٩/٩.

(٣)- ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة قوس، ٩٦٧/٣.

(٤)- مقاييس اللغة، مادة قوس، ٤٠/٥. وينظر:

- ابن منظور (ت٧١١هـ)، لسان العرب، مادة قوس، ١٨٧/٦.

- الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، ص ١٨١.

- محمد، أمانة الأمين عبدالله، أثر القياس الفقهي في القياس النحوي- دراسة نحوية تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، في النحو والصرف، نوقشت

وأجيزت في جامعة: أم درمان الإسلامية، سنة ١٤٢٦هـ، ص ١٠.

- الزعبي، عبير عيسى علي، القياس اللغوي-دراسة أصولية فقهية، رسالة ماجستير، في الفقه وأصوله، نوقشت وأجيزت في جامعة: اليرموك، سنة

١٤٣٥هـ، ص ٢١.

(٥)- منازل الحروف، ص ٦٦.

(٦)- الفروق اللغوية، ص ٧٨.

(٧)- الإعراب في جدل الإعراب، ص ٤٥.

(٨)- ينظر: الاقتراح في أصول النحو، ص ١٧٥.

وحكم<sup>(١)</sup> وقال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ): "إبانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر"<sup>(٢)</sup>، اختار لفظ الإبانة دون الإثبات لأن القياس مظهر للحكم لا مثبت له، وذكر مثل الحكم، ومثل العلة، احتراز عن لزوم القول بانتقال الأوصاف، واختيار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين والمعدومين. وتابعه الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)<sup>(٣)</sup> وعبر عنه باحث معاصر بـ "التسوية في الحكم بين أصل منصوص عليه، وفرع لم ينص عليه، لمشابهة بينهما"<sup>(٤)</sup>.

#### المطلب الثالث: القياس عند الأصوليين

قال الشاشي (ت ٣٤٤هـ): "هو ترتب الحكم في غير المنصوص عليه على معنى هو علة لذلك الحكم في المنصوص عليه"<sup>(٥)</sup>. وقال ابن بركة (ت ٣٦٢هـ): "هو أن يُرَدَّ حكم المسكوت عنه إلى حكم المنطوق به بعلة تجمع بينهما"<sup>(٦)</sup>. وقال الجصاص (ت ٣٧٠هـ): "رد فرع إلى أصل، بمعنى يجمعهما، ويوجب التسوية بين حكمهما"<sup>(٧)</sup> وتابعه جماعة من الأصوليين<sup>(٨)</sup>. وقال الجويني (ت ٤٧٨هـ): "حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر يجمع بينهما من إثبات حكم أو صفة أو نفيهما"<sup>(٩)</sup>، وكرره الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)<sup>(١٠)</sup>. وعند الوارجلاني (ت ٥٧٠هـ): "حمل أحد المعلومين على الآخر في حصول الحكم واسقاطه بأمر يجمعهما"<sup>(١١)</sup>. وعبر الأمدى (ت ٦٣١هـ) عن العلاقة بين الأصل والفرع بالاستواء<sup>(١٢)</sup>. وقال القرافي (ت ٦٨٤هـ): "هو إثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لأجل اشتباههما في علة الحكم عند المثبت"<sup>(١٣)</sup> فالإثبات المراد به المشترك بين العلم والظن والاعتقاد، ويقصد بالمعلوم المشترك بين المعلوم والمظنون،

(١)- لمع الأدلة، ص ٩٣. وينظر أيضاً: عبدالعزيز، محمد حسن، القياس في اللغة العربية، دار الفكر/القاهرة، ط ١، سنة الطبع ١٤١٥هـ، ص ٢٠.

(٢)- كتاب التعريفات، ص ١٨١.

(٣)- ينظر: الكليات، ص ٧١٤. وينظر أيضاً: مقال في دورية: جادالله، إيمان عمر محمد وعلي، فضل الله النور، القياس بين أصول النحو وأصول الفقه، مجلة العلوم الإنسانية، السودان، العدد ٥٥، سنة ٢٠١٥م، ص ٦٤.

(٤)- جمال الدين، مصطفى، القياس حقيقته وحجته، مطبعة النعمان/النجف، سنة الطبع ١٩٧٢م، ص ٥٧.

(٥)- أصول الشاشي، ص ٣٢٥.

(٦)- كتاب الجامع، ١/١٤٠.

(٧)- الفصول في الأصول، ٤/٩٩.

(٨)- ينظر:

- الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، التقريب والإرشاد، ١/٢٢٤.

- أبو الحسين البصري (ت ٤٣٦هـ)، المعتمد، ٢/١٩٥.

- القاضي أبو يعلى (ت ٥٨٨هـ)، العدة في أصول الفقه، ١/١٧٤.

- الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، اللمع في أصول الفقه، ص ٩٦.

(٩)- البرهان في أصول الفقه، ٢/٥.

(١٠)- ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ٢/٨٩.

(١١)- العدل والإنصاف، ٢/٥٨.

(١٢)- ينظر: الأحكام في أصول الأحكام، ٣/١٩٠.

(١٣)- شرح تنقيح الفصول، ص ٣٨٣.

وقوله عند المثبت ليدخل فيه القياس الفاسد. وقال السالمي(ت١٣٣٢هـ): "حمل مجهول الحكم على معلوم الحكم بجامع بينهما"<sup>(١)</sup>. وتابعه السليبي(ت١٣٩٠هـ)<sup>(٢)</sup> والسيابي(ت١٣٩٢هـ)<sup>(٣)</sup>.

### تعليق

القياس في اللغة له جذران الأول (ق و س)، والثاني (ق ي س)، وكلا الجذرين بمعنى التقدير والمساواة. يقال: قست النعل بالنعل، إذا قدرته وسويته. فيصح أن نقول: قاس يقيس قياساً وقياساً، ويصح قاس يقوس قوساً وقياساً.

أما في الاصطلاح فله تعريفات متعددة، مختلفة ألفاظها متفقة حدودها، فمن اختلاف تعبيراتهم (ردّ حكم - ترتيب حكم- حمل الشيء- إسقاط الحكم- تقدير - إلحاق - الاستواء- إثبات - إبانة)، ومن اختلاف تعبيراتهم لمصطلح ثنائية الأصل والفرع (المنصوص-غير المنصوص)، (المنطوق-المسكوت عنه)، (المنقول-غير المنقول)، (معلوم-مجهول). ومن اتفاقهم اشتراط الجميع للعلة الجامعة على إثبات حكم أو صفة أو نفيهما.

ويؤكد الباحث هنا إلى ما أشار إليه أحد الباحثين من أن "القياس بوصفه أصلاً من أصول النحو العربي نشأ فطرياً ثم تأثر خطى القياس الفقهي بدءاً بتعريفه وانتهاءً بمباحثه"<sup>(٤)</sup> وهذا يدلنا على نضج علم أصول الفقه مبكراً وتأثيره في أصول النحو العربي.

وأركان القياس أربعة نفسها عند النحويين، وهي الأصل(المقيس عليه) والفرع(المقيس) والعلة والحكم، فالأصل هو الصورة التي نزل فيها الحكم كالخمر. والفرع هو الصورة التي لم يرد فيها حكم بعينها كاللُتُن(الدخان والتبغ). والعلة هي الوصف الجامع (ما يكون الحكم في الأصل لأجله فإن زال ذلك الوصف فُقد ذلك الحكم). والحكم المراد به: الوجوب أو الندب أو التحريم أو التكريه أو الإباحة.

ومن تطبيقاته: جلد قاذف المحصن من الرجال قياساً على قاذف المحصنة، فإن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور: ٤]. نصٌّ في قاذف المحصنات من النساء، فقياس عليه المسلمون قاذف المحصن من الرجال. ومن تطبيقاته أيضاً قياس سريان عتق الأمة على سريان عتق العبد، وقياس مس فرج الرجل في نقض الوضوء على مس فرج المرأة. وغيرها كثير<sup>(٥)</sup>.

### المشترك اللفظي

يعالج هذا المبحث تعريف المشترك بين اللغويين والأصوليين، وفيه مطلبان وتعليق:

(١)- طلعة الشمس، ١٤٠/٢.

(٢)- ينظر: مشكاة الأصول، ص٥٧.

(٣)- ينظر: كتاب فصول الأصول، ص٤٣٨.

(٤)- الزبيدي، سعيد جاسم، القياس في النحو العربي - نشأته وتطوره، دار الشروق للنشر والتوزيع/الأردن، ط١، سنة الطبع ١٩٩٧م، ص٢٠.

(٥)- ينظر: السالمي(ت١٣٣٢هـ)، طلعة الشمس، ١٤٢/٢-١٤٣.

## المطلب الأول: المشترك عند اللغويين

قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): "اعلم أنّ من كلامهم... اتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدّت عليه من المؤجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضائلة"<sup>(١)</sup>. وتعد عبارة سيبويه هذه منطلقاً لقضية المشترك اللفظي التي أخذت حيزاً كبيراً في كتب القدماء والمحدثين، وهي كما يصفها أحد الباحثين: "ومن هنا انطلق القدماء والمعاصرون يبنون على وهم ظاهر، وجعلوا منه موضعاً ألفوا فيه، وصار قضية لغوية امتد أثرها إلى القرآن الكريم"<sup>(٢)</sup>، وأفردوا له مؤلفات خاصة ظهرت في عنوانين مختلفين:

الأول: ما اتفق لفظه واختلف معناه: ظهر عند أبي العميثل عبد الله بن خلود الأعرابي<sup>(٣)</sup>، والمبرد (ت ٢٨٥هـ)، و علي بن الحسن الهنائي<sup>(٤)</sup>، وتقي الدين سليمان بن بنين الدقيقي<sup>(٥)</sup>. والثاني: الوجوه والنظائر. ظهر عند مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)<sup>(٦)</sup>، وهارون بن موسى القارئ الأعور (ت ١٧٠هـ)<sup>(٧)</sup>، ويحيى بن سلام التيمي (ت ٢٠٠هـ)<sup>(٨)</sup>، وغيرهم كثير. وقد تولى تفصيلهم الباحث سعيد جاسم الزبيدي في مبحث خاص عنوانه (المشترك اللفظي)<sup>(٩)</sup>.

وقال الهروي (ت ٤٣٣هـ)<sup>(١٠)</sup> في تعريف المشترك: "دلالة اللفظ على معنيين فأكثر"<sup>(١١)</sup>. وقال السيوطي (ت ٩١١هـ): "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك

(١)- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي/القاهرة، ط ٣، سنة الطبع ١٤٠٨هـ، ٢٤/١.

(٢)- الزبيدي، سعيد جاسم عباس، المشكل في القرآن الكريم من وجوه الإعجاز البياني، دار كنوز المعرفة/الأردن، طبعة منقحة ومزودة، سنة الطبع ٢٠٢١م، ص ١١١.

(٣)- عبد الله بن خلود بن سعد، من الشعراء الفضلاء، كان أبوه خلود مولى لبني العباس، له كتب منها (الآبيات السائرة) و (معاني الشعر) وكتاب (التشابه) و (ما اتفق لفظه واختلف معناه) توفي (ت ٢٤٠هـ). ينظر: القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي/القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية/بيروت، ط ١، سنة الطبع ١٩٨٢م، ١٤٩/٤.

(٤)- هو أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزدي (توفي بعد ٣٠٩هـ)، يعرف بكراع النمل، كان لغوياً نحوياً من علماء مصر، خلط المذهبين، وأخذ عن النحويين البصريين والكوفيين، وكان إلى قول البصريين أميل، صنّف كتاباً في اللغة، منها: كتاب (المنضد)، و(المجرد)، و(المنجد). ينظر: نفسه، ٢٧٢/٤.

(٥)- هو سليمان بن بنين بن خلف بن عوض الدقيقي (ت ٦١٣هـ)، تقي الدين، عالم بالأدب، مصري، له مصنفات منها: (اتفاق المباني وافتراق المعاني) و (لباب الألباب). ينظر: الزركلي، الأعلام، ١٢٢/٣.

(٦)- هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (توفي ١٥٠هـ)، من كبار المفسرين، روى عن مجاهد والضحاك. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠١/٧.

(٧)- هو أبو عبد الله هارون بن موسى الأزدي العتكي بالولاء، المنبوز بالأعور، عالم بالقراءات والعربية،

من أهل البصرة، توفي (١٧٠هـ). ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ٣٦١/٣.

(٨)- يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي، البصري ثم الإفريقي (١٢٤ - ٢٠٠هـ)، مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم. ولد بالكوفة، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ بها ونسب إليها. ورحل إلى مصر، ومنها إلى إفريقية فاستوطنها. ينظر: سير أعلام النبلاء، ٣٩٧/٩.

(٩)- ينظر: المشكل في القرآن الكريم من وجوه الإعجاز البياني، ص ١١١-١١٢.

(١٠)- هو أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي (٣٧٢ - ٤٣٣هـ)، لغوي، كان رئيس المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بمصر، له شرح فصيح ثعلب سماه (إسفار الفصيح). ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١٩٥/٣.

(١١)- الهروي، أبو سهل محمد بن علي، إسفار الفصيح، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية/المدنية المنورة، ط ١، سنة الطبع ١٤٢٠هـ، ١٧٩/١.

اللغة" (١). وتابعه جماعة من الباحثين المحدثين (٢). وقال باحث معاصر: "اللفظ الذي تعدد معناه وقد وضع للجميع كلا على حدة ولكن من دون أن يسبق وضعه لبعضها على وضعه لبعضها الآخر" (٣).

#### المطلب الثاني: المشترك عند الأصوليين

قال الشاشي (ت٣٤٤هـ): "المشترك ما وضع لمعنيين مختلفين أو لمعان مختلفة الحقائق، مثاله قولنا: جارية فإنها تتناول الأمة والسفينة، والمشتري فإنه يتناول قابل عقد البيع وكوكب السماء" (٤). وتابعه الأمدى (ت٦٣١هـ) (٥). ومثّل له ابن بركة (ت٣٦٢هـ) باليد: "مثل ذلك أن يقول القائل: لفلان يد، احتمال أن تكون اليد التي هي المنة والنعمة، واحتمل أن تكون هي اليد التي هي التصرف في الملك" (٦). وعند الجصاص (ت٣٧٠هـ): "تناول اللفظ معنيين هو في أحدهما مجاز وفي الآخر حقيقة فالواجب حمله على الحقيقة" (٧). واشترط الباقلاني (ت٤٠٣هـ) الدليل المقترن بالكلمة في مسألة حمل الكلمة على أحد معانيها وليس الأخذ بظاهرها (٨). وعند أبي الحسين البصري (ت٤٣٦هـ): "اعلم أنّ في اللغة ألفاظاً... مفيدة للشيء ولخلافه وضده حقيقة على طريق الاشتراك" (٩). وجاءت عبارة القاضي أبي يعلى (ت٤٥٨هـ): "يتفق الاسمان في الصورة ويختلفان في المعنى مثل: القرء، يراد به الحيض والطهر" (١٠). وعبارة الشيرازي (ت٤٧٦هـ) قريبة منها "ما يفيد معاني مختلفة" (١١). وأضاف الجويني (ت٤٧٨هـ) عبارة "وعلمنا أن المراد به أحد معانيه" (١٢). وفصل الغزالي (ت٥٠٥هـ) القول في دلالة المشترك على المختلفين نحو: العين للعضو الباصر، وللميزان، وللموضع الذي يتفجر منه الماء. والمتضادان: كالجلل للحقير والخطير، والناهل للعطشان والريّان، والجون للسواد والبياض (١٣). وقال الوارجلاني (ت٥٥٧هـ): "الاسم الواحد هل يجري على متضادين" (١٤). وقال

(١)- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ٢٩٢/١.

(٢) ينظر:

- قنيس، عبد الحليم محمد، معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، مكتبة لبنان/بيروت، سنة الطبع ١٩٨٧م، ص٧.  
- عميرة، حنان إسماعيل، المشترك اللغوي بين النظرية والتطبيق، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج ٣٤، ع ٣، ٢٠٠٧م، ص٥٦٢.

- اليماني، أحمد محمد حمود، الاشتراك المعنوي والفرق بينه وبين الاشتراك اللفظي - بحث في أصول الفقه، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وأدائها، ج ١٩، ع ٣٢، ١٤٢٥هـ، ص٢١٥.

(٢)- الحكيم، محمد تقي، الاشتراك والترادف، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الثاني عشر، سنة ١٩٦٥م، ص٧٥.

(٤)- أصول الشاشي، ص٣٦.

(٥)- الإحكام في أصول الأحكام، ١٨/١.

(٦)- كتاب الجامع، ٦٨/١.

(٧)- الفصول في الأصول، ٤٦/١.

(٨)- التقريب والإرشاد، ٤٢٧/١.

(٩)- المعتمد في أصول الفقه، ١٧/١.

(١٠)- العدة في أصول الفقه، ١٨٧/١.

(١١)- اللمع في أصول الفقه، ص٩.

(١٢)- البرهان في أصول الفقه، ١٥٤/١.

(١٣)- ينظر: المستقصى، ص٢٦.

(١٤)- العدل والإنصاف، ٤٠/١.

الرازي(ت٦٠٦هـ): "اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعاً أولاً من حيث هما كذلك"<sup>(١)</sup>، فقولته: الموضوع لحقيقتين مختلفتين احترز به عن الأسماء المفردة وقوله: وضعاً أولاً احتراز به عما يدل على الشيء بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز وقوله: من حيث هما كذلك احتراز به عن اللفظ المتواطئ فإنه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من حيث إنها مختلفة بل من حيث إنها مشتركة في معنى واحد. وتابعه الزركشي(ت٧٩٤هـ)<sup>(٢)</sup> والشوكاني(ت١٢٥٠هـ)<sup>(٣)</sup>. وقال القرافي(ت٦٨٤هـ): "هو اللفظ الموضوع لكل واحد من معنيين فأكثر"<sup>(٤)</sup> معللاً عدم الحاجة لعبارة مختلفين فإن الوضع يستحيل للمثلين فإن التعيين إن اعتبر في التسمية كانا مختلفين وإن لم يعتبر كانا واحداً، والواحد ليس بمثلين.

وقال السالمي(ت١٣٣٢هـ) مقترباً من تعريف الرازي: "لفظ دلّ على شيئين فصاعداً بوضعه لكل واحد من الشيين أو الأشياء وضعاً مستقلاً من غير نقل له عن معناه السابق"<sup>(٥)</sup>. فالمشترك عنده ما تكرر فيه الوضع بحسب معانيه من غير إهمال لبعضها، فيقع في أقسام الكلمة الثلاثة: الاسم: كالقراء للطهر وللحيض. والفعل: كعسب لأقبل ولأدبر. والحرف: ك(من) الجارة تكون للتبعيض وللابتداء وغيرهما من معانيها. وتابعه السليبي(ت١٣٩٠هـ)<sup>(٦)</sup>. وقال السيابي(ت١٣٩٢هـ): "اللفظ الواحد المتعدد المعنى"<sup>(٧)</sup>. وقال البطاشي(ت١٤٢٠هـ): "اللفظ الذي اشترك فيه معنيان فصاعداً"<sup>(٨)</sup> من غير تحديد لاختلاف المعنى واستقلاله.

### تعليق

ظهر مصطلح المشترك اللفظي مبكراً في كتب القدماء، ويعنون به دلالة اللفظ الواحد على معنيين مختلفين في الحقيقة. ولو تأملنا ما ذكرته كتب (المشترك اللفظي) و (الوجوه والنظائر) لوجدنا أن الوجوه التي ذكرت للفظ الواحد إنما يحددها "السياق الذي تقع فيه"<sup>(٩)</sup>. وأن "المشترك اللفظي لا وجود له في واقع الأمر"<sup>(١٠)</sup>. وهو ما أكد عليه الباحث سعيد جاسم الزبيدي في خلاصة بحثه إذ قال: "خلاصة القول في المشترك اللفظي:

١- إن تعدد المعنى للمفردة الواحدة خاضع للسياق، وقرائن التعليق، ومناسبة القول، والمجاز.

٢- لم يثبت عند الباحثين أي مشترك لغوي فقد نظروا في الألفاظ نظرة تدقيق وفحص.

(١)-المحصل، ٢٦١/١.

(٢)-البحر المحيط في أصول الفقه، ٣٧٧/٢.

(٣)-إرشاد الفحول، ٥٧/١.

(٤)-شرح تنقيح الفصول، ٢٩/١.

(٥)-طلعة الشمس، ٢٧٩/١.

(٦)-مشكاة الأصول، ص١٦٦.

(٧)-كتاب فصول الأصول، ص١٦٨.

(٨)-كتاب غاية المأمول في علم الفروع والأصول، ٢٠٠/١.

(٩)-أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب/ القاهرة، ط١٢، سنة الطبع ١٩٩٧م، ص٧٢.

(١٠)-عبدالنواب، رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ط٦، سنة الطبع ١٩٩٩م، ص٣٤.



٣- غياب النظرة إلى السياق ومكوناته وتحليل عناصره.

٤- لا اشتراك لفظي في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

كما نلاحظ تعدد تعريفات المشترك في كتب الأصوليين على النحو الذي ذكرناه سابقاً، واختلافهم في صحة إطلاقه على معنياه أو معانيه إلى ستة مذاهب، ثلاثة إطلاقات وثلاثة تقييدات فصلها السالمي (ت١٣٣٢هـ)<sup>(٢)</sup>:

#### الإطلاقات

١- يصح مطلقاً

٢- لا يصح مطلقاً

٣- الوقف مطلقاً

#### التقييدات

١- يصح إن صحّ الجمع بينهما.

٢- يصح مجازاً لا حقيقة.

٣- يصح في النفي دون الإثبات.

ورجّح القول بالمنع من إطلاق المشترك على معنياه أو معانيه حقيقة مجازاً ومفرداً وجمعاً، وهو ما توصل إليه أهل اللغة، ويؤيده الباحث، وتوجيهه أنّ المشترك دالّ على موضعه بالوضع المتكرر ولو لم يدلّ عليه بوضع واحد، فأطلاقه على جميعها بلفظ واحد خلاف ما عليه الوضع العربي، ومخالفة الوضع العربي في اللغة لا تصحّ. كما يتضح مما عرضناه أنّ الأصوليين يدخلون الأضداد ضمن المشترك اللفظي كلفظ (القرء) و(عسعس).

#### مفهوم النهي

يبحث هذا المبحث تعريف النهي لغة واصطلاحاً وموقف الأصوليين منه، وفيه ثلاثة مطالب

وتعليق:

#### المطلب الأول: النهي لغة

قال الخليل (ت١٧٥هـ): "النهي: خلاف الأمر، تقول: نَهَيْتُهُ عَنْهُ، وفي لغة: نَهَيْتُهُ عَنْهُ"<sup>(٣)</sup>. وتابعه

الأزهري (ت٣٧٣هـ)<sup>(٤)</sup> وابن سيده (ت٤٥٨هـ)<sup>(٥)</sup>. وقال الجوهري (ت٣٩٣هـ): "نَهَيْتُهُ عَنْهُ كَذَا فَانْتَهَى عَنْهُ

وتناهى، أي كَفَّ. وتناهوا عن المنكر، أي نهى بعضهم بعضاً"<sup>(٦)</sup>. وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "النون والهاء

(١)- المشكل في القرآن الكريم، ص ١٢٠.

(٢)- ينظر: طلعة الشمس، ٢٨٢/١-٢٨٤.

(٣)- كتاب العين، باب الهاء والنون و (واي.ء)، ٩٣/٤.

(٤)- ينظر: تهذيب اللغة، مادة نهي، ٢٣١/٦.

(٥)- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، مقلوبه: (ن هي)، ٣٨٤/٤.

(٦)- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة نهي، ٢٥١٧/٦. وينظر: ابن منظور (ت٧١١هـ)، لسان العرب، مادة نهي، ٣٤٣/١٥.

والياء أصل صحيح يدل على غاية وبلوغ. ومنه أنهيت إليه الخبر: بلغته إياه. ونهاية كل شيء غايته. ومنه نهيته عنه<sup>(١)</sup>. وأضاف الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) معنى الزجر: "النهي: الزجر عن الشيء. قال تعالى: ﴿أَزَعَيْتَ الَّذِينَ يَنْهَى﴾ [العلق: ٩]<sup>(٢)</sup>. وعند العوتبي (توفي في القرن ٦هـ) بمعنى الغاية والكف<sup>(٣)</sup>. وزاد الفيومي (ت ٧٧٠هـ)<sup>(٤)</sup> معنى التحريم: "نهى الله تعالى أي حرّم"<sup>(٥)</sup>. وجاء بمعنى الترك عند الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ): "طلب حاجة حتى نهى عنها، أو أنهى، أي: تركها، ظفر بها أو لم يظفر"<sup>(٦)</sup>.

#### المطلب الثاني: النهي اصطلاحاً

قال السكاكي (ت ٦٢٦هـ) "النهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإن صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب"<sup>(٧)</sup>. واشترط بعضهما للإلزام<sup>(٨)</sup>. وفي معنى النهي في اصطلاح النحاة يقول الباحث قيس الأوسي: "وأما في اصطلاح النحاة فالنهي: نفي الأمر... فكما أنّ الأمر يراد به الإيجاب فكذلك النهي يراد به النفي"<sup>(٩)</sup>.

#### المطلب الثاني: النهي عند الأصوليين

قال ابن بركة (ت ٣٦٢هـ): "صورة النهي أن يقول الأمر: لا تفعل، مثل قوله جل ذكره: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [النساء: ٢٩]<sup>(١٠)</sup>. وقال الجصاص (ت ٣٧٠هـ): "لفظ النهي موضوع لكراهة الفعل وإرادة الترك"<sup>(١١)</sup>، وتابعه طائفة من الأصوليين<sup>(١٢)</sup>. وقال الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) مقترناً من تعريف الجصاص: "هو

(١)- معجم مقاييس اللغة، باب النون والهاء وما يثلثهما، ٣٥٩/٥.

(٢)- المفردات في غريب القرآن، ص ٨٢٦.

(٣)- ينظر: العوتبي، سلمة بن مسلم، الإبانة في اللغة العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة/سلطنة عمان، ط ١، ١٩٩٩م، مادة نهي، ٤٢٢/٤.

(٤)- أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (توفي ٧٧٠هـ)، ولد ونشأ بالفيوم (بمصر)، لغوي، اشتهر بكتابه (المصباح المنير). ينظر: الزركلي، الأعلام، ١/٢٢٤.

(٥)- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية/بيروت، مادة (ن ه ي)، ٢/٦٢٩.

(٦)- الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ، مادة نهي، ١/١٣٤١.

(٧)- مفتاح العلوم، ص ٣٢٠. وينظر:

- العلوي (ت ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٣/١٥٦.

- السبكي (ت ٧٧٣هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ١/٤٧٠.

- الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، ص ٢٨٤.

- الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) الكليات، ص ١٨١.

- عتيق (ت ١٣٥٦هـ)، علم المعاني، ص ٨٣.

(٨)- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٣/٣٤٤.

(٩)- أساليب الطلب عند النحويين والأصوليين، ص ٤٥٦.

(١٠)- كتاب الجامع، ٨٩/١. وينظر: الوارجلاني (ت ٥٠٧هـ)، العدل والإنصاف، ١/٥٢.

(١١)- الفصول في الأصول، ٢/٩٥.

(١٢)- ينظر:

القول المقتضى به ترك الفعل<sup>(١)</sup>. وكرره الغزالي (ت ٥٠٥هـ)<sup>(٢)</sup>. وأضاف أبو الحسين البصري (ت ٤٣٦هـ): على جهة الاستعلاء<sup>(٣)</sup>. وتابعه طائفة من القدامى<sup>(٤)</sup>.

قال القاضي أبو يعلى (ت ٤٥٨هـ): "اقتضاء أو استدعاء الترك بالقول ممن هو دونه"<sup>(٥)</sup>. وزاد الشيرازي (ت ٤٧٦هـ): على سبيل الوجوب<sup>(٦)</sup>. وتابعه الجويني (ت ٤٧٨هـ)<sup>(٧)</sup>. واستعمل الزركشي (ت ٧٩٤هـ) لفظة (كفّ) مكان (ترك)<sup>(٨)</sup>. وجاء تعريف السالمي (ت ١٣٣٢هـ) موافقاً للجصاص (٣٧٠هـ) ومن تابعه، غير مشروط للاستعلاء إذ قال: "طلب كفّ عن الفعل"<sup>(٩)</sup>، وذلك الطلب متوجه إلى غير خالقنا عزّ وجلّ، فإن طلب الكف من خالقنا عزّ وجلّ دعاء لا نبي. والمراد بالطلب في التعريف هو: ما يشمل الطلب الجازم وغيره. والمراد بالكفّ هو: الإمساك عن الفعل. وتابعه البطاشي (ت ١٤٢٠هـ)<sup>(١٠)</sup>. وأضاف السيابي (ت ١٣٩٢هـ): "لا على جهة الدعاء"<sup>(١١)</sup>.

### تعليق

النهى ضد الأمر، و"أن الحقيقة اللغوية للنهي هي: طلب الامتناع والكف"<sup>(١٢)</sup> وله في اللغة أربعة معان: الكف والترك والزجر والتحريم<sup>(١٣)</sup>. وقد أورد ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) للنهي ألفاظاً متعددة، تعدادها عشرون لفظاً: "نهيته وصددته وصرفته وزجرته وكففته ومنعته وفطمته وقذعته وكبحته وحكمته -ومنه

- ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ٤٢/١.

- الرازي (ت ٦٠٦هـ)، المحصول، ١٠٢/٢.

- الأمدى (ت ٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام للأمدى، ١٨٩/٢.

- القرافي (ت ٦٨٤هـ)، شرح تنقيح الفصول، ص ٤٠.

(١)- التقريب والإرشاد، ٣١٧/٢.

(٢)- ينظر: المستقصى، ص ٢٠٢.

(٣)- ينظر: المعتمد في أصول الفقه، ١٦٨/١.

(٤)- ينظر:

- الشماخي (ت ٩٢٨هـ)، مختصر العدل والإنصاف، ص ٢٥.

- الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ٢٧٨/١.

(٥)- العدة في أصول الفقه، ١٥٩/١.

(٦)- ينظر: اللمع في أصول الفقه، ص ٢٤.

(٧)- ينظر: الورقات، ص ١٥.

(٨)- ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، ٣٦٥/٣.

(٩)- طلعة الشمس، ١٦٧/١.

(١٠)- ينظر: غاية المأمول في علم الفروع والأصول، ١٧٤/١.

(١١)- كتاب فصول الأصول، ص ٢٥٣.

(١٢)- الكندي، الوسيط، ١٠٠/٢.

(١٣)- ينظر: الأشقر، محمد أحمد، أسلوب النبي في القرآن الكريم -دراسة في التركيب والدلالة، أطروحة دكتوراة في اللغة العربية وأدائها، نوقشت وأجيزت في الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، ص ٦.

سعي الحاكم لأنه يمنع الظالم عن الظلم- وشكمته وردعته ورثته ودفعته ورددته ووزعته ونهته ولصته ونزعته وأمطته"<sup>(١)</sup>.

وقد ورد النهي عند اللغويين والبلاغيين في أساليب الطلب، أما عند الأصوليين فقد أخرجوه من أساليب الطلب ودرسه منفصلاً.

وفي الاصطلاح تعددت تعريفات النهي، ومفادها طلب الكفّ عن الفعل. وهي في العرف الأصولي "طلب امتناع صادر من الشرع للمكلفين عن أمور عن أمور مخصوصة"<sup>(٢)</sup> واختلفوا في الاستعلاء<sup>(٣)</sup> على قسمين: فمنهم من اشترطه ومنهم لم يشترطه وهو ما يراه الباحث وتعليقه أنّ النهي يُسَمَّى نهياً، سواء حصل في النهي صفة الاستعلاء أو لم تحصل.

وللنهي صيغة حقيقية نحو لا تفعل، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]. وله صيغة مجازية نحو: نهيتكم عن كذا أو حرمت نحو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]. وذكر الأصوليون<sup>(٤)</sup> أغراضاً للنهي غير التحريم وهي:

الكرهية: نحو قوله تعالى: ﴿يَوْلَا يَتَمَمُّوا الْخَبِيثَاتِ تَنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

والإرشاد: نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَسْطُورُوا عَنَّا شَيْئاً إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ نَسْوَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

والدعاء: نحو قوله تعالى: ﴿لَا تُزَعِّ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

وبيان العاقبة: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أحيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والتقليل والاحتقار: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١].

والإيلاس: نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَدِرُوا أَلْيَوْمَ﴾ [التحریم: ٧].

#### الخاتمة

توصل الباحث بعد عرضه لمصطلحات (الأمر، والقياس، والمشارك اللفظي، والنهي) بين اللغويين

والأصوليين تعريفاً وموازنة إلى النتائج الآتية:

\* اتفق الأصوليون واللغويون على استعمال هذه المصطلحات المشتركة لغة واصطلاحاً.

\* أننا عززنا هذه المصطلحات بالأمثلة التي تكشف خلافاً بالشواهد بين اللغويين والأصوليين.

\* نضح علم أصول الفقه مبكراً وتأثيره في أصول النحو العربي.

\* ورد النهي عند اللغويين والبلاغيين في أساليب الطلب، أما عند الأصوليين فقد أخرجوه من أساليب الطلب ودرسه منفصلاً.

(١)- الطائي، محمد بن عبدالله، الألفاظ المختلفة في المعاني المختلفة، تحقيق: محمد حسن عواد، دار الجيل/بيروت، ط١، سنة الطبع

١٤١١هـ، ص١٤٧.

(٢)- الكندي، الوسيط، ١٠٠/٢.

(٣)- ينظر: عباية، الطاهر، دلالة النهي عند الأصوليين -دراسة نظرية تطبيقية سورة النور أنموذجاً، رسالة ماجستير في الفقه وأصوله، نوقشت وأجيزت في جامعة الوادي، ١٣/٢٠١٤م، ص٣١.

(٤)- ينظر تفصيل ذلك: السالمي(ت١٣٣٢هـ)، طلعة الشمس، ١٧٠/١-١٧١.

\* لا وجود للمشترك اللفظي في واقع الأمر، وأن الوجوه التي ذكرت للفظ الواحد إنما يحددها السياق الذي تقع فيه.  
\* القياس بوصفه أصلاً من أصول النحو العربي نشأ فطرياً ثم تأثر خطى القياس الفقهي بدءاً بتعريفه وانتهاءً بمباحثه.

### المصادر والمراجع

- أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (توفي ٧٧٠هـ)، ولد ونشأ بالفيوم (بمصر)، لغوي، اشتهر بكتابه (المصباح المنير). ينظر: الزركلي، الأعلام، ١/٢٢٤.
- الأشقر، محمد أحمد، أسلوب النبي في القرآن الكريم - دراسة في التركيب والدلالة، أطروحة دكتوراة في اللغة العربية وأدائها، نوقشت وأجيزت في الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م.
- البحر المحيط في أصول الفقه، ٣/٣٦٥.
- السبكي (ت ٧٧٣هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ١/٤٧٠.
- الشماخي (ت ٩٢٨هـ)، مختصر العدل والإنصاف، ص ٢٥.
- الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ١/٢٧٨.
- الطائي، محمد بن عبدالله، الألفاظ المختلفة في المعاني المختلفة، تحقيق: محمد حسن عواد، دار الجبل/بيروت، ط ١، سنة الطبع ١٤١١هـ، ص ١٤٧.
- عبادة، الطاهر، دلالة النبي عند الأصوليين - دراسة نظرية تطبيقية سورة النور أنموذجاً، رسالة ماجستير في الفقه وأصوله، نوقشت وأجيزت في جامعة الوادي، ١٣/٢٠١٤م.
- العلوي (ت ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٣/١٥٦.
- العويبي، سلمة بن مسلم، الإبانة في اللغة العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة/سلطنة عمان، ط ١، ١٩٩٩م، مادة نبي، ٤/٤٢٢.
- الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع/بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ، مادة نبي، ١/١٣٤.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية/بيروت، مادة (ن هـ ي)، ٢/٦٢٩.
- كتاب الجامع، ١/٨٩. وينظر: الوارجلاني (ت ٥٠٧هـ)، العدل والإنصاف، ١/٥٢.
- الكندي، الوسيط، ٢/١٠٠.
- معجم مقاييس اللغة، باب النون والهاء وما يثلثهما، ٥/٣٥٩.

## مراحل تطور النقد العربي القديم - نقد وتحليل

الدكتور/ عمر أحمد صديق أحمد<sup>١</sup>

## الملخص

تناول البحث مراحل تطور النقد العربي القديم، مشيراً إلى التقييم والتحليل النقدي للأعمال الأدبية التي كتبت في عصور الأدب العربي القديمة، مبيّناً الأحداث الأدبية والتنوع الفكري والثقافي من عصر لآخر، والسمات والاتجاهات الشائعة، مثل التركيز على القواعد والمقاييس، حيث كان النقد الأدبي القديم يُحدد بقواعد ومقاييس صارمة لتقييم الأعمال الأدبية، وتطوير هذه القواعد كان غالباً مبنياً على الأسطورة أو الدين أو المألوف الثقافي للمجتمع، وتناول البحث البنية والأسلوب في الشعر العربي القديم، وكانت رؤية النقاد في العصور القديمة أنهم يحللون البنية الداخلية للأعمال الأدبية وأساليب الكتابة المتنوعة والمستخدمة، مثل القافية والوزن والمفردات، وكان النقد الأدبي أيضاً يرتبط بالتعليم ونقل المعرفة، كما تناول البحث بعض التأثيرات الثقافية للعصر، والمجتمع الذي نشأ فيه، مما يجعله مصدراً غنياً لدراسة التاريخ والثقافة، وبعض القيم والمعاني والتقنيات الأدبية التي شكلت الأدب في تلك الحقبة الزمنية.

الكلمات المفتاحية: النقد - عصور الأدب - مقاييس - التراث - الأحكام - والفطرة - الذوق - الأسلوب -

## الصياغة

## التمهيد

يعد النقد العربي القديم من أهم الدراسات وألزمها في تذوق الأدب وتاريخه وتمييز عناصره وشرح أسباب جماله وقوته أو رداءته وضعفه، فالنقد أمر فطري في الإنسان، هذا الأخير يميز بفطرته وسليقته بين الخير والشر، وبين القبح والجمال، وينفر من الكلمة الخشنة الجافة، والنقد الأدبي القديم لم يظهر هكذا ناضجاً، بل مرَّ بضروب ومراحل طويلة، ومن الفوائد المرتبطة بالنقد العربي القديم ودوره في الثقافة العربية، فهم وتحليل الأدب العربي: يسهم النقد العربي القديم في فهم وتحليل الأعمال الأدبية وفهم طبيعتها وخصائصها، ويساعد على تقدير القيمة الأدبية والجمالية للأعمال الأدبية وفهم رسائلها ومعانيها، والإرشاد الأدبي: يقدم النقد العربي القديم توجيهات ومبادئ للكاتب والشعراء بشأن تقنيات الكتابة والأساليب الأدبية. يمكن أن يكون كمرجع للكاتب والأدباء لتحسين أعمالهم وتنمية مهاراتهم الأدبية، والمحافظة على التراث الثقافي: يسهم النقد العربي القديم في المحافظة على التراث الثقافي العربي وتوثيقه. يوفر فهماً عميقاً للأعمال الأدبية القديمة والشعراء البارزين، وبالتالي يساعد في الحفاظ على هذا التراث ونقله إلى الأجيال اللاحقة، وتطوير المعرفة الأدبية: يساعد النقد العربي القديم على تطوير المعرفة الأدبية وإثراء الدراسات الأدبية. من خلال تحليل الأعمال الأدبية وتقييمها، يتم إضافة أفكار ورؤى

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس

جديدة إلى المجال الأدبي ويساهم في تطوير النظريات الأدبية والمنهجيات، ويمكن استخدام النقد العربي القديم في العملية التعليمية لتطوير مهارات القراءة والتحليل لدى الطلاب. يمكن أن يكون أداة لتعزيز التفكير النقدي والتعبير الأدبي وتنمية الثقافة العامة.

وبشكل عام، يلعب النقد العربي القديم دورًا هامًا في فهم الأدب العربي التقليدي وتقديره، وتوفير إطار نقدي للأعمال الأدبية، وتطوير المعرفة الأدبية، والمساهمة في الحفاظ على التراث الثقافي العربي "يعتبر النقد القاعدة الأساسية التي يركز عليها النقد الأدبي، وذلك أن أسسه مستوحاة من العمل الأدبي، فهو يستكشف أصالة الأدب أو عدم أصالته، ويميز جيدة من رديته، وسواء كان النقد علمًا أو فنًا فإنه ليس قائمًا بذاته، وإنما هو متصل بالأدب، ويستمد منه وجوده، ويسير في ظله، يرصد خطاه واتجاهاته، وإذا كان الأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية والتجديد واكتشاف آفاق جديدة يخلق فيها ويعبر عنها، فإن النقد على العكس من ذلك، إنه محافظ مقيد، يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية يقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف، والحسن والقبح، وإصدار الأحكام عليها"<sup>1</sup>.

فالنقد على المستوى اللغوي هو تمييز الدراهم ومعرفة جيدها من رديتها، وورد في كتاب لسان العرب لابن منظور بمعنى تمييز الدراهم وغيرها وتبيين جيدها ورديتها، وذلك ما أنشده سيبويه: تنفي يداها الحصى في كل هاجرة \*\*\* نفي الدنانير تنقاد الصياريف<sup>2</sup>.

ومن معانيها أيضاً " النقاش" يقال ناقد فلان فلاناً في الأمر، إذا ناقشه فيه، ومن هذا المعنى الأصلي للكلمة تحدد معنى النقد في الأدب. ذلك لأن ما يفعله الناقد من محاولة التمييز بين جيد الكلام ورديته، ليس إلا من حبس ما يفعله الصير في نقد الدراهم والدنانير<sup>3</sup>.

أما اصطلاحاً، فقد بدأت لفظة "النقد" تعرف معناها الاصطلاحي منذ أواخر القرن الثالث الهجري ويعتبر كتاب "نقد الشعر" لقدماء بن جعفر أول مصدر أدبي استخدم لفظة "نقد" بمعنى تمييز جيد الشعر من رديته، وبالتالي فمفهوم النقد اصطلاحاً قريب من معناه لغة، وقد عُرفَ النقد في أدق معانيه بأنه دراسة النصوص الأدبية عامة، والشعرية خاصة وموازنتها بغيرها، قصد إبراز مواطن الحسن والقبح فيها مع التفسير والتعليل، وظهور بظهور الشعر، فالشاعر ناقد بطبعه، لأنه يفكر ويختار الكلمات المناسبة لشعره، ومن هنا قول ابن رشيق وقد يميّز الشعر من لا يقوله كالبرّاز، يميز من الثياب يميز ما لا ينسجه والصير في من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضَرَبَه، وعَرَفَهُ العرب كما عرفته الأمم الأخرى، فقد نجد للنقد تعريفات في المفهوم الاصطلاحي، كالكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي، وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل، ومن يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها، ومن أوائل النصوص النقدية التي تتضمن كلمة نقد نص لابن سلام الجمعي في كتابة طبقات فحول الشعراء، حيث قرر أن للشعر

1 - الدكتور عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الادبي عند العرب، ص ٧.

2 - ابن المنظور، لسان العرب، في مادة النقد، الجزء الرابع عشر، دار صادر، 2003.

3 - الدكتور عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الادبي عند العرب، ص ٨.

"صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه الأذن ، ومنها و منها ما تثقفه اليد، ومنها ما تثقفه اللسان، زمن ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة بالبصر: ومن ذلك الجهندة بالدينار والدرهم لا تعرف جود ما بلون ولا بلمس و لا طراز ولا رسم ولا صفة، ويعرف الناقد عند المعاينة فيعرف جرحها وزائفها.."<sup>1</sup>

ونستشف مما سبق ان المفهوم الاصطلاحي لكلمة نقد هو تمييز جيد الشعر من رديئه والذي سيبقى هو المفهوم الشائع عند النقاد القدامى.

### مراحل تطور النقد العربي القديم

#### النقد في العصر الجاهلي

نشأ النقد في هذا العصر على الارتجال والذوق العربي السليم وكان يعتمد على السليفة العربية ولم يتأثر بمؤثرات خارجة عن ذوقه العربي وأن النقد الأدبي تبع الأدب منذ وجود الأدب الجاهلي كذلك أن النقد قد سبق الأدب بحكم أن نقاد العصر الجاهلي هم الشعراء وأن النقد الجاهلي لازم أطوار القصيدة الجاهلية ( ولاشك في أن النقد الجاهلي كان له نصيب وافي في تبدل الأدوار التي مرت عليها القصيدة الجاهلية قبل أن تبلغ الصورة التي وجدناها عليها في المغلقات وغيرها ، ليس ذلك من حيث الشكل فحسب ، إذ كانت القصيدة تبتدئ بذكر الديار والبكاء على الأطلال واستيقاف الصخب إلى غير ذلك مما هو معروف في بناء مضمونها)<sup>2</sup> وظلت هذه الصورة من مقاييس النقد لزمن طويل حتى بعد فترة العصر الجاهلي وقد بدأت الأحكام النقدية تصدر قبل الإسلام بنحو مائة وخمسين عاما هذا بوصول الأدب الجاهلي إلينا حيث أنه لم يصل إلما سبق الإسلام بمثل هذا الزمن الذي عرفنا فيه الأدب الجاهلي وهذا بالطبع يقودنا إلى قول الجاحظ ( فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام)<sup>3</sup> وأن الشعر العربي ضاع أكثره ولم يصلنا إلا القليل منه (ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير)<sup>4</sup> هذا ما قاله عمرو بن العلاء المتوفي عام ١٥٤هـ وأننا نجد أن العرب في سالف عهدها كانت تهتم بالشعر أكثر من اهتمامها بالنثر وبالشاعر أكثر من الخطيب لذلك وجد الشعر اهتماما من النقاد أكثر مما حظى به نقد النثر وأن العرب كانت تحتفل بنبوغ الشاعر لأنه لسان حالها لذلك نجد تفضيلهم للشاعر والشعر من الناحية الاجتماعية لا من الناحية الفنية وجاء في العمدة ( كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر

1 - ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود، محمد شاكر، الطبعة الثانية مطبعة المدني، القاهرة، 1974م، الجزء الأول، ص/5.

<sup>2</sup> عز الدين الأمين: طلائع النقد العربي ص٧

<sup>3</sup> نفسه: ص٧

<sup>4</sup> ابن سلام الجمعي: الطبقات ص٢٣



الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكراهم . وكانوا لا يهتنون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج<sup>١</sup>.

من هذا كله نجد أن النقد القديم يكاد ينحصر في الشعر أكثر منه في النثر، وقد كان النقد الجاهلي عبارة عن أحكام تصدر من النقاد لما يستمعون إليه من أعمال أدبية وكان العوض الآخر من النقاد يصدر أحكاما لما يستمع إليه من طلابه بغرض التوجيه والإرشاد لأعمالهم التي تعرض عليه وليقوم بها من اعوجاج أو إبداء أي ملاحظات تفيد عمل الشاعر الذي تتلمذ عليه ، فقد كانت الأحكام تصدر على البيت الواحد من القصيدة أو على أكثر منه أو على جملة القصيدة أو شعر الشاعر بأكمله ، فمن أمثلة النقد الموجه للبيت الواحد ما روي عن طرفة بن العبد عندما سمع خاله الملتمس يقول بيته :

وقد اتناسى الهم عن احتضاره بناج عليه الصعيرة مكدم

قال له (استنوق الجمل) يريد طرفة أن الملتمس وصف الجمل بصفة الناقة لأن الصعيرة

سمة تكون في عنقها، ولا تكون في عنق البعير، وقيل إن طرفة قال قولته هذه للمسيب بن علس لما سمعه ينشد هذا البيت من بين أبيات، وكان طرفة عندئذ صبيا يلعب مع الصبيان. فالبيت في هذه الرواية للمسيب لا للملتمس، وفي رواية سمعه طرفة بن العبد هو صبي. فقال : استنوق الجمل وضحك منه ويقال : أن المسيب قال : أخرج لسانك يافتى ، فأخرجه ، فقال ويل لهذا من هذا يعني رأسه من لسانه<sup>٢</sup> ومن أمثلة النقد للبيت الواحد ما أخذ على عدي بن زيد قوله :

فصاف يفري حله عن سراته \*\* بيد الجياد فارها متتابعا

وقالوا : ( لا يقال للفرس فارة ، وإنما يقال له جواد وكريم والفارة : البغل)<sup>٣</sup>

وفي حقيقة الأمر أنه ليس لبداية النقد أصول ومناهج يعتمد عليها بل اعتمد على الفطرة والسليقة.

### النقد في القرن الأول الهجري

سار النقد في هذا العصر في اتجاه الوضوح والتدقيق مع المحافظة على السجية العربية وذوقها السليم حيث نجد في هذا العصر أثر الإسلام يتضح في تطور النقد الأدبي لما يحمله من تعاليم جديدة جاء بها القرآن الكريم وناصره الشعراء بأشعارهم وخطبهم أضاف القرآن الكريم ألفاظا ومعاني جديدة، فعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة والتف حوله جماعة الشعراء يدافعون عنه وعن الدين الجديد وكان للمشركين شعراء مهاجمون الدعوة الإسلامية والدين الجديد أمثال عبد الله بن الزبير وأبو سفيان بن الحارث وغيرهم ومن شعراء الدعوة الإسلامية حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة (كان يهجو رسول الله ص ثلاثة رهط من قريش: عبد الله بن الزبير، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص، فقال قائل لعلي بن أبي طالب كرم

<sup>١</sup> ابن رشيقي القيرواني: العمدة ج ١ ص ٦٥

<sup>٢</sup> الأمدى: الموازنة ص ٣٩

<sup>٣</sup> الأمدى: الموازنة ص ٤٠، ٣٩

الله وجهه: أهج عنا القوم الذين هجونا. فقال على رضي الله عنه: إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت فقال رجل: يا رسول الله ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا قال: (ليس هناك) أو (ليس عنده ذلك) ثم قال للأنصار: ما منع القوم الذين نصرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال: إني أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين! قال: "فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: (حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، عبد الله بن رواحة) فقد امتاز شعر حسان بن ثابت وكعب بأنه كان يتعرض بهجاء العرب المشركين وطعنه في أنسابهم وأعراضهم وأيامهم بينما كان شعر عبد الله بن رواحة يعيرهم ويعيبهم فيه بكفرهم وعدم إيمانهم فكان شعر حسان وكعب أشد عليهم من شعر عبد الله بن رواحة ولكن بعد إسلامهم كان أشد القول عليهم ما قاله بن رواحة، وجميعهم ناصر الدعوة الإسلامية وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان

بن ثابت فشفي واشتفى).<sup>١</sup>

### النقد في القرن الثاني الهجري:

تطور النقد الأدبي في هذا العصر أكثر مما كان عليه في العصر الأول الهجري والعصر الجاهلي وذلك لاهتمام الرواة بروية الشعر ونقده وتبصرهم به حيث كان لهم لنقد الثقافي والأدبي قال الأصمعي: ( لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب ويعرق المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا له على قوله ولنحو ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه، والنسب وأيام الناس ، ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم)<sup>٢</sup> وكان الشعر يروي بعضهم لبعض كالحطينة رواية زهير وكان زهير رواية أوس بن حجر وأمرؤ القيس كان رواية أبي داؤود الأيادي وممن يهتمون برواية الشعر في العصر الأصمعي وحماد الراوية وخلف الأحمر وأبو عمرو بن العلاء فقد عرف برواية الشعر وجمع بين رواية الأشعار لبعض الجاهلين والإسلاميين، وحماد الراوية يعد من أهل الأخبار لا العلماء. وكان الفضل الأكبر في جمع الشعر للأصمعي وأبي عمرو الشيباني يقول في ذلك الأستاذ طه أحمد إبراهيم (قد جمع الأصمعي أشعار نيف وعشرين شاعرا من مشهوري الجاهلية والإسلام، وجمع أبو عمر الشيباني أشعار نيف وثمانين قبيلة. وأكثر هؤلاء كان ثقة أمينا)<sup>٣</sup> فقد كان للرواة قديما إصلاح شعر الأوائل وتقويمه وتثقيفه وأيضا كانوا يجيدون قول الشعر (قال مروان بن أبي حفصة لما مدحت المهدي بشعري الذي أوله:

تركك زائرة فحيي خيالها \* بيضاء تخلط بالحياء دلها

<sup>١</sup> أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ج٤ ص ١٤٤.

<sup>٢</sup> نفسه ص ١٤٩

<sup>٣</sup> ابن رشيق القيرواني: العمدة ح ١ ص ١٩٧-١٩٨.

<sup>٤</sup> طه أحمد إبراهيم تاريخ النقد الأدبي عن العرب ص ٥٤

أردت أن أعربه على بصراء البصرة، فدخلت المسجد الجامع، فتصفح الحلق فلم أرى حلقة أعظم من حلقة يونس النحوي، فجلست إليه فقلت له:  
(أني مدحت المهدي بشعر، وأردت ألا أرفعه حتى أعرضه على بصرائكم، وأني تصفحت الحلق فلم أرى أحفل من حلقتك، فإن رأيت أن تسمعه مني فافعل). فقال: (يا بن أخي، إن هاهنا خلفا ولا يمكن أحدنا أن يسمع شعرا حتى يحضر، فإذا حضر فاسمعه فجلست حتى أقبل خلف الأحمر، فلما جلس جلست إليه، ثم قلت له ما قلت ليونس. فقال أنشد يابن أخي فأنشدته حتى أتيت على آخره). فقال لي: (أنت والله كأعشى بكر بل أنت أشعر منه) حيث يقول:

رحلت سمية غدوة أجمالها\*\* غضيبي عليك فما تقول بدالها

وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن<sup>١</sup>

نجد خلف الأحمر يعقد المقارنة ويوازن بين شعر مروان وشعر الأعشى ويحكم على الشعر الذي أشده له مروان بأنه أفضل من شعر الأعشى في قوله: (رحلت سمية غدوة .... إلى ألخ).

وأنكرتني وما كان الذي نكرت\*\* من الحوادث إلا الشيب والصلعا<sup>٢</sup>

كان الخليل بن أحمد راويا للشعر لكنه غير مهتم بقوله. قيل للأصمعي ما يمنعك من قول الشعر؟ قال: (نظري لجيده)، وقيل للخليل: (مالك لاتقول الشعر؟)، قال: (الذي أريده لا أجده، والذي أجده من لا أريده) وقيل لآخر: (مالك تروي الشعر ولاتقوله؟) قال: (لأنني كالمسن أشخذ ولا أقطع). وقال الحسن ابن أبي: (رويت أربعة آلاف بيت شعر، وقلت أربعة آلاف بيت شعر، فما رزأت الشعراء شيئا)<sup>٣</sup>، هؤلاء الرواة يهتمون برواية الشعر وتنقيحه أكثر من قوله.

وكان الخليفة الرشيد أديبا وناقدا ويريوي صاحب العقد الفريد بأنه قال للأصمعي أسمعني كلمة عدي بن الرفاع في الوليد بن يزيد بن عبد الملك\* عرف الديار توها فاعتادها\* فلما بلغ الأصمعي في الإنشاد إلى قول:

تزجى أغن كأن إبرو روقة\*\* فلما أصاب من الدواة مدادها

فاستوى جالسا، ثم قال: (أتحفظ في هذا شيئا؟) قلت: (نعم يا أمير المؤمنين) قال الفرزدق:

(لما قال عدي: تزجى أغن كأن إبرو روقة\*

قلت لجريز: أي شئ تراه يناسب هذا تشبيها؟ فقال جريز:

\* فلما أصاب من الدواة مدادها\*

قفلت لجريز: (ويحك لكأن سمعك مخبوء في فؤاده) فقال جريز: (اسكت شغلني سبك عن

جيد الكلام). ثم قال له الرشيد: (مر في إنشادك) فمضت حتى بلغت إلى قوله:

<sup>١</sup> ابن عبدبريه: العقد الفريد ج ٥ ص ٦٠٦. ٣٠٧

<sup>٢</sup> نفسه ص ٣٠٧

<sup>٣</sup> ابن عبدبريه ص ٣٠٨. ٣٠٩

ولقد أراد الله إذ ولاكها\* من أمة إصلاحها ورشادها  
قال الفضل: (كذب ومابر). قال الرشيد ماذا صنع إذ سمع هذا البيت؟ قلت: ذكرت الرواة يا أمير المؤمنين أنه قال (لا حول ولا قوة إلا بالله) قال: (مر في إنشادك) فمضيت حتى بلغت إلى قوله:  
تأتيه أسلاب الأعزة عنوة\*\* عصبا وتجمع للحروب عتادها  
قال الرشيد: (لقد وصفه بحزم وعزم، لا يعرض بينهما وكل ولا استدلال) قال: (فماذا صنع؟) قلت يا أمير المؤمنين ذكرت الرواة أنه قال: (ما شاء الله) قال (أحسبك وهمت؟) قلت: (يا أمير المؤمنين أنت اولى بالهداية)، فلم يردني أمير المؤمنين إلى بالصواب. قال: (إنما هذا عند قوله.  
ولقد أراد الله إذ ولاكها\*\* من أمة إصلاحها ورشادها  
ثم قال: (والله ماقلت هذا عن سمع، ولكني أعلم أن الرجل لم يكن يخطئ في مثل هذا. قال الأصمعي: (وهو والله الصواب). ثم قال: (مر في إنشادك). فمضيت حتى بلغت إلى قوله:  
وعلمت حتى أسائل واحدا\*\* عن حرف واحدة لكي أزدادها  
قال: (وكان من خبرهم ماذا؟) قلت: (ذكرت الرواة لما جرير أنشد عدي في هذا البيت، قال: (بلى والله، وعشر منين). قال عدي: (وقر في سمعك أثقل من الرصاص) هذا والله يا أمير المؤمنين المديح المنتقي قال الرشيد: (والله أنه لنفي الكلام في مدحه وتشبيبه). قال الفضل: يا أمير المؤمنين، لا يحسن عدي أن يقول:

شمس العداوة حتى يستفاد لهم\*\* وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

قال الرشيد: بلى قد أحسن إذ يقول في الوليد:

الحمد فيه مذاهب لا تنتهي\*\* ومكارم يعلون كل مكارم

ثم التفت إلى فقال: ما حفظت له في هذا الشعر شيئا حين قال:

أطفأت نيران الحروب وأوقدت\*\* نارت قدحت براحتيك زنادها

قلت: (ذكرت الرواة يا أمير المؤمنين أنه حك يمينا بشمال مقتدحا بذلك)<sup>١</sup>

في هذا العصر أصبح النقد يحتاج إلى توجيه وتعليل وتحليل ودراسة وذلك أبعد هذا العصر عن العصر الجاهلي الذي كان فيه النقد يعتمد على الطبع والفطر والذوق العربي السليم وفي هذا العصر تمازجت الثقافات المتباينة من عربية وغيرها نسبة لدخولها في الإسلام فلا بد من دراسة شاملة لفروع اللغة المختلفة من قواعد وبلاغة حتى تجمع مواد اللغة وتحفظ من كل دخيل عليها فالنظرة النقدية الفاحصة يجب أن تتابع كل ذلك وبالفعل أخذ أئمة العربية في ذلك وكانت لهم جهود مقدرة وواضحة كجهود طبقة العلماء والأدباء من بصريين وكوفيين وبغداديين كخلف والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما من الشعراء ورجال الثقافة والأدب.

<sup>١</sup> ابن عدي: العقد الفريد ج ٥ ص ٣١٢ ت ٣١٥

والمجموعة الأخرى هي طبقة الكتاب الذين التزموا في كتاباتهم باللغة الرصينة والتمسوا الألفاظ والعبارات غير الوحشية والتي يستخدمها العامة ولهم مذاهب متباينة في النقد، وظهرت فرق المتكلمين والمعتزلة فكان منهم الخطباء والبلغاء وبعضهم كان من عناصر عربية والآخر من عناصر غير عربية تنقفوا وتشربوا بالثقافة العربية مما أسهموا في تطور النقد العربي في هذا العصر.

#### الخاتمة

النقد العربي القديم يعنى بمعرفة جيد الكلام من رديئة، وقد تطور بتطور العصور، بدءاً بالجاهلي، إذ لا يمكننا أن ننفي أن اللبنة الأولى للنقد ظهرت في الجاهلية، وهو نقد اتسم بكونه بسيط وعفوي في طريفته، وصولاً إلى العصر العباسي، الذي أصبح فيه النقد منبرج قائم على أسس ونظريات النقد العربي القديم هو مجال الدراسة الذي يتناول تقييم وتحليل الأدب العربي الكلاسيكي منذ العصور القديمة وحتى العصور الوسطى.

أولاً:

وتركز النقد العربي القديم على تحليل الأساليب الأدبية والموضوعات والتراكيب الشعرية والأساليب البلاغية وغيرها من العناصر التي تشكل الأدب العربي التقليدي. يهدف النقد العربي إلى فهم وتفسير وتقييم الأعمال الأدبية وإبراز قيمها ومعناها ومساهماتها في الثقافة والتراث العربي. ومن الفوائد المرتبطة بالنقد العربي القديم ودوره في الثقافة العربية: فهم وتحليل الأدب العربي حيث يساهم النقد العربي القديم في فهم وتحليل الأعمال الأدبية وفهم طبيعتها وخصائصها، يساعد على تقدير القيمة الأدبية والجمالية للأعمال الأدبية وفهم رسائلها ومعانيها.

ثانياً: الإرشاد الأدبي: يقدم النقد العربي القديم توجيهات ومبادئ للكاتب والشعراء بشأن تقنيات الكتابة والأساليب الأدبية، يمكن أن يكون كمرجع للكاتب والأدباء لتحسين أعمالهم وتنمية مهاراتهم الأدبية.

ثالثاً: المحافظة على التراث الثقافي: يساهم النقد العربي القديم في المحافظة على التراث الثقافي العربي وتوثيقه. يوفر فهماً عميقاً للأعمال الأدبية القديمة والشعراء البارزين، وبالتالي يساعد في الحفاظ على هذا التراث ونقله إلى الأجيال اللاحقة.

رابعاً: تطوير المعرفة الأدبية: يساعد النقد العربي القديم على تطوير المعرفة الأدبية وإثراء الدراسات الأدبية. من خلال تحليل الأعمال الأدبية وتقييمها، يتم إضافة أفكار ورؤى جديدة إلى المجال الأدبي ويساهم في تطوير النظريات الأدبية والمنهجيات.

خامساً: النقد التربوي: يمكن استخدام النقد العربي القديم في العملية التعليمية لتطوير مهارات القراءة والتحليل لدى الطلاب. يمكن أن يكون أداة لتعزيز التفكير النقدي والتعبير الأدبي وتنمية الثقافة العامة.

بشكل عام، يلعب النقد العربي القديم دوراً هاماً في فهم الأدب العربي التقليدي وتقديره، وتوفير إطار نقدي للأعمال الأدبية، وتطوير المعرفة الأدبية، والمساهمة في الحفاظ على التراث الثقافي العربي.

## المصادر والمراجع

- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - تحقيق محمد معي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية - مصر - ط٢ ١٩٥٥ م.
- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، كتاب العقد الفريد- مطبعة التآليف والترجمة والنشر - القاهرة - مصر - ١٩٦٧ م
- ابن منظور، لسان العرب - دار صادر- بيروت - لبنان ٢٠٠٣ م.
- أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني - شرحه وكتبه هوامشه الأستاذ سمير جابر - دار الفكر - الطبعة الأولى ١٩٨٦ م.
- أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى، الموازنة بين أبي تمام والبحتري - تحقيق محمد معي الدين عبد الحميد - مطبعة حجازي بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م. الطبعة الثالثة - مطبعة السعادة - مصر ١٩٥٩م.
- محمد بن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء- بشرح محمود محمد شاكر - طبعة دار المعارف - مصر-١٩٥٢م.
- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الي القرن الرابع الهجري - دار الحكمة - بيروت - لبنان- د.ت.
- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الادبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- عزالدين الأمين، طلائع النقد العربي، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم ١٩٦٥م.

## الفروق الفردية والخصائص النفسية للإنسان في القرآن

الدكتور / يونس سليم

### الملخص

الخطاب الإلهي للإنسان كان موجهاً إليه باعتبار الإنسان بجميع خصائصه وباعتبار جميع خصائص إنسانيته وباعتبار جميع خصائص علم النفس له، ونبداً الآن بصيغ الخطاب الموجه إلى الإنسان، وهناك صيغ مختلفة في خطاب الله للإنسان.

### الخصائص النفسية للإنسان في القرآن

تناول القرآن خصائص الإنسانية للإنسان مثل التعقل والتدبر والتفقه والتبصر . وخواصه مثل الجدل والهلع والجزع، والآيات التالية دليل على ذلك:

- فطرية الهلع والجدل للإنسان، كما في قوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا".<sup>١</sup>
- فطرية جدلية الإنسان كما في قوله تعالى: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا".<sup>٢</sup>
- خاصية التعقل كما في قوله تعالى: وقوله تعالى: "صم بكم عمي فهم لا يعقلون"، وقوله تعالى: "اتَّمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ"<sup>٣</sup>
- خاصية التدبر للإنسان كما في قوله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"<sup>٤</sup>
- خاصية التلبس والتبصر كما في قوله تعالى: "وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ"<sup>٥</sup>

وتناول أحيانا خصائص قلب الإنسان كما ترى كما يلي:

- مرض القلب: "وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ"

<sup>١</sup> أستاذ مشارك ورئيس القسم، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدائها، كلية فاروق، كبرالا

<sup>٢</sup> سورة المعارج، الآية: ١٩-٢٢

<sup>٣</sup> سورة الكهف، الآية: ٥٤

<sup>٤</sup> سورة البقرة، الآية: ١٧١

<sup>٥</sup> سورة البقرة، الآية: ٤٤

<sup>٦</sup> سورة محمد، الآية: ٢٤

<sup>٧</sup> سورة البقرة، الآية: ١٩٧

وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ<sup>١</sup>

- قلوب ختمت عليها) وجعلنا في قلوبهم أكنة (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>٢</sup>، وقوله تعالى: "وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً آيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ<sup>٣</sup>".
- في حالة ران على قلوبهم: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ قلوبهم قاسية ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَبِمَا كَأَلْجِزَاءٍ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُهَا فَيَخْرُجُ مِنْهَا الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ<sup>٤</sup>".
- طمانينة القلوب، وقوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ<sup>٥</sup>".

والآيات القرآنية كثيرة في هذا الموضوع، ونستنتج مما سبق أن القرآن الكريم قد اعتبر انسانية الإنسان في خطابه الموجه إليه وقد اعتبر خصائصه الإنسانية ونفسيته الإنسان وعقليته، وتارة بتوجيه الخطاب إلى قلبه أو أفئدته أو إلى ما في الصدور.

الفروق الفردية (Individual Difference) مبحث هام في علم النفس الحديث وفي علم النفس القرآني كليهما، ونرى فروق كثيرة بين الناس في استعدادهم وقواتهم البدنية والنفسية والعقلية. وترجع هذه الفروق إلى تفاعل كل من العوامل الوراثية والبيئية. وقد أشار القرآن الكريم إلى الفروق بين الناس في كثير من المواضع وهو الذي جَعَلَكُمْ خَلْقًا مِنْ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ<sup>٦</sup>..وقد نرى أيضاً يقول الله تعالى "ومن آياته خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتَلَا أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ<sup>٧</sup>" وفي الآية "إن سعيكم لشتى" والآية "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ<sup>٨</sup>".

#### القرآن وجنسية الإنسان

وهكذا نرى كثيراً من الآيات القرآنية في هذا الموضوع. فهنا إشارات واضحة إلى وجود الفروق الفردية بين الناس، كما أن هذه الآيات تتضمن أن هذه الفروق ترجع إلى كل من العوامل الوراثية

<sup>١</sup> سورة المدثر، الآية: ٣١

<sup>٢</sup> سورة البقرة، الآية: ٧

<sup>٣</sup> سورة الأنعام، الآية: ٢٥

<sup>٤</sup> سورة المطففين، الآية ١٤

<sup>٥</sup> سورة الرعد، الآية: ٢٨

<sup>٦</sup> سورة الأنعام، الآية: ١٦٥

<sup>٧</sup> سورة الروم، الآية: ٢٢

<sup>٨</sup> سورة الإسراء، الآية: ٨٤



والبيئية. فقلوه تعالى: "أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض"<sup>١</sup>...إنما يشمل كل أنواع الفروق بين الناس سواء كانت وراثية أم مكتسبة، وسواء كانت بدنية أو نفسية أو عقلية، أو في الثروة والممتلكات، أو النفوذ. وقلوه تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم "إن من آياته إختلاف ألسنة الناس وألوانهم إنما يشير إلى أثر كل من العوامل الوراثية والبيئية في الفروق الفردية. فمن الواضح أن إختلاف الألوان إنما يرجع إلى العوامل الوراثية، وأن إختلاف الألسنة واللغات واللهجات بين الناس إنما يرجع إلى العوامل البيئية والاجتماعية والثقافية. وتوجد فروق بين الناس في العلم والحكمة، ويتضمن ذلك وجود فروق بينهم في القدرات العقلية والذكاء. يفهم ذلك من مضمون الآيات التي ورد هنا سابقاً.

وقال ابن كثير في تفسيره عن ذلك: قال حسن البصري: ليس عالمٌ إلاً فوقه عالمٌ حتى ينتهي إلى الله سبحانه. وعن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عباس (ر) فحدث بحديث عجيب، فتعجب رجل فقال: الحمد لله، فوق كل ذي علم عليم، فقال ابن عباس: بئس ما قلت، الله العليم قوق كل عالم، يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم "إن الناس مختلفون في قدراتهم وإستعداداتهم، وفي ظروفهم الثقافية والاجتماعية وخبراتهم الشخصية فإننا، لاشك، نتوقع وجود اختلافات كثيرة في سلوكهم .

والآية "قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ" ..المراد هنا كل إنسان يعمل على طبيعته وطريقته. واختلاف الإنسان في استعداداته وقدرته البدنية والعقلية يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف قدراتهم على العمل والكسب، وتحصيل العلم ، وتختلف طبعاً لذلك واجباتهم ومسؤولياتهم، وذلك بناء على قوله تعالى: "لا يكلف الله نفساً إلاً وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت"<sup>٢</sup>.

والإعتبار بالفروق الفردية موضوع هام في علم النفس الحديث، وفي نفس الوقت، أصل قرآني أيضاً، بناء على قوله تعالى: "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" ويستعين علماء النفس المحدثون أيضاً بقياس الفروق الفردية بهدف تحسين عملية التوجيه المهني والإختيار المهني بحيث يمكن وضع كل شخص في العمل المناسب لإستعداداته وقدراته .

و"يلاحظ أن مظاهر النمو ترتبط مع بعضها ارتباطاً وثيقاً، فالطفل الذي يمتاز بذكائه ويمتاز أيضاً بإستعداداته الأخرى وقدراته المختلفة وفي ثباته الإنفعالي وفي تفاعله الإجتماعي وفي نموه العام، وتدلّ الملاحظات العلمية على أن ضعاف العقول من البلهاء والمعوقين يتأخرون في نموهم الجسدي والنفسي والإجتماعي، وتدلّ أيضاً على أن الأذكيا يراهقون قبل الأغبياء، هذا وإذا تساوت جميع الظروف المختلفة تختلف سرعة النمو عند الذكور عن سرعة النمو عند الإناث وتدلّ الملاحظات العلمية الدقيقة

<sup>١</sup> سورة الإسراء، الآية: ٢١

<sup>٢</sup> سورة البقرة، الآية: ٢٨٦

على أن الذكور يفوقون الإناث في حجمهم وفي وزن أجسامهم بعد الميلاد ثم تزداد سرعة نمو الإناث حتى تفوق نمو الذكور، وبذلك تميل الفروق الفردية بين الأطفال إلى الثبات.

الفروق الفردية (Individual Difference) مبحث هام في علم النفس الحديث وفي علم النفس القرآني كليهما، ونرى فروق كثيرة بين الناس في استعدادهم وقواتهم البدنية والنفسية والعقلية. وترجع هذه الفروق إلى تفاعل كل من العوامل الوراثية والبيئية. وقد أشار القرآن الكريم إلى الفروق بين الناس في كثير من المواضع "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ". "وقد نرى أيضاً يقول الله تعالى": "ومن آياته خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتِمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ" وفي الآية "إن سعيكم لشتى" والآية "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ".

#### الخاتمة

الفروق الفردية (Individual Difference) مبحث هام في علم النفس الحديث وفي علم النفس القرآني كليهما، ونرى فروق كثيرة بين الناس في استعدادهم وقواتهم البدنية والنفسية والعقلية. وترجع هذه الفروق إلى تفاعل كل من العوامل الوراثية والبيئية. الخطاب الإلهي للإنسان كان موجهاً إليه باعتبار الإنسان بجميع خصائصه وباعتبار جميع خصائص إنسانيته وباعتبار جميع خصائص علم النفس له، ونبدأ الآن بصيغ الخطاب الموجه إلى الإنسان، وهناك صيغ مختلفة في خطاب الله للإنسان.

#### المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- محمد عثمان نجاتي، سيجمند فرويد الأنا والهو، دار الشرق، ١٩٨٨.
- الدكتور معتصم بابكر مصطفى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار الكتب القطرية، ٢٠٠٤.
- الدكتورة نادية طهروا، موسوعات الإعجاز القرآني في علوم الطب والفلك، المكتبة: مكتبة الصفاء أبوظبي الإمارات العربية المتحدة، اليمامة دمشق، ٢٠٠٧.
- هاشم محمد سعيد، معجزات قلب القرآن، دار الشرق، ١٩٨٩.
- يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة، ط6، القاهرة مكتبة وهبة، ١٩٧٨.
- يوسف ميخائيل أسعد، المشكلات النفسية حقيقتها وطرق علاجها، دارنهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٨.

## التجربة الصوفية في الروايات العربية المعاصرة: "موت صغير" لمحمد حسن علوان نموذجا

الدكتور/ عمير خان م<sup>١</sup>

### الملخص

إن اللجوء إلى التراث من أهم الظواهر التي شاعت في الروايات العربية المعاصرة، وخاصة اللجوء إلى التراث الصوفي. وقد ارتبطت التجربة الصوفية بالرواية العربية المعاصرة ارتباطا كبيرا لدى كثير من الروائيين المعاصرين للتعبير عن أبعاد الصوفية في جوانبها المختلفة. فالرواية "موت صغير" غنية بهذا الخطاب الصوفي الروحي. تقوم هذه الدراسة على اكتشاف أبعاد الصوفية في رواية "موت صغير" لمحمد حسن علوان. هذه الورقة محاولة للبحث والنقاش عن مظاهر التجربة الصوفية في الروايات العربية المعاصرة وخاصة في رواية موت صغير. وكذلك يحاول الباحث لتسليط الضوء على حياة محمد حسن علوان الأدبية وإسهاماته في الأدب العربي.

### المقدمة

لقد ورد مصطلح التصوف بعدة تعاريف، ولذا تعريفه صعب علينا أن نعثر على مفهوم جامع للتصوف، وأغلب من هذه التعاريف استقرت على أن التصوف هو: "العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"<sup>٢</sup>. وفي الحقيقة أن التصوف ظاهرة دينية، انتشر وترعرع في كنف الإسلام في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد والعبادة، وتطورت تلك النزعات حتى صارت طرقا متميزة. وإنه يعتبر تجربة خاصة و ليست شيئا مشتركا بين الناسج ميعا. فالتجربة الصوفية تتضمن الرفض كأساس لها، فالصوفي منخلع عن عالم الواقع حيث يعيش في حالة قطيعة. فالتجربة الصوفية التي يمر بها الصوفي تختلف وتتعدد من الصوفي إلآخر، فلكل صوفي طريقة معينة في التعبير عن حالته ومشاعره.

إن التجربة الصوفية ليست مجرد مذهبا دينيا، وإنما هي تجربة في الكتابة، وللصوفية أدب رقيق فياض، صيغ بأسلوب استخدمت فيه ألفاظ صوفية. و"الأدب الصوفي هو أدب الصوفيين الذين دون وهو خلد وهفي آثارهم شعرا ونثرا وحكمة ونصيحة وموعظة ومثلا وعبرة ويحتوي على عاطفة صادقة وتجربة عميقة، وقد تناولوا في آدابهم الكثير من دقائق الحكمة والتجربة والفكر والمعاني والأخيلة وأعمق مشاعر الإنسان، وحفل آدابهم بروائع المناجاة والحب الإلهي"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> محاضر، كلية روضة العلوم العربية بفاروق، كيرالا، الهند

<sup>٢</sup> عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار العلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤، ص ٤٦٧

<sup>٣</sup> مجلة حوليات التراث العدد ١٠، جامعة مستغانم، سبتمبر ٢٠١٠، ص

<https://archive.org/details/ar401mosta10/page/n15/mode/2up>

ولقد خلفت الصوفية المسلمون تراثا عظيما تميز ببراء الخيال والرمز، وتنوعت الموضوعات بين تصوير للتجربة في الطريق الصوفي، وتعبير عن الحب الالهي، وشرح للفلسفة الصوفية بعامه. ولقد كتب أكثر هذا التراث الصوفي الإسلامي باللغة العربية، كما كتب كثيرا من الشعر الصوفي باللغة الفارسية، وبعضه بالأوربية والتركية. ومنها رابعة العدوية<sup>١</sup>، وسهل التستري<sup>٢</sup>، والحلاج<sup>٣</sup>، وابو زيد البسطامي<sup>٤</sup> وابن عربي<sup>٥</sup> وغيرهم الذين قدموا لنا إبداعات كثيرة في الشعر والنثر على السواء.

وهذه الإبداعات النثرية والشعرية توظفت بشكل واسع في الشعر العربي المعاصر منذ ستينيات القرن العشرين. ونجد تأثيرها في عدة أعمال الشعراء العرب المعاصرين أمثال عبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور و أدونيس ومحمد لطفي جمعة ونجيب سرور. ولا شك أن هذه الإبداعات الصوفية الثرية قد أثرت على العديد من الروائيين العرب المعاصرين أيضا بطرق مختلفة.

### التجربة الصوفية في الروايات العربية المعاصرة

إن استدعاء التراث الصوفي في الرواية العربية المعاصرة جزء من استدعاء التراث بصفة عامة، فكان استدعاء التراث الصوفي أحد أهم الظواهر التي ظهرت بشكل واضح في عدد من الروايات العربية. والروائيون العرب، باحثين عن تحررهم من تقليد الغرب، وفي سعهم إلى تأكيد هويتهم، وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام تراث صوفي هائل فتمثلوا التجربة الصوفية في أعمالهم الإبداعية واغترفوا من ينابيع التصوف الثرة، ليصبح بذلك البعد الصوفي وجهاً من وجوه الرواية الجديدة. ومن الروائيين العرب الذين استثمروا التراث الصوفي في أعمالهم نجد نجيب محفوظ وجمال الغيطاني ويحيى القيسي وعبد الإله بن عرفة وسعد القرش وإدوار الخراط وعبد الحكيم قاسم وعمار علي حسن وإبراهيم الكوني وغيرهم كثيرون.

والكاتب المصري جمال الغيطاني الذي يُعد من أبرز الروائيين العرب الذين اهتموا بالتراث الصوفي وشخصياته. وروايته "كتاب التجليات- الأسفار الثلاثة" قد استفادت كثيرا من كتابات ابن عربي ومعارجه. "يبدو أنّ الفعل الصوفي يمضي بعيدا في كتاب التجليات بأسفاره الثلاثة عبر لغة الكشف والاكتشاف والغوص في المجهول والانخراط في عالم روحاني عجائبي، ويتجلى ذلك بشكل واضح من خلال

<sup>١</sup> رابعة العدوية (١٠٠-١٨٠ هـ) ولدت وعاشت في بغداد، وتكنى بأب الخير، وإحدى الشخصيات المشهورة في عالم التصوف الإسلامي، الملقبة بشهيدة العشق الالهي.

<sup>٢</sup> أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري (٢٠٠ - ٢٨٣ هـ). ولد في نُسُر قرب شيراز في بلاد خوزستان، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري. ترك عدة مؤلفات.

<sup>٣</sup> أبو المغيث الحسين بن منصور الخلاج (٢٤٤-٣٠٩ هـ): شاعر صوفي من شعراء الدولة العباسية، يُعد من رواد أعلام التصوف في العالم العربي والإسلامي.

<sup>٤</sup> أبو زيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي (١٨٨-٢٦١ هـ) متصوف إسلامي وقد لقب بسلطان العارفين، من أهل القرن الثالث الهجري. ترك بصمة كبيرة في عالم التصوف.

<sup>٥</sup> محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائفي الأندلسي (٥٥٨-٦٣٨ هـ) الشهير بمحيي الدين بن عربي، أحد أشهر المتصوفين لقب بالشيخ الأكبر

الهاجس الصوفي الذي يغلف كافة لغة التجربة الروحانية التي يعايشها السارد أو البطل بضمير المتكلم طيلة الرحلة المعراجية الخيالية التي تقوده نحو عالم سماوي غيبي، وهو معراج شبيهه بالمعراج الروحي لدى المتصوفة. وتكون الرحلة على شكل رؤيا لا تخلو من سمات الحلم والمشئ في الهواء، وهي إحدى الكرامات في الثقافة الصوفية فيرحل الراوي في هذا المعراج الخيالي متنقلا خارج واقعه الأرضي المادي المحصور بقيود الزمن والمكان. وقد تشرب النص عناصر وإشراقات اللغة الصوفية بالتفعيل والمحاورة، متقمّصا الرؤيا الصوفية التي تأخذ شيئا من حلم النوم والبعض الآخر من حلم اليقظة، لتييح حرية الحركة في التنقل بين الأزمنة والشخوص والأشياء والموجودات. فالرؤيا في العرف الصوفي هي أن يخلق الله في قلب النائم ما يخلق في قلب اليقظان، بحيث تنبثق لدى المتصوفة في الغالب إماما من الرؤيا المنامية أو الإلهام أو من خلال صوت الهاتف".<sup>١</sup>

وكذلك استثمر التصوف في رواية "رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ بكل أحواله ومقاماته وظواهره. و ظهر ذلك جليا في البناء الجمالي والدلالي للرواية. ونجد التراث الصوفي واطهار التجربة الصوفية في كثير من الروايات العربية المعاصرة أمثال رواية "رحلة الأشواق الطائرة" لإدوارد الخراط، ورواية "حدث أبو هريرة قال" لمحمود المسعدي، وروايي الأديب الطاهر وطار "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" و "الولي الطاهر يرفع يديه للسماء"، ورواية "شجرة العابد" لعمار علي حسن ورواية "بر الخيتعور" لإبراهيم الكوني.

وقد ظهر التراث الصوفي في الروايات العربية المعاصرة بمظهرين: مظهر جزئي ومظهر كلي. والمظهر الجزئي يقصد به حضور العلامات الصوفية جزئيا في الرواية، سواء في اللغة أو في ملامح بعض الشخصيات أو ممارساتها، أو في أسماء بعض الأماكن ورمزيتها. ويظهر البعد الصوفي فيها أحيانا كظهور بعض المصطلحات الصوفية أمثال المقامات، الأحوال، الخلوة وغيرها. وكما نجد في بعض من الروايات اقتباس نصوص صوفية بهدف تأكيد رمزية الرواية وتكثيف رؤيتها، حيث تلجأ الرواية العربية المعاصرة في كثير من الأحيان إلى التناس مع الخطاب الصوفي عن طريق إيراد المقولات والأذكار الصوفية والآثار في بدايات النصوص أو ضمنها أو في خواتمها كما تُستدعى الشخصية الصوفية بصور متعددة مختلفة، كاتخاذ الشخصيات الصوفية أبطالاً للرواية، وتكون أداةً للتعبير عن موقف أو رؤية ما.

وفي حالة المظهر الكلي يكون التراث الصوفي أو التجربة الصوفية فعلا شاملا يشتمل بناء الرواية ويطلع لغتها وسائر مقوماتها بطابع صوفي خالص، ولعل أبرز مثال على ذلك رواية موت صغير لمحمد حسن علوان.

<sup>١</sup>سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود، نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، ط١، دارالمنارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ١٩٩١، ص١٩٧.

## رواية موت صغير

إن رواية "موت صغير" للروائي السعودي محمد حسن علوان التي صدرت عن دار الساقى بيروت عام ٢٠١٦م هي سيرة روائية متخيلة لحياة وليّ صوفيّ هو محيي الدين بن عربي منذ ولادته في الأندلس في منتصف القرن السادس الهجري وحتى وفاته في دمشق. تتناول الرواية سيرة حياة زاخرة بالرحيل والسفر من الأندلس غرباً وحتى أذربيجان شرقاً، مروراً بالمغرب الغربي ومصر والحجاز والشام والعراق وتركيا، يعيش خلالها البطل تجربته الصوفية العميقة التي يحملها داخل روحه القلقة ليؤدي رسالته تحت ظل دول متخيلة ويمرّ بمدن عديدة ويلتقي أشخاصاً كثر ويمرّ بأحداث متخيلة وحروب طاحنة ومشاعر مضطربة<sup>1</sup>.

## محمد حسن علوان

ولد الروائي محمد حسن علوان في الرياض، عام ١٩٧٩م. يحمل شهادة الدكتوراة في التسويق والتجارة الدولية من جامعة كارلتون الكندية. صدرت له ست روايات: "سقف الكفاية" (٢٠٠٢)، "صوفيا" (٢٠٠٤)، "طوق الطهارة" (٢٠٠٧)، "القندس" (٢٠١١)، "موت صغير" (٢٠١٦)، و "جرما الترجمان" (٢٠٢٠م). وفي عام ٢٠١٠م تم اختياره ضمن أفضل ٣٩ كاتب عربي تحت سن الأربعين وأدرج اسمه في أنطولوجيا "بيروت ٣٩". ، وفي عام ٢٠١٣، رشحت روايته "القندس" ضمن القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية وفي عام ٢٠١٧م رواية موت صغير فازت بجائزة البوكر العربية. وله كتاب نظري أيضاً بعنوان "الرحيل: نظرياته والعوامل المؤثرة فيه" (٢٠١٤). وقد كتب مقالة أسبوعية لمدة ست سنوات في صحيفتي الوطن والشرق السعوديتين ونشرت له صحيفتا "نيويورك مامز" الأمريكية و"الجارديان" البريطانية مقالات وقصص قصيرة. وحصلت النسخة الفرنسية لروايته "القندس" على جائزة معهد العالم العربي في باريس كأفضل رواية عربية مترجمة للفرنسية عن العام ٢٠١٥. شارك علوان في أول "ندوة" (ورشة إبداع) التي نظمتها الجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠٠٩ وكان مدرباً على الكتابة في ندوة عام ٢٠١٦.

## التجربة الصوفية في رواية موت صغير

إن الرواية موت صغير عبارة عن سيرة متخيلة لحياة الصوفي والفيلسوف العربي محيي الدين بن عربي، ومسيرة مخطوطه الذي كتبه قبيل وفاته، وامتدت حكايته حتى الألفية الجديدة. ولم تغفل الرواية شيئاً من حياته. يروي الكاتب عن بحث ابن عربي عن أعلام الصوفية، وعلمه، وتلامذته، وحروبه الشخصية، ورحلاته وأسفاره، والترحال من غرب الأندلس إلى شرق أذربيجان، مروراً بكل من المغرب ومصر والحجاز والشام والعراق وتركيا، بحثاً عن العلم والمعرفة وشيوخ طريقته، أو كما وصفهم ابن

<sup>1</sup><https://www.arabicfiction.org/ar/node/804>

علوان بـ"الأوتاد"<sup>١</sup>، وعن علاقته بالملوك والأمراء والحكام، والمتصوفة، ورجال الدين والفلاسفة، وصولاً إلى شيخوخته، فنهاية حياته في دمشق. ولكن الرواية لا تتحدث عن سيرة ابن عربي وفق مراحل حياته التاريخية الحقيقية بزمناتها المتعارف عليها وأحداثها في ذلك التاريخ.

ويظهر الأثر الصوفي في رواية موت صغير بدءاً من العنوان. "يشكل العنوان مدخلاً أساسياً لقراءة النص الأدبي، وتشير الدراسات إلى أن عنوان هذه الرواية "موت صغير" يحمل دلالات وإيحاءات عدة تُثير القارئ للولوج إلى عالم الرواية، إذ تُعبّر الكلمة الأولى "موت" عن الحزن والألم، أما الكلمة الثانية "صغير" فتحمل مجازاً واسعاً للتأويل، كما تحمل دلالة تعبر عن بطل الرواية، ويذكر الباحث وال كاتب هيثم جبر عباس أنّ المؤلف يمكن أن يكون قد اقتبس العنوان من عبارة شهيرة لابن عربي، وهي: "الجب موت صغير"<sup>٢</sup>.

تدور أحداث الرواية بين عدد من الشخصيات الرئيسية المرتبطة بحياة ابن عربي صاحب الحكاية والشخصية المحورية في الرواية منها: والد ابن عربي ووالدته، وزينب (ابنة محيي الدين بن عربي)، ومريم (زوجة محيي الدين بن عربي)، وفاطمة بنت المثنى، وشقيقتا محيي الدين، والشيخ زاهر الأصفهاني، ونظام ابنة الشيخ الأصفهاني.

فأول ما يطالعنا منها بعد اجتياز عتبة العنوان؛ مكان وتاريخ، "المكان: أذربيجان، التاريخ ٦١٠هـ/١٢١٢م". وكأن السارد من خلال هذا التاريخ الذي يجيء - زمنياً - قبل أقل من عقدين من وفاة الفيلسوف محيي الدين بن عربي؛ ينهنا إلى أن هذه بداية تدوين مخطوط يسرد حياة ابن عربي، سيلازمنا مساره منذ البداية وحتى النهاية، في هذه البداية المؤرخة يحكي لنا السارد قصة ذهاب ابن عربي وانعزاله في كوخ في أذربيجان لكتابة (سيرته الذاتية)، يبدأ حكاية المخطوط بقوله: "هذا كوخٌ مسنّمٌ في أعلاه. إذا اضطجعتُ فيه لأنام اضطجعتُ على ميل لفرط ضيقه، وإذا وقفت خنفتي دخانُ النار الذي يتجمّع في سنامه ويحجب سقفه، وإذا خرجتُ منه بدت السماء من أمامي كأنها قِطْعٌ ساقطٌ يتعامد مع الأرض تماماً حتى أوشك لو مشيت باتجاهها أن أصطدمها"<sup>٤</sup>.

ينتقل السارد بعد ذلك إلى قصة ابن عربي الحقيقية، يتحدث فيها عن ولادته، وعن دور فاطمة القابلة الطيبة التي تولت أمر العناية به بعد ولادته، فتعلق قلبه بها وأصبحت أمه الروحية بعد ذلك "انتهبر زخي الأولفي رمضان عندما شعرت أُمي بالآلام الوضع. اعتصرت يداها طرفي الفراش وابتهل فمها إلى الله أن يجعل مولودها ذكراً ومخاضه سهلاً... غشي علأمي فور ولادتي فلم يتسنّ لفاطمة أن تضعني على

<sup>١</sup> الأوتاد: هم أربعة رجال منازلهم على منازل الأربعة أركان من العالم، شرق وغرب وشمال وجنوب (التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ٢٠٠٣، م. دار الكتب العلمية، بيروت ص ٤٣)

<sup>٢</sup> سميرة الحارثي، المكان، الصورة، والدلالة "رواية موت صغير نموذجاً"، صفحة ٣٧. [https://journals.ekb.eg/article\\_19124.html](https://journals.ekb.eg/article_19124.html)، ومحمد بن علي بن محمد ابن عربي الحاتمي الطائي، ولد في الأندلس عام 565هـ، وكان فيلسوفاً قلب بالشيخ الأكبر، و من أئمة المتكلمين في كل علم، وقام برحلة طويلة فزار الشام ومصر والعراق والحجاز وبلاد الروم، وله نحو أربع مائة كتاب رسالة، استقر في دمشق وتوفي بها عام 616هـ.

<sup>٤</sup> موت صغير، محمد حسن علوان، ط ١٠٢٠١٦، دار الساقي، بيروت، ص ٧

صدرها كما يفعلون، فغسلتني وكفلتني وراحت تمسح على وجهي كما تفعل الأمهات فتعلّق قلبي بها التعلّق الأول".<sup>١</sup>

يروى بعدها وفي ست لوحات طفولة ابن عربي التي قضاها في مرسية، وعلاقة والده الوثيقة بملكها ابن مردنيش، الذي أثار تحالفه مع الفرنجة غضب الموحدين، فحاصروا مملكته حصاراً خانقاً أدى إلى استسلام الملك وسقوط مرسية، ولم يغفل السارد عن تعليم محيي الدين الذي حرص والده عليه غاية الحرص، ثم يختتم تلك اللوحات برحيل عائلة ابن عربي – بعد استسلام المدينة - إلى إشبيلية، وهي الرحلة الأولى لمحيي الدين بنعربي خارج مرسية، ومنها بدأت أسفاره التي لم تتوقف حتتوفاه الله في دمشق.

وجد أن الكاتب يتحدث عن سيرة الصوفي الشهير محي الدين بن عربي، حيث يتناول قصته بعيداً عن تعقيدات حياته وغلوه في التصوف وقضايا إسقاط التكليف، فهو يتناول من جانب إنساني فقط. نجد فيها أن بن عربي شخص عادي يخطيء ويصيب، يرتكب الآثام ويقع في المحذور، يسقط في الحب مراراً وتكراراً. ويصور فيها قصة حب وعشق لابن عربي الإنسان بينه وبين محبوبته نظام عين الشمس والبهاء ابنة زاهر الأصفهاني، الذي التقاها في مكة المكرمة. فامتلت نفس بن عربي عشقا، وضاق قلبه بالشعر والكلام العذب فالتجأ إلى أوراقه، وأفرغ ما في قلبه ونفسه كتابا سماه "ترجمان الأشواق".

"وصار ذلك درس العقل والقلب، منارة البصر والبصيرة، شعلة الجسد والروح. أسأل أنا فتطلب فخر النساء من نظام أن تجيب، وتسأل نظام فتطلب فخر النساء مني أن أجيب. وطيلة الدروس لا تكلمني نظام مباشرةً ولا أكلّمها إلا عن طريق عمته. كنت أظن مكة مفتاح الروح الذي سعيت إليه من أقصى الأندلس، فإذا هي تطرق باب قلبي كما لم يُطرق من قبل. أشعلت نظام في صدري مصباحاً رأيت على ضوئه زوايا في هذا القلب لم أرها من قبل: أركاناً موحشة، غرفاً موصدة، سراديب تراكمت فيها مشاعر لم يتسنّ لها أن تخرج إلى الحياة التي أعيشها. سكنت خيالي كل لحظة من يومي وليليتي".<sup>2</sup>

وقد استعرض السارد في بداية كل باب من أبواب روايته المائة عبارة مقتبسة عن محيي الدين بن عربي أمثال: "لولا المطامع لانقطعت الهمم"، "الجب سرُّ الهيّ"، "كل فيّ لا يُفيدُ علماً لا يُعوّلُ عليه"، "الخاطر الأول لا يخطئ"، "أنت غمامة على شمسك، فاعرف نفسك"، "الممكن برزخ بين الوجود والعدم"، عندما تضيق الأرزاق وينعدم الأمل، "لن تبلغ من الدين شيئاً حتى توقّر جميع الخلائق". "ظَهْرُ قَلْبِكَ تُمّ اتبعه، مَنْ لا حكمة له لا حُكم له". "كلُّ وقتٍ يكون لا لك ولا عليك لا يعوّلُ عليه". "الزمانُ مكانٌ سائلٌ، والمكانُ زمانٌ متجمّدٌ". وهذه العبارات القصيرة كانت إلى حد ما تشبه العناوين الفرعية لكنها كانت تفتقر إلى سمات العنوان، وتنحو نحو الحكمة والموعظة أو الإشارة الخفية لفكرة ما مبطنه في داخلها.

<sup>١</sup> موت صغير، محمد حسن علوان، ط ١، ٢٠١٦، دار الساق، بيروت، ص ١٣-١٤

<sup>٢</sup> موت صغير، محمد حسن علوان، ط ١، ٢٠١٦، دار الساق، بيروت، ص ٣١٣



## الخاتمة

إن الكتب في التراث العربي تحتوي على الكثير من الأدب الصوفي. ولقد أبرز لنا البحث أن الروائيين المعاصرين حاولوا تجسيد التراث الصوفي والتجربة الصوفية في أعمالهم ليصبح وجهها جديداً من وجوه الرواية العربية المعاصرة. وعلاقة الرواية المعاصرة بالتصوف واضحة جداً حيث شغل الرمز الصوفي حيزاً مهماً في كثير من الروايات العربية المعاصرة. وقد تنوعت أشكال إظهار التراث الصوفي في الروايات العربية المعاصرة بين مظهر جزئي ومظهر كلي.

وعمد الروائي محمد حسن علوان عبر روايته "موت صغير" إلى تقديم شخصية صوفية. ويظهر البعد الصوفي فيها خلال سيرة متخيلة لحياة الصوفي محي الدين بن عربي. ولم تغفل الرواية شيئاً من حياته. وكذلك عنوان الرواية "موت صغير" وعناوين الرئيسة والفرعية تحيل بشكل مباشر على البنية الصوفية بلفظها ودلالاتها الإشارية.

## المصادر والمراجع

- محمد حسن علوان : موتٌ صغيرٌ، ط ١، دار الساقى ، بيروت ٢٠١٦.
- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، ط ٥، دار العلم، بيروت لبنان ، ١٩٨٤.
- عبد الله حسين : التصوف والمتصوفة ، ط ١ ، مؤسسة هندواي ، المملكة المتحدة ، ٢٠١٧.
- سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود، نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ، ط ١، دار المنارة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ١٩٩١
- أبو الحسن الجرجاني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ .
- د. سليمان سالم السناني : بنية الزمن في رواية موت صغير لمحمد حسن علوان ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية ، ٢٠٢١ م ص: ٣٥١-٣٧٣ [https://www.kau.edu.sa/Files/320/Researches/74055\\_47217.pdf](https://www.kau.edu.sa/Files/320/Researches/74055_47217.pdf)
- بوداود وذنان: اللغة الصوفية عند جمال الغيطاني، مجلة حوليات التراث، مجلة علمية محكمة سنوية، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد ٦، ٢٠٠٦ م.
- <https://www.arabicfiction.org/ar/node/804>
- [https://journals.ekb.eg/article\\_19124.html](https://journals.ekb.eg/article_19124.html)
- <https://archive.org/details/ar401mosta06>

## دور مجلة البشري في تطوير العلاقات الدولية العربية بولاية كيرالا والهند

السيد/ عبد اللطيف. وي<sup>١</sup>

## الملخص

بدأت الصحافة العربية في كيرالا بعد الخمسينات من القرن العشرين، وقبل ذلك، كان فن الصحافة مقصوراً في لغتها الرسمية، تعد مجلة "البشري"، أول مجلة عربية تصدر من جنوب الهند. أسست في يوم الخامس عشرة من شهر يناير ١٩٦٣. هذه منتوجة لعلماء كيرالا الذين كانت لهم الإتصال المباشر وغير المباشر بالعالم العربي بما كان لهم الإلمام والاطلاع على النشاطات الثقافية التي كانت تجري في دائرة الأدب العربي في البلاد الإسلامية والعربية.

تبحث الورقة عن دور مجلة البشري ومحتوياتها في توثيق العلاقات الدولية بين الهند والبلاد العربية وتبحث عن النهضة التي حدثت في كيرالا في مجال الصحافة العربية ونشر اللغة العربية في كيرالا، وتهدف هذه الورقة التعريف بمجلة البشري ومساهماتها في تطوير وتنشيط العلاقات الدولية بين الهند والعالم العربي، وخدمتها الجليلة في تطور اللغة العربية في كيرالا، التعريف بالتراث العظيم للهند وعلاقة العرب معها، التعريف بتراث كيرالا ومساهمة أهلها في الأدب العربي الحديث.

## منهج البحث

يعتمد هذا البحث على منهج تاريخي حيث يقوم الباحث بتحليل العناصر التاريخية للتوصل إلى نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: مجلة البشري، صحافة العربية بكيرالا، علاقة كيرالا مع العرب

## المقدمة

كانت كيرالا أبرز من بين الولايات الأخرى التي تأثرت بالنهضة العربية، كانت لها تراث عظيم لصحافة مليالم ولصحافة عربي- مليالم منذ قديم الزمان. وأثرت اللغة العربية في كل ناحية من نواحي حياتهم اليومية، آلاف من الطلاب والمدرسين والمهاهد التربوية تتعلق في كيرالا بهذه اللغة. تدرس اللغة العربية في كيرالا من المدارس الإبتدائية إلى مستوى الجامعات. وتجري هناك تطورات في أعمال التأليف والصحافة مع قدوم الزمان.

الصحافة أداة مهمة لنقل الأخبار المتعلقة بمستجدات الأحداث على الساحت السياسية والاجتماعية والثقافية، فهي أيضا أساس مهم لهضة المجتمع ثقافيا وأديبا واجتماعيا ولغويا. النهضة العربية التي حدثت في اللغة العربية بعد منتصف القرن العشرين أثرت في مجال الصحافة والمجلات العربية. لا شك أن المجالات والدوريات العربية الصادرة من الجامعات والمعاهد من البلاد العربية قد أثرت تأثيرا بالغا في ترقية اللغة العربية وتطور فن الصحافة العربية في كيرالا وساعدت لصدور عدة مجلات

<sup>١</sup> باحث الدكتوراه، قسم الماجستير والبحوث، كلية تنجن الحكومية، ترور، كيرالا

عربية بشكل كبير حيث أثرت في انتشار اللغة العربية وتداولها في تعزيز العلاقات الثقافية والأدبية بين الهند والبلاد العربية، صدرت "مجلة البثري" أول مجلة عربية في جنوب الهند كنتاج هذه التأثيرات في اليوم الخامس عشرة من شهر يناير ١٩٦٣ تحت رئاسة المولوي كي بي محمد بن أحمد. ولكن توقفت بعد سنة واحد، ثم إستأنف إصدارها تحت رعاية اتحاد معلمي العربية لولاية كيرالا صدرت في سنة ١٩٦٧ واستمرت إلى ١٩٧٨ م.

### العوامل التي أدت إلى نشر مجلة البشري

قبل أن نذكر عن إصدار هذه المجلة، يتحتم علينا أن نوجز عن العوامل التي ساعدت على إصدارها، وهنا، نجد بعض الأسباب التي أدت إلى نشر هذه المجلة، فمن أهمها:

- علاقة علماء كيرالا بالعالم العربي بما كان لهم الإلمام والاطلاع على النشاطات الثقافية التي كانت تجري في دائرة الأدب العربي في البلاد الإسلامية والعربية، إذ كانت الصحف والمجلات تأتي إلى بعض الكليات العربية مثل كلية مدينة العلوم ببوليكال وكلية سلم السلام بأريكود، وفي جانب آخر الطلاب الذين كانوا يدرسون في الجامعات الإسلامية مثل جامعة الأزهر وجامعة القاهرة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لعبوا دورا كبيرا في إصدار مجلة عربية في هذه الولاية.
- جمعية نشر اللغة العربية (Arabic Prachara Sabha) ونشاطاتها أدت دورا هاما في إصدار هذا العمل، إذ كانت هذه المجلة العربية حلما كبيرا لمسؤولي هذه الجمعية، وكان في طليعتهم الشيخ ك. بي محمد بن أحمد المولوي عليه رحمة الله، ولكن بقي هذا الحلم غاية لم تنجز إلى أن اصدرت مجلة "البشري" عام ١٩٦٣ م، يقول عنها الشيخ محمد بن أحمد: "فنحن - معاصر محبي اللغة العربية- لا بد لنا من إصدار مجلة عربية أدبية في ديار كيرالا- مالابار- كالمجلات الأدبية لسائر اللغات. وكان إصدار مجلة عربية في ديار كيرالا أمنية طالما تمنّاها كثير من علمائها منذ عهد بعيد. وقد صرفوا للتفكير هذا الأمر المهم جزءا كبيرا من أوقاتهم النفيسة لعلمهم بمسئولية الحاجة إليها في هذا العصر- عصر الصحافة- كما قال أمير الشعراء: "لكل زمان مضى آية، وآية هذا الزمان الصحف"، وجدير بالذكر أنهم أسسوا جمعية تدعى بجمعية نشر اللغة العربية بكيرالا تهدف إصدار المجلة وغيره من الأغراض التي تساعد نشر اللغة العربية بطرق مختلفة إلا أن الظروف القاسية لم تسمح بصدور المجلة إلى حيز الوجود".<sup>١</sup>
- تقدم تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية بعد تكوين ولاية كيرالا المتحدة، فكانت هذه النشاطات قد جرت في منطقة تريفيتامكور تحت رئاسة الشيخ واكام عبد القادر المولوي، ثم تابعت هذه الأعمال في منطقة مليبار أيضا، فكان في طليعتها الشيخ كاروالي محمد المولوي الذي كان يتولى

<sup>١</sup> الشيخ ك.ب محمد بن أحمد: كلمة التحرير، مجلة البشري، يناير ١٩٦٣، ص: ٩

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ٢١

منصب مفتش معارف المسلمين لحكومة كيرالا حينذاك، لأن المعلمين الذين يشتغلون في المدارس الحكومية كانوا معظم المشتركين لهذه المجلة الأدبية.

كانت هناك عددا من الأهداف المنشودة النبيلة وراء تشكيل هذه المجلة حيث تساعد على تعزيز التبادلات الأدبية والثقافية بين ولاية كيرالا الهند والدول العربية ومن أهمها :-

- رفع مستوى الأدب العربي في ولاية كيرالا والهند ونشر اللغة التي اختارها الله تعالى لكتابه الكريم الموافق لكل زمان ومكان المحفوظ إلى يوم القيامة.
- توثيق الصلات الأدبية والثقافية وتوطيد المودة والاخوة بين الدائرة العربية بكيرالا وبين الدائرة العربية في القارة الهندية والعالم العربي والإسلامي، الإهتمام بالحفاظ على اللغة العربية ونشرها.
- تشجيع الأمة الإسلامية في الهند على التداول للغة العربية، تنشيط العلماء والأدباء على تأليف الكت وكتابة المقالات، والعثور على تراث الأدب العربي والقيام بحفظها مخطوطات العلماء ومطبوعاتهم. وإجراء الندوات الدراسية و المسابقات الأدبية وتبادل للأخبار بين الدول العربية.

كان ك.ب محمد المولوي محرر المجلة مصعقا ومتقنا في اللغة العربية الفصحى وكان له علاقة مع العلماء في خارج الهند وداخلها وتفاعل محمد المولوي مع علماء الخليج بلغة عربية واضحة، واستفاد المولوي هذه العلاقة لتزيين المجلة في محتوياتها، وبمحاولات مستمرة قبل شهور اصدارها اتصل المولوي ك. ب بأشخاص المرموقين في مجال السياسة والثقافة والأدب في داخل كيرالا وخارجها، وواعدوا دعمهم ومساعدتهم للمجلة، انطلقت المجلة مزينة بهنئيات شخصيات بارزة في مجال السياسة والثقافة. نرى فيها رسائل التهنية من الرئيس الجمهورية الهندية آنذاك الدكتور س. راداكريشنان، نائب الرئيس ذاكر حسين، حاكم ولاية كيرالا وي، وي جيري، الدكتور محمد رياض المتر الملحق الثقافي بسفارة الجمهورية العربية المتحدة، الوزير بي. بي عمر كويا، فضيلة الشيخ السيد عبد الوهاب البخاري بمدراس، فضيلة الأستاذ أبي الصباح أحمد علي الأزهرى عميد كلية روضة العلوم بفروقاباد، الأستاذ ك.ام مولوي رئيس ندوة المجاهدين بكيرالا. الهند للشيخ أحمد شرقاوي، و.ج مور(سكرتية جمهورية الهند) ك، بي عبيد الجليل عميد كلية روضة العلوم .

لم يمض وقت طويل حتى أصبحت هذه المجلة الوسيلة الفضلى لتقديم حركات اللغة العربية في ولاية كيرالا إلى العالم العربي، عين مسؤولان كالوكلاء في المدينة المنورة في المملكة العربية السعودية لإدارة المجلة في المملكة، يمكن أن نرى إعلانا للتعريف وكلاءها في المملكة حيث كتبها في المجلة "وكلاءنا في المملكة العربية السعودية ١. فضيلة الشيخ محي الدين محمد الملباري ٢، فضيلة الشيخ عبد العزيز بن فريد ص.ب. ٤٠٥، المدينة المنورة، ومن يرغب الحصول على أعداد البشرية الغراء من إخواننا السعوديين

فليتصل بهما<sup>١</sup>، فاختيار المدينة المنورة موقع المكتب والإدارة للمجلة ساعد لربط المجلة ببلاد العرب وعلماءها حيث يجتمع فيها العلماء والمشايخ من بلاد العالم العربي وغيرها. نشرت المجالات العربية ملاحظات وتهنئات عن مجلة البشرى ينقل رئيس التحرير ك، بي محمد المولوي ملاحظة مجلة العرب في عدد يونيو ١٩٦٣ حيث ذكرت "أهدانا الأستاذ محمد بن أحمد المولوي في كاليكوت العدد الأول من مجلة الجديدة (البشرى). وهي مجلة علمية ادبية ثقافية تعنى بخدمة النشاط في معاهد جنوب الهند. وقد صدر العدد بطائفة من رسائل التهاني من بعض أفاضل العلماء وكبار الشخصيات الهندية الرسمية. ونحن نرجو للبشرى كل تقدم ونجاح فهي أول محاولة من نوعها لاصدار مجلة باللغة العربية في ربوع تلك الديار الاسلامية العريقة التي ثبت نشر اللغة العربية في مدارسها ومعاهدها العلمية منذ أن أرسى فيها وانا نحث العلماء والأساتذة في جنوب الهند على تشجيعها والاشتراك فيها والتبرع لها<sup>٢</sup>."

#### محتويات مجلة البشرى

كانت مجلة البشرى غنية بعدة منتجات الأدبية والعلمية حيث كانت تناقش في أعدادها الأعمال العربية المتنوعة لأدباء الهند وغيرها من القصص وقصص الأطفال، والأشعار والمقالات والأخبار العالم والمحلية ودراسة اللغة والعلوم الدينية الشؤون الإسلامية والقضايا العالمية وغيرها، حظيت لها بمعانها المشهورين من الكتاب العرب من داخل الهند وخارجها في ذلك الوقت، حيث عملوا جاهدين من أجل الوحدة والحب بين الجالية الإسلامية والعربية في القرن الواحد والعشرين، وقد تناولوا مواضيع مختلفة باللغة العربية.

ومن كتاب البارزين من خارج الولاية والبلاد العربية:- محمد عبدالله الميباري كاتب عربي من أصول مالابار، كان من أبرز كتاب البشرى. هو رائد الصحافة العربية السعودية الحديثة ورئيس كثير من المجالات والصحف السعودية يعد من عباقرة الكتاب في المملكة والخليج. نشرت عدة أعماله في مجلة البشرى في أعدادها المختلفة كان له علاقات وثيقة مع ولاية كيرالا، الهند. كما كان له علاقات مع المنشورات العربية خارج المملكة في مجال الصحافة. كتب مقالات وقصائد لمجلة "البشرى". ومنها مقالته "العلاقات بين مكة ومليبار". مقالة متتالية نشرت في عشرة أعداد (مجلة البشرى، العدد ٢، أكتوبر ١٩٦٩ ص:٧) يبحث فيه الكاتب علاقة كيرالا ببلاد العرب والمكة المكرمة منذ قديم الزمان وما فيها من آثار العرب وغيرها والأستاذ نور الدين العتر هو أستاذ في جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أنه كتب عدة مقالات في المجلة حول مواضيع مختلفة ومنها "أدلة تحريم الربا المصارف (أغسطس ١٩٦٨)، "كيف نحل المشاكل الحديثة" (سبتمبر ١٩٦٨)، "الإسلام والمعاملات المصرفية" (مايو ١٩٦٨)، "المعاملات المصرفية

<sup>١</sup> محرر البشرى، مجلة البشرى، نوفمبر ١٩٧٠، العدد ٨، ص ٢

<sup>٢</sup> ك، بي محمد المولوي، قتالت مجلة العرب عن البشرى "مجلة البشرى" يونيو، مجلد ٦، ١٩٦٣ ص ٢

وحكمها في الإسلام" (يناير ١٩٦٨)، "محاسن نظام المصرف اللاربيوي"، (كانون الأول ١٩٦٨)، "رمصارف بدون ربا"، (يناير ١٩٦٨)

أحمد شرقاوي، هو مبعوث الأزهر الشريف في جنوب الهند أنه كتب مقالتي في موضوع مهم بعنوان "رسالة الصحافة العربية الإسلامية في الهند" (يناير وفبراير ١٩٦٣) وكانت هذه المقالة منعكسة تاريخ صحافة العربية في الهند ماضيها وحاضرها ومستقبلها في أحسن صورة، نشرت في عددتين متواليتين ويخط في المقال عن عظمة الصحافة ودورها في المجتمع مع أنه يذكر دور مجلة البشري ومسؤوليتها العظيمة في نمو الصحافة العربية في الهند حيث يحقق أهدافها المنشودة حتى يفرح بها عالم العرب حيث يقول "تكون الصحافة العربية الإسلامية في الهند مرآة لقراءها أولاً وقبل كل شيء، تنعكس على صفحاتها الأمهم وآمالهم ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، تسعى بطرق شريفة فعالة الى تحقيق مثلهم العليا وتحسين أحوالهم دون أن تنسى من حولهم، ومن يتصل بهم، ومن يرتبط بهم بمختلف الروابط المتينة المعروفة، فأرى الصحافة العربية الإسلامية في الهند - وقد بدأت عيدا جديدا بهذه "البشري" تتلقفها أيدي آلاف عديدة من عشاق العربية وعشاق القرآن وعشاق الحقيقة والمعرفة في هذه البلاد وفي غيرها. كم تكون فرحة العرب حين يرون اخوانهم في الهند، وقد نقلوا الهمم الافكار والعواطف والاحوال عن طريق الصحافة العربية الإسلامية، لكي يعرف العرب بانتظام كل ما يكمن في عقول اخوانه أهل الهند من أفكار الاخوة وكل ما يجيش في قلوبهم من عواطف المحبة - ذلك جزء هام من رسالة الصحافة العربية الإسلامية في الهند".<sup>١</sup>

ومنهم السيد تقي الدين الهلالي الأستاذ في جامعة محمد الخامس في المغرب وأستاذ منتدب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أنه كتب مقالة عن لغة القرآن (يونيو ١٩٦٧) وحبیب أحمد جمالي (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) كتب على موضوع "اليهود عبر التاريخ" (أزار ١٩٧٠) وسعد الدين المولوي، الأستاذ جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كتب مقالة مسلسلة عن جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (يناير، وفبراير ١٩٦٤) ومحمد ضياء الرحمن الأعظمي وعبد الوهاب البخاري وغيرهم من الكتاب المرموقين زينوا صفحات البشري بأعمالهم القيمة حيث يتمكن قراءتها وفهمها لعشاق اللغة العربية في أي بلد يسكن.

ومن الكتاب الداخلية في المجلة هم الشيخ المرجوم السيد أحمد شهاب الدين قاضي كاليكوت، الدكتور محي الدين الألواي، السيد محمد علي شهاب بانكاد، والدكتور بشير محي الدين الأزهرى، الدكتور عبد الله الأزهرى ممباد، الأستاذ عبد العزيز منكادي، الدكتور أي. ك أحمد كوتي، الشيخ عبد الحميد المدني، كنج محمد العمري، فضيلة الأستاذ أبي الصباح أحمد علي الأزهرى، ي، عمر تروركاوي، عبد المجيد السليبي، بي محمد كوتاشاري، السيد زين الدين، السيد وي ك، على، السيد و، ك، همزة العباس، السيد عبد الرحمن يو، بي، الشيخ عبد الحسن، بي، حسين المدني، السيدة بي. ك، عائشة السلمية،

<sup>١</sup> أحمد شرقاوي، رسالة الصحافة العربية في الهند، مجلة البشري، المجلد ١ عدد ٢ ١٩٦٣، ص ٧

السيد جريمندم عبد الرزاق، وجريامندم عبد الحميد المدني، محمد حسين كاونور، عبد الله ككاد، يم، محمد المدني الكديتوري وغيرهم، وكان هؤلاء الكتاب من مختلف نواحي الحياة من بلاد العالم ولكن كانوا يشتغلون في مجال اللغة العربية دارسا ومدرسا وصحافيا وعالما وغيره حينذاك.

ودعت القراء إلى مشاركة الأعمال الأدبية لنشرها في البشرى حيث يوجد فيها إعلان "بشرى سارة للقراء، فرصة ذهبية للمعلمين، العدد السنوي الممتاز لمجلة البشرى الغراء، ستصدر في ابريل القادم، قد منحت لكم فرصة ثمينة للتطلع الى نتاج قرائح الشخصيات البارزة في انحاء العالم الاسلامى من المقالات المنتخبة والاشعار الرنانة والقصص الخلاية والبحوث العلمية والثقافية".<sup>١</sup> هناك إعلان آخر في عدد الرابع ١٩٦٣ حيث يقول "فرصة سعيدة للمعلمين في العالم الإسلامي والعربي تخاطب بشأنها الإدارة، عنوان الإدارة (العنوان)"<sup>٢</sup> هذه الإعلانات تشير إلى أن هذه المجلة كانت تخاطب العالم العربي وكانت منصة لإجتماع كتاب العرب العالمية.

تحتوي المجلة على أعمدة مختلفة في مواضيع مختلفة ومنها كلمة البشرى، حول العالم في الشهر، ركن تاريخ كيرالا، أخبار كيرالا، أخبار المعاهد العربية الإسلامية في الهند، كلمات عربية مع الترجمة. خطة الدرس، ركن الأطفال. القصص، والأشعار، والألغاز وغيرها

شارك الدكتور معي الدين الألوي مشاركة حيوية في مجلة البشرى، كتب عددًا من المقالات حول الشؤون العالمية خلال مسيرته التدريسية في مصر. كان باناكاد سيد محمد علي شهاب تنغال(المرحوم)، رئيس الرابطة الإسلامية والزعيم الأكبر في سياسة ولاية كيرالا يكتب مقالات متوالية للمجلة أثناء دراسته في جامعة القاهرة. السيد شهاب الدين إمبشيكويا، الباحث البارز القاضي الكالكوت تعامل عمودا "حول العالم في الشهر". كان فصلاً جديداً يلتقط الحركات الهامة التي حدثت في العالم في الشهر السابق قبل اصدارمجلة البشرى. عالج محرر المجلة الشيخ ك، ب محمد المولوي فصلا عن التاريخ الإسلامي في ولاية كيرالا، كتب أبو الصلاح محمد المولوي عن تاريخ دراسات اللغة العربية في ولاية كيرالا، نشر مقال سعد الدين مولوي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في ثلاثة أعداد، عالج إن ك. أحمد مولوي مقالا عن الشعراء العرب وكتابتهم في ولاية كيرالا.

#### القضايا العالمية والمعاصرة التي تحدثت المجلة

تناولت مجلة البشرى عدة قضايا المعاصرة التي حدثت في عصر نشرها وكانت هذه القضايا تواجه الأمة المسلمة والعالم العرب واللغة العربية وبلاد الهند وغيرها، توفر ت المجلة البشرى فرصة لمحي اللغة العربية والعلماء من جميع أنحاء العالم للتعلم ومناقشة المقالات المتعلقة بالمجتمع الإسلامي والعالم العربي، وكانت هذه المقالات رفيعة المستوى يدركها لكل قراءها في داخل الهند وخارجها.

<sup>١</sup> محرر المجلة : مجلة البشرى، يناير ١٩٦٨، ص: ٢٨

<sup>٢</sup> محرر المجلة : مجلة البشرى، أبريل ١٩٦٣، ص: ٢٣

وكذلك أسهمت مجلة البشرى إسهما حيويا في تطوير وتنشيط العلاقات الدولية بين الهند والعالم العربي، تشارك المجلة في إبلاغ الحركات الإسلامية ونشاطاتها إلى العالم الإسلامي كما تؤطي دورا بارزاً في تصحيح المفاهيم عن الأقلية المسلمة في الهند وتجري حوارات في موضوعات مختلفة مع كبار الشخصيات من العالم الإسلامي ومع ذلك عالجت المجلة قضايا الأمة الإسلامية في داخل الهند وخارجها. ومن أهم مميزات المجلة أنها تتضمن على المنتجات الأدبية لأدباء كيرلا وغيرها من داخل الهند وخارجها من المقالات والأخبار والقصص وقصص الأطفال والأشعار وغيرها.

تشارك المجلة في إبلاغ الحركات الإسلامية ونشاطاتها إلى العالم الإسلامي كما تؤطي دور بارزاً في تصحيح المفاهيم عن الأقلية المسلمة في الهند وتجري حوارات في موضوعات متفردة مع كبار الشخصيات من العالم الإسلامي ومع ذلك تعني بقضايا الأمة الإسلامية في داخل الهند وخارجها شعراء "البشرى"

كان الشعر العربي عامل الجذب الرئيسي وجزءا بارزا في كل أعدادها، قد حظيت المجلة بوفرة وجود الشعراء المفلحين بإبداعاتهم الأدبية في مختلف أغراض الشعر، كان يكتب فيها الشيخ محمد الفلكي وأبو ليلي محمد بن ميران و الشيخ ن.ك أحمد المولوي وموسى وانميل ومحمد المدني الكوديتوري و ك. وعبد الرحمن الكودولي والحكيم أبو رشيدة أبوبكر المولوي و عمر الفاروق وعلى كوجونوري وك.يم جمال الدين المولوي وغيرهم. وكانت معظم هذه الأشعار تعالج موضوعات المعاصرة حيث أنها مقبولة لدى القراء في مختلف أنحاء العالم مثل "هل يسترد القدس من أيدي العدي" (أغسطس ١٩٦٧) هذا الشعر لعلي كجنوري يتحدث عن قضية القدس ومنها المدح والمرثية والوصف التهنئات وغيرها مثل "مرحبا بمجلة البشرى" (فبراير ١٩٦٣) "هند العزيزة" لعمر الفاروق م، "تهنيك يا ابن السادة" لنديم الحامط (يوليو ١٩٦٧) هذا الشعر تهنئة أهديت إلى حضرة رئيس الهند ذاكر حسين بمناسبة إنتخابه رئيسا لجمهورية الهندية، و"على لسان الإسلام" لموسى أيروري (فبراير ١٩٦٤) الفضل يعود لمجلة البشرى من خلال هذه القصائد في تبادل الأدب والثقافة وإقناع العالم العربي عن تقدم الشعر العربي ومميزاتها في ولاية كيرالا.

ومن أهم ما قدمت هذه المجلة من المجهودات الملحوظة التي لفتت أنظار مدرسي اللغة العربية نشر مقالات في مجال التعليم مع بعض نماذج لخطط الوحدة وأوراق الأسئلة النموذجية في صفحاتها، كان هذا العمل نتاج الجلسة الخاصة التي تمت انعقادها بأريكود، يقول عنها رئيس تحرير المجلة: "اجتمع في أريكوت من أفاضل معلمي العربية: بن ك أحمد المولوي وبي. ك عبد الرزاق و يم. عمر المولوي وأبي عبد القادر المولوي وتي. كنج محي الدين المولوي برئاسة الفاضل بن.وي إبراهيم صدر المدرسين في مدرسة سلم السلام العالية المستشرقة بأريكوت للنظر في تحسين التعليم العربي وتطويره وجعله على أحدث الأساليب والطرق حسب تقرير اتحاد معلمي اللغة العربية بكيرالا، ودام الاجتماع عشرة أيام، وصدقوا أثناء ذلك



رسالتين في خطة الوحدة التعليمية وخطة الاختبار لكي يستفيد منها سائر المعلمين في أنحاء كيرالا وهم أئوف يخدمون الآداب العربية في مختلف المدارس".<sup>١</sup>

ظلت هذه المجلة كامشكاة للتبادل الأدبي والثقافي مع الدول العربية، في مجال الصدور لمدة ١٠ سنوات، حتى توقفت في عام ١٩٧٨. لكن منذ عام ٢٠١٥ بدأت هذه المجلة في إعادة النشر جزئيا. تحت إشراف هيئة تحرير جديدة، ويستمر إصدارها حتى الآن

#### الخاتمة

في خلاصة القول، كانت مجلة "البشرى" أحسن دليل لتطور اللغة العربية وآدابها وثقافتها خصوصا لصحافة العربية وازدهارها في جنوب الهند، وكانت تقوم مقام السفير بين ديار كيرالا والدول العربية والإسلامية أثناء إصدارها لتوطيد العلاقات الثقافية والأدبية واللغوية.

هناك في جنوب الهند أكثر من عشرين مجلات عربية و معظمها في كيرالا أغلبيتها توقفت إصدارها بعد خدماتها الجليلة للغة العربية ولمجال التأليف. أنها لم تلق هذه الأعمال الصحافية العربية الثمينة اهتماما لائقا من قبل الباحثين والكتاب أن أغلبية الباحثين والكتاب إكتفوا بعثهم وذكرهم عن أسماء بعض المجلات الصادرة في جنوب الهند. يعالج في هذا البحث بمحاولة أن يستوعب تاريخ أول مجلة العربية "البشرى، وخدماتها للغة العربية ولصحافة العربية في كيرالا" وتقديم الدراسة حول الجهود والنهضة التي جرت في كيرالا في فن الصحافة التي تقاس في بلاد العرب.

#### الإقتراحات والتوصيات

بعد هذه الدراسة وجد الباحث أن مجلة البشرى أدت دورا كبيرا في تطور الصحافة العربية في كيرالا في الستينات والسبعينات قبل العقود في الظروف والأحوال التي لم تتقدم اللغة العربية تقدما واسعا في ربوع كيرالا رغم أنه لم تلق هذه الأعمال الصحافية العربية الثمينة اهتماما لائقا من قبل الباحثين والكتاب، ولذا يطلب مزيدا من البحث عن محتويات هذا الموضوع بأوجهها المختلفة، ومع ذلك وقد بلغت الآن دراسة اللغة العربية وآدابها في كيرالا غاية نموها وتطورها مثلما في البلاد العربية. تبلغ عدد المثقفين في اللغة العربية هنا خمس مليون تقريبا أو أكثر. ويأتي إلى مجال الصحافة العربية مئات من الشبان المرموقين في اللغة، ومنهم من يشتغل في الصحف والمجلات العربية العالمية ومن الممكن في هذا السياق أن تصدر مزيدا من المجلات والأسبوعيات في العربية حتى جريدة يومية.

#### المصادر والمراجع

- عبد الجليل ت، الصحافة العربية في كيرالا، مجلة النور، عربية فصلية إسلامية، العدد الأول لسنة ٢٠١٠
- محمد أيوب تاج الدين الندوي، الصحافة العربية في الهند - ماضيها وحاضرها، المصدر: الثقافة العربية في الهند، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض ٢٠١٦م، الطبعة الثانية.
- الدكتور أبو بكر محمد المدني، اللغة العربية في كيرالا، الثقافة العربية في الهند، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض ٢٠١٦م، الطبعة الثانية.

<sup>١</sup> خطة الوحدة: مجلة "البشرى" أغسطس سنة ١٩٧٣م، ص: ١٦-١٨.

- محمد زكريا الندوي ، الثقافة العربية في الهند، نشر مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية ، الرياض ٢٠١٦م، الطبعة الثانية.
- المليباري، محمد عبد الله ،"العلاقات بين مكة ومليبار" مجلة البشرى، العدد ٢، أكتوبر ١٩٦٩
- نوشاد على، وف، " تاريخ تطور النشر الحديث في المملكة العربية السعودية". العالم الجديد- المجلد ٣، ٢٠٢٠
- مجلة النهضة :المجلدات من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٧ ديسمبر
- المليباري، محمد عبدالله . "في المسجد الأقصى حريق" مجلة البشرى العدد ٩٠ (١٩٧١)
- الفاروقى، وبران معي الدين: الشعر العربي في كيرالا -مبدؤه وتطوره ، عرب نت ، كالكوت ط١. ٢٠٠٣ .١٠. الدكتور الشيخ محمد ك . اللغة العربية في كيرالا.ناشر يدو مارت ، ط١.٢٠١٢
- الدكتور أشرف نتور. الحافة العربية في الهند. مكتبة الهدى ، كالكوت، ط١.٢٠١٥
- الدكتور سليمان محمد. الدكتور معي الدين ألواني حياته وأثاره، معع الغريب كيرالا. ط١.٢٠٠٧

## نقد الهيمنة الذكورية في رواية 'امرأة عند نقطة الصفر' لنوال السعداوي

الدكتور/ عبد الجليل يم'

## الملخص

هذه الدراسة تسلط الضوء على أهمية وتأثير رواية "امرأة عند نقطة الصفر" للكاتبة نوال السعداوي في استكشاف ونقد الهيمنة الذكورية في المجتمعات العربية، تتناول الرواية قصة بطلة اسمها 'فردوس'، وهي الشخصية الرئيسية التي تعاني من قيود المجتمع الذكوري، الدراسة تشير إلى وجهة نوال السعداوي التي ترى أن الهيمنة الذكورية تشكل أساساً للنظام الأبوي، تبرز الكاتبة أن النظام يقوم بتقسيم المجتمع إلى فئتين، حيث يتمتع الرجال بجميع الحقوق والامتيازات، بينما يعاني النساء من الحرمان والظلم، تستعرض المقالة كيف توظف السعداوي من خلال الرواية نقد هذا النظام وتشجيع فكر التحرر للمرأة، يتمحور تحليل الدراسة حول شخصية 'فردوس' كرمز للمرأة المظلومة في مجتمع يفرض عليها القيود ويحرمها من حقوقها الأساسية.

## المقدمة

تعدّ رواية 'امرأة عند نقطة الصفر' لنوال السعداوي من أهم الأعمال الروائية التي تناولت نقد الهيمنة الذكورية في المجتمعات العربية. تروي الرواية قصة حياة بطلتها 'فردوس' التي تعاني من القمع والاضطهاد من قبل المجتمع الذكوري الذي يحرمها من حقوقها الأساسية كإنسانة، تنطلق نوال السعداوي في هذه الرواية من إيمانها بأن الهيمنة الذكورية هي أساس النظام الأبوي الذي يحكم المجتمعات العربية. وترى أن هذا النظام يقوم على تقسيم المجتمع إلى فئتين: المهيمنة والمهمّشة، حيث يتمتع الرجال بكافة الحقوق والامتيازات، بينما تعاني النساء من القهر والقمع.

## نوال السعداوي كروائية

نوال السعداوي (١٩٣١ - ٢٠٢١م)، كاتبة وروائية مصرية، وطبيبة أمراض القلب، اشتهرت بدفاعها عن حقوق المرأة بشكل خاص، كتبت العديد من الكتب عن المرأة، أثارت نوال السعداوي جدلاً واسعاً بين الأوساط الثقافية، ففي عام ١٩٨١م، ساهمت نوال السعداوي في تأسيس مجلة نسوية سميت 'المواجهة'. وفي ٦ سبتمبر ١٩٨١م، حُكم عليها بالسجن في عهد الرئيس محمد أنور السادات، أُطلق سراحها في نفس العام بعد شهر واحد من اغتيال الرئيس.

سُجنت نوال في سجن النساء بالقناطر لمدة ثلاثة أشهر، وعند خروجها قامت بكتابة كتابها الشهير 'مذكراتي في سجن النساء' عام ١٩٨٣م، ولم تكن تلك هي التجربة الوحيدة لها مع السجن، فقبل ذلك بتسع أعوام كانت لها علاقة مع سجينه واتخذتها كملهمه لروايتها 'امرأة عند نقطة الصفر' عام ١٩٧٥م. ومن أشهر أقوالها "لقد أصبح الخطر جزءاً من حياتي منذ أن رفعت القلم وكتبت، لا يوجد ما

<sup>١</sup>. أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كبرالا

<sup>٢</sup>. نوال السعداوي، مذكراتي في سجن النساء، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م

هو أخطر من الحقيقة في عالم مملوء بالكذب"<sup>١</sup>. وبالجهود التي بذلتها في الدفاع عن قضايا المرأة في مصر والعالم العربي، الاحتفاء بها جاء من قبل عدة دول غير عربية، وقد تم ترشيحها لنيل جائزة نوبل، ويظل اسم نوال السعداوي من بين أبرز الشخصيات المحفورة في تاريخ الأدب النسوي، وتوفيت نوال السعداوي في ٢١ مارس ٢٠٢١ م عن عمر يناهز ٨٩ عامًا.

كتبت نوال السعداوي أكثر من خمسين عملاً متنوعاً يشمل الرواية والقصة والمسرحية والسيرة الذاتية، كانت نوال السعداوي تقوم بتفكيك الثالث المقدس: الدين والجنس والسياسة، وتدعو إلى تحرير المرأة من قيود الرجل، حيث تسعى إلى حريتها في أفق أوسع من مجرد المساواة الجنسية. وكانت ترى عندما ارتدت المرأة الحجاب تدينًا يحجب عقلها قبل شعرها، مما يسمح للرجل بالسيطرة عليها باسم الجنس.

### نقد الهيمنة الذكورية في رواية 'امرأة عند نقطة الصفر' لنوال السعداوي

رواية امرأة عند نقطة الصفر (Woman at Point Zero) للكاتبة المصرية نوال السعداوي نشرت بالعربية عام ١٩٧٥، تم بناء الرواية على أحداث وقصة حقيقية، وقد تمت ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية في عام ١٩٨٣ م، وأعيد طباعتها باللغة العربية في بيروت في عام ٢٠٠٣ م. وفيما يتعلق بالجانب الأدبي، تم اختيارها لتكون جزءاً من قائمة ١٠٠١ التي تستعرض تطور الرواية عبر العصور، وقد تمت ترجمتها إلى أربعين لغة مختلفة.

فردوس هي بطلة هذه الرواية، الروائية نوال السعداوي تلتقي بفردوس في سجن، وهي امرأة حكم عليها بالإعدام بتهمة القتل، القصة باختصار تروي لنا كيف يتم تحويل المرأة الشريفة إلى فتاة مومسة، حيث يظهر في الرواية أن الرجل يسيطر بقوة على المرأة ويفرض عليها إرادته، والسبب الرئيسي حسب رأي نوال السعداوي يعود إلى القوة الجسدية التي يمتلكها الرجل.

فردوس المرأة الخاضعة المظلومة، من أب يعيش بتعدد الأزواج، وحياة تعيشه بالأحلام والصدق والانهازم الأنثوي والخطيئة، فردوس قضت مراهقتها في ثانوية داخلية، تعتببطن البنات وعفتن، حيث كانت تخنقن بالرقابة، وعادت إلى بيت عمها الذي تزوج، فحرضته زوجته على تزويجها لخال لها، يكبر فردوس ب حوالي ٤٠ سنة، بالإضافة إلى مظهره القبيح، كان بخيلاً، وكان يشتمها ويضربها، لكنها حين لجأت إلى عمها الذي نفر منها، قالت لها زوجته: "كل الأزواج يضربون زوجاتهم، وقالت ان الرجل الذي يعرف الدين كاملاً هو الذي يضرب زوجته، لأنه يعرف أن الدين يبيح ضرب الزوجة، وليس للزوجة الفاضلة ان تشكو زوجها، وواجبها الطاعة الكاملة"<sup>٢</sup>.

وقد تعرض فردوس لاغتصاب من قبل أفراد أسرتها الذكور وتجربة الختان، وتحكي عن كونها عبئاً كبيراً على عائلتها، وعن تزويجها في سن المراهقة لرجل بعمر ٦٠ عاماً وعن تعرضها للضرب مرارا

<sup>١</sup> سلوى عباس، نوال السعداوي - أيقونة التمرد النسوي، موقع جريدة البعث، <https://newspaper.albaathmedia.sy>، تاريخ النشر: ٢٢ مارس

٢٠٢١، تاريخ الدخول: ١٠ يناير ٢٠٢٤.

<sup>٢</sup> نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مؤسسة هندواي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧ م، ص: ٤٠.

وتكرارا، فردوس أحبت بعد ذلك رجلا اسمه إبراهيم، وكانت هذه المرة الأولى التي تشعر فيها بالحب، واستغل إبراهيم ضعفها وأخبرها بأنه يحبها، ثم تزوج وتركها، محطماً قلبها. عاشت تلك التجربة المريرة، ففشلت آمالها في جميع الرجال الذين التقت بهم، حيث لم يروا فيها إلا جسداً متحرّكاً. وأخيرا نزلت إلى الشوارع وأصبحت عاهرة.

ونهاية هذه الرواية مأساوية، حيث إنها بعد ان استعادت عملها كمومس وكانت في قمة سيطرتها على زمما الأمور، ضربها أحدهم إلى ان انقلبت عليه يوما وفي قمة غضبها وغيظها، قتلته، وهذا المقتل هو الذي أدّى فردوس إلى السجن بالقناطر، وكما تقول: "وكيلوني بالحديد، وساقوني إلى السجن، وأغلقوا علي الأبواب والنوافذ، كنت أعرف لماذا يخافون مني لهذا الحد، فأنا المرأة الحقيقية التي كشفت النقاب عن حقيقتهم البشعة"، ترحب فردوس بالموت بأذرع مفتوحة باعتباره تحرّرا كاملا من جميع القيود، ترضي فردوس حياتها أكملها تحت سلطة رجل، ما جعلها تحمل كراهية دائمة لهؤلاء الرجال الذين لن تتحرر منهم إلا الموت.

فردوس تظهر كامرأة مقيدة داخل النظام الذكوري الوحشي حسب تعبيرات من قبل نوال السعداوي. وفي طفولتها، يظهر والدها رجلاً قاسياً وأنانياً، فهو رجل قاس وأنانى يضرب زوجته ولا يهتم إلا بتأمين الطعام لنفسه، بينما تعاني فردوس الجوع سوء التغذية، الدين إحدى الركائز الخاضعة للمجتمعات التي يسيطر عليها الذكور، تظهر نوال السعداوي النفاق الديني السائد في المجتمعات الذكورية، وفي الرواية جرائم، يشترك فيها كل من الأب والام والعم والزوج والاقارب والرجال الظالمين، الرواية تصل إلى نهايتها بعد أن جعلتنا نشعر بأن المرأة حاليا في مرحلة صفر مهما تطوّر الزمان.

#### الخاتمة

تتناول الرواية العديد من مظاهر الهيمنة الذكورية مثل: التمييز بين الجنسين والعنف ضد المرأة حيث تتعرض النساء للضرب والإهانة والتحرش الجنسي، والزواج القسري وما إليها من مظاهر، تسعى نوال السعداوي من خلال هذه الرواية إلى تسليط الضوء على هذه المظاهر، وإلى إبراز معاناة النساء من الهيمنة الذكورية. كما تدعو إلى ضرورة تغيير هذا النظام والتخلص من هذه الهيمنة. تعتبر رواية 'امرأة عند نقطة الصفر' لنوال السعداوي من بين الأعمال الروائية الرئيسية التي استعرضت نقد الهيمنة الذكورية في المجتمعات العربية، تحكي الرواية قصة حياة الشخصية الرئيسية 'فردوس' التي تعاني من القمع والاضطهاد الذي يمارسه المجتمع الذكوري، الذي يحرمها من حقوقها الأساسية كإنسانة، تلاحظ نوال السعداوي في هذه الرواية من إيمانها بأن الهيمنة الذكورية تشكل أساس النظام الأبوي الذي يدير المجتمعات العربية.

<sup>١</sup> نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م، ص: ٤١

### المصادر والمراجع

- نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧ م
- نوال السعداوي، المرأة والجنس، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧ م
- نوال السعداوي، مذكراتي في سجن النساء، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠ م
- نوال السعداوي، أوراق من حياتي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ج ١، ٢٠٢٢ م
- نوال السعداوي، أوراق من حياتي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ج ٢، ٢٠٢٢ م
- سلوى عباس، نوال السعداوي: أيقونة التمرد النسوي، موقع البعث، <https://newspaper.albaathmedia.sy>

## النزعات الأدبية والفنية في شعر المقاومة الفلسطينية

الدكتور/ إي. ك ساجد<sup>١</sup>

### الملخص

تتمتع المنطقة الجغرافية الفلسطينية بنزعات أدبية مشتركة كما أن جميعهم يعانون من بعض القضايا الوطنية المشتركة. استجاب الأديب الفلسطيني لهموم وآلام شعبه قبل النكبة وبعدها، وإلى هذه اللحظات حيث عُرف أن الأدب الفلسطيني مرتبط بالقضية الفلسطينية بالأحداث المتصلة بها. إذا لم يرحم المحتل الغاصب هذا الشعب أينما وجد، فلاحقه في داخل فلسطين وفي خارجها، محاولاً بمعونة الغرب القضاء على آماله وتطلعاته في العيش الكريم وبناء وطنه ونيل حريته. أمام هذه الكوارث والفواجع التي أمت بالشعب الفلسطيني، فبرز دور الشعراء الفلسطينيين في تصوير ووصف المعاناة والآلام، ووصف التمزق والضيق والتشتت في الوطن وخارجه، كما وصفوا صموده ومقاومته وتضحياته، وقد شمل هذا التصوير والوصف للعذاب والجراح كل المراحل التي مر بها الشعب الفلسطيني، وانبرى الشعراء الفلسطينيون يصفون الأرض السليبة والإنسان المكلوم الذين كانا مصدر إلهام وإبداع لهم.

### المقدمة

وبعد الصراع الطويل والمرير في الوطن والشتات، جاءت إتفاقيات 'أوسلو' (aslo) التي ظن كثير من أبناء الشعب الفلسطيني أنها سوف تؤدي إلى إرجاع جزء من الوطن المغتصب، وتحسين ظروف الحياة. لكن الآمال خابت عندما إشتدت القسوة وزاد الظلم، وبدأ الناس يعانون مرة ثانية. أما الشعراء والأدباء عامة، فإن كثيرين منهم وقفوا موقف المتحفظ على هذه الاتفاقيات وطالبوا بمواصلة النضال، وعبروا عن رأيهم في عدم جدوى السلام مع الصهاينة، بل وجدناهم يترجمون هذه المواقف من خلال تجاهل اتفاق أسلو، والاستمرار في اتجاه التنوير والتثوير، وذلك من خلال بعث مشاهد النكبة، أو النكسة، أو رصد الأعمال الفدائية وبطولات وتضحيات الشعب الفلسطيني في إنتفاضته الأولى، وعندما تعثرت المفاوضات مع المحتل الصهيوني انضم كثير من الأدباء إلى قافلة أصحاب الإتجاه النضالي المقاوم، ليعلنوا من خلال هذا الإتجاه عن تيقنهم بعد التجربة أن أسلو لن تؤدي إلى السلام والحرية.<sup>٢</sup>

ومع اندلاع الانتفاضة الثانية وما واكبها من بطش شديد بالبلاد والإنسان، وسقوط آلاف الضحايا، وآلاف أخرى من الجرحى، وعشرات الآلاف من الأسرى، لم يقف الشاعر الفلسطيني مكتوف الأيدي، وإنما عبر عما تأثر به وهز أعماقه. فصور الأحداث والشهداء وما لحق بالأرض والشجر والحجر، ورأى استهداف العدو المباشرة للحياة الإنسانية في الضفة الغربية وقطاع غزة. كما رأى الاستيطان وجماد الفصل العنصري يتوغل في أرضه، ووقوف الناس أمام الحواجز العسكرية، حيث كان لهذه الممارسات من قبل الصهيونية القمعية أكبر الأثر على مشاعره وأحاسيسه. وإن الشعراء استجابوا لما يدور في وطنهم

<sup>١</sup> أستاذ مشارك، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كبرالا

<sup>٢</sup> نبيل أبو علي: إتجاهات القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م، ص ٦٩.

من أحداث، والتصقوا بهذه الأحداث التصاقاً شديداً، فهم جزء لا يتجزأ من شعبيهم، ولكن طرق التعبير لديهم اختلفت باختلاف تميزهم ومكانتهم الفنية، وهذه الأسباب كانت هناك نزعات أدبية مشتركة أو شبه مشتركة للكيان الثقافي الفلسطيني.

### النزعات الفنية

العمل الأدبي تعبير وترجمة عن تجربة شعرية في صورة معبرة وموحية، ولا تعد التجربة الشعرية عملاً أدبياً ما دامت مضمرة في النفس، وإنما إحساس وانفعال يدور في أعماق الأديب، فيتأثر به ويزداد انفعاله ثم يعبر عنه بأي جنس من الأجناس الأدبية. ولا يمكن فصل عناصر الأدب الأربعة (اللغة، العاطفة، الخيال، المعنى) عن بعضها، بل يصورها الأديب معاً ويكون نصاً أدبياً يخضع لمعايير خاصة يحددها النقاد، ليحكموا على العمل الأدبي بالجودة أو الرداءة.

وتعد العاطفة من أهم عناصر العمل الأدبي وأقواها، فهي التي تمنح الأدب الخلود وتلحقه بالتراث الإنساني الخالد وتبعده عن النطاق العلي المتغير.<sup>١</sup> وبها ينمو الخيال وتتلاحق الصور، وتثرى الحقائق، وحب العاطفة تكون اللغة بعناصرها قوية مثيرة أو رقيقة جميلة.<sup>٢</sup>

وحتى يتحقق الصدق الفني عند الأديب لا بد أن يعايش الأديب الموقف معايشة حقيقية أو وجدانية، كما ينبغي أن يظهر الانفعال الصادق والمعاناة الصادقة، وأن يكون التعبير صادقاً، إنه الصدق الفني الذي ينبع من منطق العمل الأدبي أو من موضوعيته بكل أبعادها وتفصيلاتها.<sup>٣</sup>

وأما معيار الصدق في العاطفة إنما يكون في الإيمان بالتجربة عليها بنفس منسرحة، وينضج هذا الإيمان حواس الأديب، ويظهر ذلك عند التعبير، فتخرج من بين أنامله ومشاعره دافئة هادئة بالحس ونبض اليقين، فتأثر في وجدان القارئ والسامع على السواء.<sup>٤</sup>

وأما الخيال في لجأ إليه كل فنان ليجسد احساسه الداخلي، ويصوره تصويراً واضحاً، كما أنه يهب الفن رشاقة لما يأتي به من صور خيالية جزئية أو كلية، فهذه الصور توضح الفكرة وتبرز العاطفة، إن الصورة أمر جوهرية في كل عمل شعري خلاق، فهي التي تقوم بعجب التصعيد للمعنى، كما أنها تعبر بمهارة عن تمازج الرؤى والأفكار والأحاسيس، كما أنها اللغة الطبيعية لتلك المشاعر التي تتحسس مخرجاً يسمح لها أن تعبر عن ذواتها في لغة تصويرية.<sup>٥</sup>

وكان الميل إلى الخيال فطرياً عند الإنسان، فهو لا يستطيع أن ينقل ما يراه ويتأثر به إلا إذا قام بتصويره، وكان من الصعب وضع معايير للخيال في العصور القديمة، لكن النقاد في العصر الحديث وضعوا له بعض المعايير كما جاءت عند الديوانيين، فهم ينهون على أن الصورة إذا كان لا بد فيها من

<sup>١</sup> سعد ظلام: مناهج البحث الأدبي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م، ص ١٢٦، ١٢٧.

<sup>٢</sup> نبيل أبو علي: شاعرات عصر الإسلام الأول، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

<sup>٣</sup> السابق، ص ٢٠٦.

<sup>٤</sup> سعد ظلام: مناهج البحث الأدبي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م، ص ١٢٩ - ١٣٠.

<sup>٥</sup> رجاء عيد: تذوق النص الأدبي، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة - قطر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ١٤.



الخيال فينبغي أن يلبس نوع الصدق وألا يتجافى مع الحقيقة، فالخيال يجب أن يطير بجناحين من الحقيقة، وأن كل كلام ليس مصدره صحة الإدراك وصدق النظر في استشفاف العلاقات لا يكون إلا هراء لا محل له في الأدب، ومتى كانت حُتى الحواس وهذيان العواطف وضعف الروح تعيش في عالم الشعر، وليس الوضوح وقوة الإدراك وحسن البيان ما ينفي العمق لأن العمق ليس معناه الغموض<sup>١</sup>.

### الخاتمة

وجميع ما تقدم من الخصائص للأدب يلفت النظر إلى البقعة الجغرافية، ولذلك أنه بديهي أن يتمثل ذلك في الأدب الفلسطيني، ولا حاجة هنا للباحث أن يدخل إلى تفاصيل عناصرها.

### المصادر والمراجع

- الدكتور عبد الرحمن الكيالي، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين:، المكتبة العربية.
- محمد أديب العامري: عروبة فلسطين في التاريخ، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- إشراف أحمد المرعشلي، الموسوعة الفلسطينية: هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤ م،
- فتحي يكن، القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: مؤسس الرسالة، بيروت - لبنان.
- عاطف إبراهيم عدوان، دراسات في القضية الفلسطينية: الطبعة الرابعة (دون تاريخ).
- إحسان عباس: إنتاجات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والطبع، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١ م.
- الدكتور محمد شحادة عليان: الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، عمان، ١٩٧٨ م.
- جمال أحمد الرفاعي: أثر الثقافة العربية في الشعر الفلسطينية المعاصر: دراسة في شعر محمود درويش، كلية الألسن، جامعة عين شمس.

<sup>١</sup>نبيل أبو علي: شاعرات عصر الإسلام الأول، ص ٢١١.

## إطالة على حياة الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني وخدماته العلمية والتعليمية

الدكتور/ عز الدين الندوي<sup>١</sup>

### الملخص

إن من الشخصيات البارزة والأعلام العباقرة والفضلاء المشهورين بالهند في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي الشيخ حبيب الرحمن بن محمد تقي الشرواني. كان أميراً بين الأمراء وأديباً أريباً بين الأدباء وشاعراً مجيداً من الشعراء ومصنفاً بارعاً في فن التصنيف وناقداً بصيراً من النقاد وخبيراً من خبراء التعليم والتربية وكان جمال الحفلات العلمية وهبها، وجامعاً بين العلم والفضل والعزة والكرامة وصاحب الثروة والأخلاق الحسنة، وقد اتخذ الإسلام منهجاً له وجعل الدين فطرته السليمة.

### التوطئة

ولد الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني في الخامس من شهر يناير ١٨٦٧م (٢٧ شعبان ١٢٨٣هـ) في أسرة علمية عريقة بقرية بهيكن بور في مديرية عليكرة. وتلمذ على أستاذ العلماء الشيخ لطف الله العليكري ونال إجازة الحديث من الشيخ فضل الرحمن كنج مرادآبادي وتعلم اللغة الإنكليزية في مدرسة العلوم بعليكرة وتمهر عليها ثم درس عند الشيخ القارئ عبد الرحمن الباني بتي والشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني.

كانت للشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني قدرة السيادة والقيادة وله تأثير عميق في أقربائه وأهالي القرية وينتزم كل الفرص للتوعية والإرشاد، ذات مرة ألقى خطبة مؤثرة في حفلة الزواج، وذكر فيها حالة الأمة الإسلامية الضئيلة في مجال التعليم والتربية وحرصهم على تأسيس معهد التعليم والتربية فأسفرت هذه الخطبة عن تأسيس "مدرسة الشرواني" في قرية جهره قريباً من رفعة بور في مديرية عليكرة عام ١٨٩٧م وكان الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني سكرتيراً لها.

### خدماته العلمية والتعليمية

وكان الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني على صلة وطيدة بالمؤتمر التعليمي الإسلامي منذ شبابه، وكان عضوه الدائم وعين نائب السكرتير في ١٩١٢م وسكرتيراً في ١٩١٧م. وقام بجولات عديدة في أنحاء الهند حيث عقد الحفلات والندوات واللقاءات للنهوض بالأمة الإسلامية تعليمياً وتربوياً. وأصدر "جريدة المؤتمر" وطبع الكتب الأردية من قبل المؤتمر التعليمي الإسلامي أيضاً.

وقد وافق تماماً السر سيد أحمد خان في آراءه التعليمية إلا أنه لم يوافق أفكاره الدينية وتجنبها لكن سيد أحمد خان كان يحب الشيخ الشرواني حبا جما حتى جعله وصياً لكلية محمدن الشرقية عام ١٨٩٧م وأدى الشيخ الشرواني دوراً هاماً في تحويل هذه الكلية إلى جامعة عليكرة الإسلامية وكان عضواً

<sup>١</sup> محاضر، كلية روضة العلوم العربية بفاروق، كاليكوت، كيرالا، الهند

دائما في المجلس الإداري وفي المناصب الفاخرة بالجامعة وبذل جهدا جهيدا في إحياء الجو الإسلامي داخل الجامعة وعمل عضوا مؤسسا إلى أن وافاه الأجل المسمى في ١١ أغسطس ١٩٥٠م. كان الشيخ الشرواني يشارك في أعمال حركة ندوة العلماء بلكناف منذ ظهورها، وكان من أعضائها المؤسسين "وكانت له عناية كبيرة بندوة العلماء من أول عهد قيامها إلى آخر يوم من أيام حياته، فكان عضوا تأسيسيا في لجنتها في أول يوم، واختير ثلاث مرات رئيسا لحفلاتها السنوية، وكان من أبرز أعضائها العاملين، شديد الاقتناع بمبادئها التعليمية والإصلاحية".<sup>١</sup> وكان يحضر الحفلات واللقاءات ويؤدي المسؤولية التي تفوض إليه من قبل حركة ندوة العلماء. وتجوّل في قرى الهند وأريافها لأجل تبليغ رسالة ندوة العلماء حيث أفادها بعلمه وتجاربه ومد يد العون لها وكان عين رئيس اللجان التي تعقد لإصلاح المقررات التعليمية.

كان الشيخ الشرواني يكتب في أرقى المجلات الهندية الأردية لاسيما في مجلة "معارف" الأردية الشهيرة التي كانت تصدر عن دار المصنفين بأعظم كرامة. "وكان مشتركا في شبابه مع الأستاذ الكبير والمؤرخ الشهير مولانا شبلي النعماني في إنشاء مجلة "الندوة" وكانت مجلة علمية لها مكانة عالية في الأوساط العلمية، وكان معالي مولانا أبو الكلام آزاد وهو في مقتبل شبابه نائب رئيس التحرير لهذه المجلة".<sup>٢</sup> وأنه شارك مع العلامة شبلي النعماني في ندوة العلماء بالنشاطات الصحفية والإدارة الصحفية وبذل جهدا كبيرا فيها "ولما صدرت مجلة "الندوة" سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة وألف كلسان حال ندوة العلماء، أختير العلامة شبلي النعماني والشيخ حبيب الرحمن الشرواني مديري التحرير للمجلة، وحازت إعجاب أهل العلم والأدب بمقالاتها التحقيقية وأفكارها السليمة الراجعة"<sup>٣</sup> وظيفته في الحكومة الحيدرآبادية ومناصبه في المعاهد والجامعات

إنه تولى منصب "صدر الصدور للشؤون الإسلامية" في حيدرآباد، من ١٩١٨م إلى ١٩٣٠م وكان هذا المنصب مكانة مرموقة دينية وقد قامت الحكومة الحيدرآبادية بتكريمه بلقب "صدر يار جنك". كلما يتاح له الفرصة لخدمة الأمة الإسلامية بمناصب محترمة كان يغتنمها وقدم جهودا جبارة في إصلاح المجتمع وسعى لرفع مستوى الجماعات الدينية وإدارتها حتى طبق المواد الدينية في مقررات المدارس الإنكليزية كما أنه أسهم في تأسيس المدارس الدينية وإنشاء الحركات الإصلاحية. ومن أهم أعماله التاريخية التي تجدر بالذكر بصيرته الفائقة في إنشاء الجامعة العثمانية وكان أول مدير لها. وقد تولى مناصب عديدة في حياته وعمل رئيسا لدار المصنفين بأعظم كره وسكرتيرا لهيئة ترقية اللغة الأردية ورئيسا لقسم العلوم الدينية في جامعة عليكرة الإسلامية.

<sup>١</sup> الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد العي الحسني، مكتبة دار عرفات، داره الشاه علم الله، راي بريلي (الهند) ١٩٩١م، مجلد ٨، صفحة: ١١٣

<sup>٢</sup> شخصيات وكتب، الشيخ أبو الحسن على الحسني الندوي، دار القلم دمشق، طبعة دار القلم الأولى ١٩٩٠م، صفحة: ٥٢

<sup>٣</sup> الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد العي الحسني، مكتبة دار عرفات، داره الشاه علم الله، راي بريلي (الهند) ١٩٩١م، مجلد ٨، صفحة: ١١٣،

## أخلاقه الفاضلة وشخصيته الدينية:

كان الشيخ الشرواني جامعا للخصائص المتنوعة وتحلى بالعلم والعمل والأخلاق الحسنة ومما يميز به الشيخ الشرواني عن غيره من علماء عصره أن طبيعته كانت قائمة على الاعتدال والسلامة والسعادة حتى يتفق الفريقان ويثقان له عند الاختلاف الشديد. وكان الشيخ الشرواني محبا للكتب وقارنا لها وأن مكتبته الشخصية الضخمة مشتملة على الكتب النادرة وكانت من المكتبات الممتازة في الهند آنذاك. "كان شديد الغرام يجمع الكتب النادرة وأثار السلف من مخطوطات وتوقيعات وغير ذلك، ينفق فيها المال الجزيل وقد جمع مكتبة تحوي العدد الكبير من الكتب المخطوطة النادرة وكان يقضي فيها وقتا طويلا، هو من أحب أوقاته إليه ووضع له فهرس بنفسه وخطه وقد ضمت هذه المكتبة إلى مكتبة جامعة عليكرة الإسلامية وخصص لها جناح خاص باسمه"<sup>١</sup> وهذا يدل على شغفه الشديد في القراءة والمطالعة واقتناء الإصدارات الجديدة من العالم العربي والدول الأوربية.

كتب الشيخ أبو الحسن علي الندوي عن الشيخ الشرواني "وكان من المشغوفين بجمع الكتب واقتناء النوادر من الآثار العلمية والمؤلفات القديمة وكان أعز شئ عليه مكتبته الفاخرة الثمينة التي تعد من أغنى مكتبات الهند كتبها خطية وأثارا عتيقة يزورها العلماء من الأقطار البعيدة ويفيدون منها ويعترفون بفضلها في مقدمات كتبهم ومقالاتهم وكانت له عناية عظيمة بها لا يزال يزيد في ثروتها وقيمتها وقد وضع لها بقلمه فهرسا مفصلا في مجلد ضخم أشار فيه إلى خصائص الكتب ونبه على مؤلفيها وكل ما تهتم معرفته وهذا الفهرس ينم عن واسع اطلاعه وعكوفه على الدراسة"<sup>٢</sup> ويتضح من الاقتباسات المتقدمة أنه حَبَّب إليه الشغف الشديد في محافظة الآثار القديمة وجمع المخطوطات النادرة ونيل الإصدارات الجديدة وكان حريصا أشد الحرص فيها.

يكتب الشيخ أبو الحسن علي الندوي عن علاقته بالشيخ الشرواني "لقد عرفته من صغري فقد كان صديقا لأبي مولانا السيد عبد الحي رحمه الله مدير ندوة العلماء الأسبق وزميله في تأسيس هذه المؤسسة الكبيرة دار العلوم التابعة لها ثم كان شريكا له في العلاقة بمولانا فضل الرحمن فكان إذا رأيته ضمني إلى صدره وعانقتي كأني أحد أولاده وكانت بيني وبينه مراسلات أحتفظ بها ولما توليت إنشاء مجلة "الندوة" الشهرية مع زميلي الأستاذ عبد السلام القدوائي الندوي طلبت من كبار رجال العلم وقادة الفكر في الهند أن يتحدثوا عن الكتب التي لها فضل خاص في تكوين عقليتهم وتركيب ثقافتهم وفي سيرتهم وخلقهم وسألت مولانا الشرواني أن يفتتح هذه السلسلة بمقالته فتنازل ولبى رغبتي وتفضل بمقالة قيمة

<sup>١</sup> الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام يعني نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف عبد العلي الحسيني، مكتبة دار عرفات، دارة الشاه علم الله، راي بريلي (الهند) ١٩٩١م، مجلد ٨، صفحة: ١١٥

<sup>٢</sup> شخصيات وكتب، الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي، دار القلم دمشق، طبعة دار القلم الأولى ١٩٩٠م، صفحة: ٥٢

تشهد بدراسته الواسعة المتنوعة وطول السياحة بين الكتب والمؤلفات وسلامة فكره وصفاء حسه وقد نشرت هذه المقالة في كتاب واحد<sup>١</sup>.

تبيين من هذا الاقتباس علاقة الشيخ أبي الحسن علي الندوي بالشيخ الشرواني واعتناؤه بالشيخ أبي الحسن علي الندوي وتقديم مقالة قيمة على طلبه لنشرها في مجلة "الندوة" التي كانت صدرت عن ندوة العلماء وتدل هذه العلاقة الودية العلمية على معرفته الواسعة واهتمامه العلمي البالغ في الصحافة العربية.

إنه كان عالما كبيرا وخاشعا لله واهتم بالأمر الديني في حياته وكان جامعا بين العلم والعمل وبين الدين والدنيا ومتصدقا في سبيل الله ومتبرعا فيه حسب مقتضاه وكان ذا ورع حافظ على العبادة واهتم بالدين وأوامره واجتنب عما نواهيه "ولم يقتنع بهذه الفضائل العلمية، ولم يقصر عليها همته، وأراد أن يجمع أن يجمع بين حسني الدنيا والآخرة فاتصل في شبابه بالمربي الكبير مولانا فضل الرحمن الكنج مرادآبادي، وأفاد من صحبته وعلومه وحافظ على ذلك طول عمره، فكان محافظا على الجماعة والتطوعات، وكانت له رواتب وأوراد يداوم عليها في السفر والحضر، وكان في آخر أيامه قد فقد الحس، وخانته ذاكرته فلم يعد يعرف أحدا، ولم يزل مع ذلك مشتغلا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى فارق الدنيا"<sup>٢</sup>.

إن حالاته الأخيرة تدل على أنه كان محافظا وموظبا على العبادة والأذكار والصلوة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والأعمال الصالحة وكان داوم عليها في حياته .

وأضاف الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي عنه " ولقد كان مولانا الشرواني واحدا من ركب الحضارة والثقافة الراحل، وأراد الله أن يتخلف عن رفقته وأترابه لمدة، حتى يتمتع به رجال هذا العصر، ويعرفوا به رجال التاريخ القديم، كالصاحب ابن عباد والأمير أبي الفضل الميكالي، والمسند العالي عبد العزيز آصف خان وزير كجرات، وخواجه عماد الدين محمود الكيلاني"<sup>٣</sup>

#### الخاتمة

لاشك، إن الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني كان عالما جليلا ومؤرخا كبيرا وأديبا بارعا وشاعرا مجيدا في اللغة الأردية والفارسية ومصنفا وناقدا فيهما . وله خدمات قيمة في مجال العلم والأدب وأسهم في مجال التعليم والتربية وسعى لرفق الأمة المسلمة بشمال الهند وجنوبها لتعليمها وتربويها وشارك في الحركات التعليمية وبذل قصارى جهوده فيها وله دور بارز في الصحافة العربية بالهند وانبثقت من قلمه المقالات العربية والأردية. من مؤلفاته "تذكرة بابر وسيرة الصديق وعلماء سلف ونايينا علماء وأستاذ

<sup>١</sup> المرجع نفسه ، صفحة: ٥٤

<sup>٢</sup> نفس المرجع، صفحة: ٥٢،٥٣

<sup>٣</sup> شخصيات وكتب، الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي، دار القلم دمشق، طبعة دار القلم الأولى ١٩٩٠ م ، صفحة: ٥٤

يناير ٢٠٢٤

مجلة الصباح للبحوث

العلماء (تذكره مولانا مفتي لطف الله عليكري) ورسائل سيرت ومقالات شرواني " وغيرها وأن جميع كتبه في اللغة الأردنية.

#### المراجع والمصادر

- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام يعني نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف عبد العي الحسني، مكتبة دار عرفات، داره الشاه علم الله، راي بريلي (الهند) ١٩٩١م، مجلد ٨
- شخصيات وكتب، الشيخ أبو الحسن على الحسني الندوي، دار القلم دمشق، طبعة دار القلم الأولى ١٩٩٠م
- خطوط شبلي بنام شرواني، ترتيب وتدوين: فيصل أحمد الندوي، ناشر: مديح الرحمن خان شرواني، أ. آر انتر بريس، نيودلهي، ٢٠٢٠م (الأردنية)

## الشهيد في قصيدة "الذبيح الصّاعد" بين الرؤيا والتشكيل

الدكتورة/ نجاة بوقزولة<sup>١</sup>

الملخص

إنّ للشّهاد مكانة عظيمة في الإسلام ، وحقّ له أن تخلّد ذكره وتقام له أعياد ومناسبات وتكتب فيه قصائد ومطوّلات، ولا شكّ أنّ ذلك كلّه لن يوقّيه تضحياته، و مع ذلك يتواصل الفعل الإبداعي مستتبعا بالممارسة التقديمية احتفاء به ومحاولة لتمثّل صفاته النبيلة، ورائعة الذّبيح الصّاعد واحدة من أجمل الكتابات الإبداعية التي احتفت بالشّهاد خاصّة وأنّ بطلها زيانا؛ أوّل شهيد بالمقصلة، وتندرج هذه القصيدة ضمن ما يعرف بالكتابات ما بعد الكولونيالية التي سعت إلى المقاومة والردّ على المحتلّ الغاشم بالكلمة.

وقد وقع اختيارنا في هذه المداخلة ،على مقارنة موضوع الشّهاد في قصيدة مفدي زكريا، نظرا للمكانة العظيمة التي يحتلّها الشّهداء في ديننا وفي قلوبنا، ولما للقصيدة التي اخترناها من فريدة وتميّز إن على مستوى المضمون؛ لارتباطها بموضوع الشّهاد وما قام به في سبيل حرّية الوطن حتى غدا رمزا للتّضحية والفداء، وهو ينقل لنا حادثة استشهاد البطل زيانا، أو على مستوى الشّكل بلغتها المتفردة وصورها البلاغية وتناسها مع القرآن الكريم واستدعاء بعض تقنيات القصّ في سرده للحادثة، حيث أمكن الشّاعر أن يصوغ لنا أفكارها ببلاغة حرف انسجم مع قدسية المشهد الرّهيب، مشبّها زيانا بالمسيح، وهو يعتلي مذبح البطولة صاعدا إلى السماء، ثابت الإيمان صا دق الوعد حيث ارتضى أن يكون قربانا ليحيا شعبه حرّاً كريما بما ينمّ عن الإيمان القوي والعقيدة الراسخة والثبات لحظة البأس والرضى بالقضاء والقدر، في رمزية اختزلت صورة كلّ الشّهداء وقدّمت الأنموذج الكامل للمسلم وهو يفتدي الآخرين بزهره العمر منافحا عن الحقّ في سبيل الله والوطن .

الكلمات المفتاحية: الشّهاد، الذّبيح الصّاعد، مفدي زكريا، زيانا، الرّؤيا، التّشكيل.

المقدمة

إنّ الشّهاد أثير، ومكانته كبيرة نظير ما قام به من طاعة لله واستجابة لداع الجهاد لما أرحس نفسه يوم الوغى، فعزّت عند العزيز، وكرّمه الله عزّ وجلّ فقرّبه منه "يحبّهم ويحبّونه أدلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .."<sup>٢</sup> ، فنال الشّهاد بذلك من الكرامات

<sup>١</sup> أستاذة محاضرة قسم أ، قسم اللّغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللّغات، جامعة محمّد بوقرة بومرداس، الجزائر

<sup>٢</sup> بيل أشكروفيت وآخرين: دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرّئيسة، ترجمة أحمد الزويبي، أيمن حلي، عاطف عثمان ، تقديم كريمة سامي، المركز القومي للترجمة، العدد ١٦٨١، ط. ١٠٢٠١٠م: مقدّمة الكتاب نقلا عن توفيق فياض: حوار القدس العربي، العدد ٤٠٢٤، ٢٢ أبريل ٢٠٢٢، م. ١٠٠.

<sup>٣</sup> سورة المائدة الآية

ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ وزاد أن كتب له حياة الخلد "ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم يرزقون"<sup>١</sup>

ذلك أنّ الشّهيد حين كان يقاتل في سبيل الله وفي سبيل إنقاذ شعبه من الذلّ والمهانة ومن الظلم الواقع عليه إنّما أبان عن جوهر طاهر، وسريرة نقيّة، ونفس معطاءة نبيلة بريئة، فهو المخلص الذي افتدى الآخرين وقدم زهرة العمر قربانا لخلصهم فاستحقّ بذلك تلك المكانة العظيمة واستحقّ أن نوليّه كلّ العناية كتابية إبداعا؛ شعرا ونثرا. وقد شكّلت صورة الشّهيد موضوعا خصبا في الكتابات الشعريّة الجزائرية منذ أيام الثورة إلى يومنا هذا، فكيف امتثلت صورة الشّهيد البطل زبانا في نصّ الذّبيح الصّاعد؟

### ١/ في معنى الشّهيد ومكانته في الإسلام

جاء في لسان العرب لابن منظور في معنى الشّهيد: الشّهيد المقتول في سبيل الله، والجمع شهداء، وفي الحديث أرواح الشّهداء في حواصل طير خضر تعلق من ورق في الجنّة، والاسم الشّهادة. واستشهد: قتل شهيدا، وتشهد طلب الشّهادة، والشّهيد الحيّ<sup>٢</sup>

"ثمّ استدلّ برأي النّضر ابن شميل في تفسير الشّهيد، حيث جعل معنى الشّهيد مرادفا للحيّ، أي هو عند ربّه حيّ، ذكره أبو داود أنّه سأله النّضر عن الشّهيد، فلان شهيد يقال فلان حيّ أي هو عند ربّه حيّ قال ابن منصور: أراه تأوّل قول الله عزّ وجلّ "ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم"، كأنّ أرواحهم أحضرت دار السّلام أحياء، وأرواح غيرهم أخّرت إلى البعث، قال: وهذا قول حسن"<sup>٣</sup>

كما ارتبط مفهوم الشّهيد بشهادته يوم القيامة وبما يشهد له، فقد ورد في لسان العرب أيضا: قال ابن الأثير: "سمّي الشّهيد شهيدا لأنّ الله وملائكته شهود له بالجنّة، وقيل سمّوا شهداء لأنّهم ممّن يشهد يوم القيامة مع النّبي، صلّى الله عليه وسلّم على الأمم الخالية". وقال ابن منصور فيمن يحقّ لهم الشّهادة مع الرّسول يوم القيامة: "والشّهادة تكون للأفضل فالأفضل من الأمة، فأفضلهم من قتل في سبيل الله ميّزوا عن الخلق بالأفضل"<sup>٤</sup>.

وعطفا على ما سبق فإنّ الشّهيد قد خصّ بمنزلة عظيمة في الإسلام، لأنّ ب "الشّهادة تعلق كلمة الله في الأرض، وبها تبقى القيم الإنسانية، وتكرّس العدالة والسّلام، وبها تصان حرّيّة البلاد من المعتدين، وتحفظ عزّتها وكرامتها، وبها يتعزّز الاستقلال وتحقّق السّيادة، ويندحر العدوان والظلم".<sup>٥</sup> إذن المتمعّن في معنى الشّهيد وربطه بعظيم الجزاء الذي وعد به في الآخرة، يدرك أنّ هذا الجزاء إنّما لصنيعهم الجميل الذي لا يقدر عليه ولا يصبر عليه إلا من اتّصف بالإيمان، وكان قلبه عامرا بالله ومحبة لقائه، والتّسليم

<sup>١</sup> آل عمران الآية ١٦٩

<sup>٢</sup> ابن منظور: لسان العرب: مادة شهد، دار المعارف، القاهرة المجلد ٤، ج ٣٦، ص ٢٣٥٠

<sup>٣</sup> ابن منظور: المصدر نفسه ص نفسها.

<sup>٤</sup> ابن منظور: لسان العرب ص ٢٣٥٠.

<sup>٥</sup> حيّ هلال السّرحان، أحمد حسّوني حليم: الشّهيد في الإسلام، منشورات منظّمة المؤتمر الإسلاميّ الشّعبى، ص ٥، من المقدّمة.



بقضائه وقدره، واتّسم بسمات الصّدق والشّجاعة والتّضحية والنّبيل فكان جزاؤه من صنيعه الجميل الذي قام به.

٢/ السّياق الثقافي للنصّ : ليس الشّعر مجرد شكل محدّد باللّغة والصّور والموسيقى فقط، بل هو قبل ذلك، نوع من المعرفة المتميّزة، التي تبدع وتجسّد ماتبدعه في هذا الشّكل، إنّه نوع من الوعي الذي يدرك الوجود الطّبيعي والإنساني إدراكا خاصّا، يختلف فيه عن أشكال الوعي الأخرى "رائعة الذّبيح الصّاعد واحدة من أجمل الكتابات الإبداعية التي احتفت بالشّهيد، وركّزت على البطل زبانا وهو أوّل شهيد بالمفصلة، وتندرج هذه القصيدة ضمن ما يعرف بالكتابات ما بعد الكولونيلية التي سعت إلى المقاومة بالكلمة، والرّد على كلّ محاولات الاستعمار للهيمنة على الشّرق، فاضحة أساليبه المدمّرة لاستغلال ونهب خيرات البلدان، ومؤامراته البغيضة لاستغلال الشّعوب، وهو إلى اليوم مازال يستفزّها بدعاويه وحيله وأقنعتة المتعدّدة التي يسعى من خلالها لمواصلة أاثامه الشّنيعة"، "ففي الثّالث والعشرين من فبراير ٢٠٠٤م، صوّت البرلمان الفرنسي على دعم قانون يشير إلى تاريخ فرنسا الكولونيلية باعتباره مشروعا إيجابيا ويدعو إلى تشجيع المدارس على إطلاع التلاميذ في المراحل التّعليمية المختلفة على الدّور الإيجابي الذي لعبه فرنسا في تلك المرحلة الكولونيلية، وبالتالي يبرّر إبادة الشّعوب وتدمير ثقافتها ونهب ثرواتها".<sup>٢</sup>

لقد أسهمت الكتابة الشّعورية، التي رافقت الثّورة؛ وكانت لسانها المعبر عن حقيقتها، في الكشف عن مدى شناعة الفعل الاستعماري، وفضح نواياه الحقيقية وهي حقيقة اعترف بها من قبل، كتاب من الغرب الاستعماري فمثلا اعترف ألفرد سكاون بلنت في خطابه الموجّه إلى مجموعة المؤتمّر المصري، في اقتباس ورد في كتابه التّاريخ السري لاحتلال انجلترا لمصر: "احذروا منّا فإننا لانريد لكم شيئا من الخير، لن تنالوا منّا الدّستور ولا حرّية الصّحافة، ولا حرّية التّعليم ولا الحرّية الشّخصية...لم يبق لكم عذر إذا أنتم انخدعتم في نيّاتنا بعد أن وضّح الأمر فيها وضوحا تامّا فاحذروا أن تنساقوا إلى الرّضى باستعباد بلادكم ودمارها".<sup>٣</sup> هذه هي حقيقة الاستعمار الذي تفنّن في التّنكيل بالجزائريين وقتلهم وتجريب آلات جديدة للفتك بهم، وقد واجهه الشّعب الجزائري منذ دخوله وحدثت معارك كثيرة ومواجهات دامية ومثلما يقول فرانس فانون: "إنّ محو الاستعمار إنّما هو حدث عنيف دائما،<sup>٤</sup> و لكنّ ذلك لم يثنّ عزيمةهم، بل زادهم إصرارا وتشبّثا بحقّ الحرّية، فكانت ملحمة الجزائر، وبطلها الشّهيد.

<sup>١</sup> عبد الله العمّدي: أسئلة الشّعورية، بحث في آلية الإبداع الشّعري ط ١، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٩م، ص ١١٥.

<sup>٢</sup> - بيل أشكروفيت وآخرين: دراسات مابعد الكولونيلية، المفاهيم الرّئيسية، مقدّمة المترجم ص ١١

<sup>٣</sup> - بيل أشكروفيت وآخرين: المرجع نفسه، من المقدّمة ص ٧

<sup>٤</sup> - فرانس فانون: معذبو الأرض، موقف للنّشر الجزائر، ٢٠٠٧م ص ١

## ٣ / الشَّهيد في قصيدة الذَّبَّيح الصَّبَاعِد :

تعدّ قصيدة الذَّبَّيح الصَّبَاعِد لمفدي زكريّا ملحمة خلّدت حادثة استشهاد البطل زبانا ، مجسّدة صورته كرمز محاط بهالة من القدسية؛ تلك الهالة التي رسّختها القناعات الدّينية للشّاعر فراح يدبج كلمات وينسج أبيات تعقب بعطر الشّهادة وتتأرجح بين وجع الفقد وفرحة نيلها .  
ففي البداية عمد الشّاعر لاستعارة بعض تقنيات القصّ لينقل لنا واقعة استشهاد البطل، ويسرد تفاصيلها منذ اللّحظة التي اقتيد فيها إلى المقصلة ليلا حتّى صعود روحه الطّاهرة إلى السّماء، عبارات تأخذ بلبّ القارئ وتحبس أنفاسه، لاليس وحسب من سحر البيان بل من امتزاج الشّحنة التعبيرية والصّور البلاغية مع عظمة المشهد وهوله، و الذي كان في حدّ ذاته أبلغ من حروف القلم :

قام يختال كالمسيح وئيدا	يتهادى نشوان يتلو النّشيدا
شامخا أنفه ، جلالا وتها	رافعا رأسه ، يناجي الخلودا
رافلا في خلاخل ، زغردت تم	لأ من لحنها الفضاء البعيدا
حالمًا كالكليم كلّمه المج	د ، فشدّ الحبال يبغي الصّعودا
وتسامى كالرّوح ، في ليلة القد	ر سلاما ، يشعّ في الكون عيدا
وامتطى مذبح البطولة مع	راجا ووافي السّماء يرجو المزيداً

في هذا المقطع من القصيدة تتأرجح الصّورة بين الدّنيوي المدنّس ، والغبيي المقدّس ، لتبتهت صورة المجرم القاتل وتضمحلّ، ويركّز المشهد على الشّهيد البطل فتظهر صورته وهو يتوق إلى الصّعود إلى السماء، متعاليا بذلك على أفعال المستعمر وجريمته البشعة ، ولئن كانت عظمة الشّاعر تقاس بقدرته على إحداث الدّهشة<sup>١</sup> وكسر أفق التوقّع ، فإنّ الشّاعر وهو يحوّل الواقعة المريعة والفجعية إلى بهجة ونصر قد أعاد ترتيب نظام الأشياء ، ونظام النّظر إليها في الواقع ، بتأكيده على السّعادة التي كان يشعر بها زبانا لحظة اقتياده نحو المقصلة حيث كان قريبا من تحقيق ما كان يصبو إليه منذ البداية وهو نيل الشهادة متطلّعا إلى ما هو سماوي وروحاني خالد ، وهنا يسهم الشّعور في تكثيف الدّلالة و انزياح المعنى وتحوّل من الدّرامي والمأساوي إلى المبهيج والمفرح ، حيث غدت القيود خلاخلا تملأ بزغردها المدى لتتناسل الصّور الاستعارية والتّشبيهات تباعا، فزبانا كلّمه مجد الشّهادة ، واختاره ليصعد حيّا إلى السّماء، مثل الكليم حين رفع إلى السماء، فامتطى مذبح البطولة صادق الوعد ثابت الإيمان بما ينتظره في دار الخلود "رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا"<sup>٢</sup>. وهي صور تضمّر تحديّا للمستعمر الذي سعى بفعله لجلب الدّمار والموت وإخافة الثّوار فتحضر الكلمة لتبدّد مساعيه وآماله في القضاء على الثورة ، ليبدع الشّاعر بذلك أجمل ما يمكن أن تكون عليه صورة الشّهيد

<sup>١</sup> -مفدي زكريّا: اللّهب المقدّس ، المؤسّسة الوطنية للفنون ، موفم للنّشر ، الجزائر ، ٢٠٠٧ م ، ص ١٧

<sup>٢</sup> -عبد الله العبّسي : أسئلة الشعريّة ص ١١٨

<sup>٣</sup> -سورة الأحزاب من الآية ٢٣ ،

وهو يزفّ إلى السّماء تاركاً جلّاده يتلوى بفعل أحقادها وأفعاله الشّنيعة ليواصل الشّاعر تصوير المشهد في  
درامية لا تخلو من التحدّي :

وامتطى مذبح البطولة مع راجا، ووافى السّماء يرجو المزيد  
وتعالى مثل المؤدّن يتلو كلمات الهدى، ويدعو الرقودا  
صرخة ترجف العوالم منها ونداء مضى يهزّ الوجودا<sup>١</sup>

يتضمّن المقطع صورة تنمّ عن الشّجاعة والإصرار والتحدّي وتعرّفنا بسمات البطل الذي افتدى  
الأخرين بنفسه، وارتضى أن يكون قربانا ليحيا شعبه حرّاً كريماً، كما أنّها صورة تنمّ عن إيمان قوي  
وعقيدة راسخة وثبات لحظة البأس ورضى بالقضاء والقدر.

ثمّ يمضي الشّاعر في أبياته ليقدّم لنا عبر تقنية الحوار التي استمدّها من السرد، مسترجعا جزئيات  
الحدث بتفاصيله وهو ما أتاح لنا رسم صورة متكاملة عن حقيقة وجوه الشهيد وتسامحه حتّى مع  
جلّاديه:

اشنقوني فلست أخشى حبّالا واصلبوني فلست أخشى حديداً  
وامتثل سافرا محيّاك جلاً دي ولا تلتئم فلست حقودا  
واقض ياموت فيما أنت قاض أنا راض إن عاش شعبي سعيدا  
أنا إن متّ فالجزائر تحيا حرّة مستقلّة لن تبيدا<sup>٢</sup>

فالشّهيد البطل زبانا: الذي هو رمز و اختزال لصورة الشّهيد قاطبة، قد بلغ درجة الكمال  
، وحقّق إنسانية الإنسان، حين تعالى على خطيئته جلّاده وأشفق عليه في مفارقات لا تحدث كثيراً في تاريخ  
البشرية، لأنّ زبانا كان ينظر إلى جلّاده بعين الحقيقة، بعد أن غمرته الإشراقات الربّانية \_ بلغة الصوفية  
\_ وبعد أن فهم حقيقة البشر لذلك راح يجبر عثراتهم، ويتجاوز خطاياهم ويتعالى عن الأحقاد، مغلباً الخير  
على الشرّ، فأعطى بذلك المثل الأعلى والأنموذج الإنساني الأكمل، ليقدّم لنا الشّاعر بهذه الصورة  
شخصية الإنسان الجزائري المسلم حين يبيع نفسه ويرخصها في سبيل الله والوطن،

ليتحوّل الشّاعر إلى الثّناء على الشّهيد ورسم مشهد مهيب له وهو يزفّ إلى السماء بعد قتله يقول :

زعموا قتله.....وما صلبوه ليس في الخالدين عيسى وحيدا  
لقّه جبرائيل تحت جناحيه إلى المنتهى رضياً شهيداً<sup>٣</sup>

وهذه الصّورة التي رسمها الشّاعر لزبانا حين شّبهه ضمّنيا بالمسيح عليه السلام، هي صورة  
منسجمة تماما مع الرّؤية القرآنية سواء بالنّسبة للشّهداء وحقيقة خلودهم أو بالنّسبة لحادثة رفع المسيح  
عليه السلام، يقول تعالى "ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم يرزقون"

<sup>١</sup> - مفدي زكريّا: اللّهب المقدّس ص ١٧/١٨

<sup>٢</sup> - مفدي زكريّا: اللّهب المقدّس ص ١٨

<sup>٣</sup> - مفدي زكريّا: اللّهب المقدّس ص ١٩

وهي صورة تجعل القارئ يفهم الحكمة من الشهادة ومن بذل الشهداء أنفسهم، والتضحيات التي قاموا بها من أجل عزة الوطن وكرامته .

لنلني الشاعر في آخر القصيدة يستنطق زيانا ويحمله رسالة إلى الأفلاك ، فيغدو بذلك فعل الشهادة في حد ذاته ثورة متجددة ، ورمزا للانبعث والتجدد والنصر ، فباستشهاد زيانا سينكشف للعالم أجمع حقيقة الثورة المجيدة التي جاءت لرفع الظلم وطرد العدو . لا كما روج المحتل حين عدّها مروفاً وخروجاً عن القانون . وهنا يعطي الشاعر للشهيد معاني ودلالات جديدة ، فيصبح استشهاد البطل سبباً في بقاء الثورة ، ودعاية لها ، وليس كما هيّ للعدو أنّه يقتل أبطال الثورة سيقضي عليها وهذه إحدى المفارقات التي سعى مفدي زكريّا إلى تأكيدها في قصيدته . يقول الشاعر مخاطباً الشهيد زيانا :

يا زيانا أبلغ رفاقك عنّا في السماوات ، قد حفظنا العهودا

وارو عن ثورة الجزائر للأفلاك والكائنات ، ذكرا مجيدا

ثورة لم تكن لبغي وظلم في بلادي ، تفكّ القيودا<sup>١</sup>

وكما ألفينا الشاعر في مواطن عديدة من دواوينه ، يؤكّد أنّ الاستشهاد وموت البطل فيه حياة الوطن ، وحياة الوطن رهن بما يبذله هؤلاء الأبطال ، فيتناصّ الشاعر مع قصيدة له كان قد بعث بها إلى ابنه صلاح الدّين حين التحق بجيش التحرير الوطني ، موقّعة بتاريخ تشرين الثاني ١٩٦١م مؤكّدا الدّلالة نفسها ، يقول :

زغردي يا أمّة وافتخري فابنك الشّهم فدائيّ مغامر

صلواتي لك ، والله معك سوف ألقاك بأعياد البشائر

فإذا ما عشت حققت الرّجا وإذا ما متّ فلتحيا الجزائر

فالشاعر في تكراره لهذه الدلالات في مواطن عدّة من نصوصه كان يعبر "عن كلّ ما لديه من مخزون اتجاه قضيتّه ونضاله وكفاحه / من أجل قيم الحرّية ومن ثمّ اكتناز التجربة لتفجيرها فيما بعد في عمله الإبداعي ، ليس من أجل تاريخ تجربته أو توثيقها ، وإنما لإشعال جذوة الحرّية للأجيال القادمة وزرعها ، أو غرسها في دمه ووجدانه ، لكي تتحوّل إلى تراث في مواجهة ما قد يتعرّض له من قهر وطمس للقومية واستلاب لحرّيته"<sup>٢</sup>.

الخاتمة

نخلص للقول أن استحضار صورة الشهيد في شعر مفدي زكريّا والاحتفاء به ، ليس تمجيذا للبطولات والتغّي بما قام به الأبطال في ساحة الوغى ، وحسب ولكنّه سعي لإشاعة نموذج أمثل للوطنية وإعلاء القيم الإنسانية الخالدة ، وتحضري في هذا المقام كلمات كان يردها مفدي زكريّا لولده صلاح الدّين وهي رسالة لنا جميعا "لست أريد من تعليمك أن تصبح كتابا في خزانة ، أو آلة تسجيل في مكتبة ، أو

<sup>١</sup> - مفدي زكريّا: اللّهب المقدّس ص ١٩

<sup>٢</sup> - ينظر بيل أشكروفييت ، وآخرين :دراسات ما بعد الكولونيالية ، المفاهيم ص ٢١ نقلا عن توفيق فياض حوار مع القدس العربي ، ص ١٠ بتصرف

إنسانا ميكانيكيا فاقد الإرادة ، ميّت الشّعور سقيم الإدراك ، بل أريدك أن تكون روحا من لهب، وفكرا من علم وأدب ،ومفخرة من مفاخر العرب" ، فالقصيدة تمثّلت الشّهيد في بلوغه صفات الكمال بلغة شعرية متفردة ورؤية أصيلة ، جعلتها تتعالى على النّسيان وتندرج ضمن النّصوص الخالدة المتجدّدة بتجدّد الزّمان ، وهي تحمل في جنباتها دعوة للاحتذاء به والاتّصاف بصفاته وجعله مثالا وأنموذجا إن نحن تمثّلنا أفعاله الإنسانية السّامية ، وجدّدنا عهدنا بمبادئه التي استشهد عليها وجعلناها أفعالا على أرض الواقع فنكون بذلك أدينا واجبنا اتّجاهه وصنّا الأمانة.

### المصادر والمراجع

- مفدي زكريا: اللّهب المقدّس ، المؤسسة الوطنية للفنون ، موفم للنّشر ، الجزائر ، ٢٠٠٧م
- ابن منظور: لسان العرب :مادّة شهد ، دار المعارف ، القاهرة المجلّد ٤ ، ج ٣٦
- عبد الله العثّمي : أسئلة الشّعريّة ، بحث في آلية الإبداع الشّعري ط ١ ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٩م
- حي هلال السّرحان ، أحمد حسّوني حليم : الشّهيد في الاسلام ، منشورات منظمة المؤتمر الإسلامي الشّعبي
- بيل أشكروفيت وآخرين : دراسات ما بعد الكولونيالية ، المفاهيم الرّئيسة ، ترجمة أحمد الزوي ، أيمن حلي ، عاطف عثمان ، تقديم كرمة سامي ، المركز القومي للترجمة ، العدد ١٦٨١ ، ط ١ ، ٢٠١٠م .
- فرانز فانون : معذبو الأرض ، موفم للنّشر الجزائر ، ٢٠٠٧م

## مفهوم الحجاج وعلاقته باللغة العربية

السيدة/نادية عشاكي<sup>١</sup>

### الملخص

هدفت هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على مفهوم الحجاج وعلاقته باللغة العربية. ومن هذا المنطلق استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في جانبه النظري. وقد أسفرت هذه الدراسة على أن الحجاج يؤثر على اللغة العربية من خلال بناء حجتها على وسائل التأثير والإقناع والتبرير بالحجة والبرهان، والتي تعد من أهم التقنيات التي يسعى إليها المحاجج سواء أكانت تلك الحجاجية صريحة وواضحة، أم كانت خفية وغامضة؛ وأن منطق الحجاج الذي يقترن باللغة العربية هو منطق حجاجي طبيعي يتلاءم مع طبيعة المتكلم والمتلقي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، أنواعه، المقاربات الحجاجية، اللغة العربية

### المقدمة

يعد الحجاج من أهم المصطلحات ذات الصلة باللسانيات التي تدرس اللغة وعلاقتها بالنصوص والخطابات من خلال رصد البنية الحجاجية البرهانية والاستدلالية بهدف إقناع المتلقي والتأثير فيه، كما تجاذبته مجموعة من النظريات أدت إلى اختلاف مفاهيمه، بما يشمل من برهان وجدل ومناظرة ومناقشة ودليل. وهو مصطلح شغل الباحثين منذ منتصف القرن العشرين في العالم الغربي، وما يقارب ثلاثين عاما في العالم العربي. ولا مناص من القول إن الحجاج له علاقة بتاريخ الفلسفة وفن الخطابة، حيث درسه السفسطائيون منذ القرن الخامس قبل الميلاد. وبما إن الحجاج مفهوم واسع له أشكال مختلفة من المصطلحات تتداخل معه، كالبرهان، الجدل، الاستدلال، المناظرة، النقاش، فإنه يصعب تحديد تعريف خاص به نظرا لتنوع مفاهيمه واختلاف اتجاهاته وعلومه.

ولعل الدافع لدراسة هذا الموضوع هو ندرة الدراسات الحجاجية ورفد الباحثين بمرجع إضافي يمكن الاستفادة منه. وبهذا تسعى هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على هذا المفهوم المتشعب، من خلال الغوص في عمق جهازه المفاهيمي، والوقوف على علاقته باللغة العربية. ويتوقع أن يؤثر الحجاج على اللغة العربية من خلال بناء حجتها على وسائل التأثير والإقناع والتبرير بالحجة والبرهان، والتي تعد من أهم التقنيات التي يسعى إليها المحاجج سواء أكانت تلك الحجاجية صريحة وواضحة، أم كانت خفية وغامضة؛ لذلك حاولنا تقسيم هذا الموضوع إلى ثلاث محاور، حيث يتمثل المحور الأول: في تحديد ماهية ومفهوم الحجاج وأهم نظرياته، أما المحور الثاني، فحاولنا إلقاء نظرة على أنواع عدة من الحجاج، في حين يتناول المحور الثالث، علاقة المقاربة الحجاجية باللغة العربية.

<sup>١</sup> طالبة بسلك الدكتوراه- تخصص علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، المملكة المغربية

## أهمية البحث

يكتسي موضوع هذا البحث أهمية بالغة في اللغة والبلاغة والمنطق، حيث أصبح الحجاج في العقود الأخيرة من الموضوعات الشائكة التي بدأت تشغل اهتمام الباحثين نظرا لقللة الدراسات المتعلقة به كمفهوم متعدد الاستعمالات واختلاف مفاهيمه الغير محددة التي تدرس إشكالية المقاربات الحجاجية المختلفة باختلاف وجهات المنظرين والباحثين في هذا المجال، والتي تشمل مختلف أنماط الخطابات الحجاجية المتداولة.

## أهداف البحث

تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

١. تحديد مفهوم الحجاج، وأهم نظرياته
٢. الوقوف على أنواع الحجاج
٣. التعرف على علاقة المقاربة الحجاجية باللغة العربية

## إشكالية البحث

يشكل موضوع الحجاج من أهم الأساليب التي يجب الاشتغال عليها والاهتمام بها في عدة مجالات، وتحاول الدراسة أن تجيب عن الإشكالية المطروحة: ما علاقة الحجاج باللغة العربية؟ وينبثق عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية وهي على الشكل الآتي:

١. ما المقصود بالحجاج؟
٢. ما هي أهم نظرياته؟
٣. ما أنواع الحجاج؟

## منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في جانبه النظري للحجاج، وتحليله من حيث ضبط مفاهيمه ونظرياته، واستخراج نتائجه. لأن هذا المنهج يركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد من خلال فترة أو فترات زمنية وذلك من أجل الحصول على نتائج عملية تم تفسيرها بطريقة موضوعية وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة.<sup>١</sup>

ومن هذا المنطلق، اقتضت هذه الدراسة كما سبقت الإشارة إلى ذلك أن يتضمن ثلاث محاور:

المحور الأول: مفهوم الحجاج وأهم نظرياته

المحور الثاني: أنواع الحجاج

المحور الثالث: علاقة المقاربة الحجاجية باللغة العربية

المحور الأول: مفهوم الحجاج وأهم نظرياته

أولا: مفهوم الحجاج " Argumentation "

<sup>١</sup> محمد عبيدات وآخرون، (١٩٩٩)، منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات، ط ٢، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ص ٤٦.

## ١. المفهوم اللغوي

الحجاج في اللغة من "حاججته أحاجه حجاجاً ومحاجة من حججته بالحجج التي أدليت بها. والحجة الدليل والبرهان، وقيل الحجة ما دافع به الخصم. وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، أي نازعه بالحجة. وورد في مقاييس اللغة لابن فارس أن معنى (حاججت فلانا) أي غلبته بالحجة. والحجة الدليل والبرهان<sup>١</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>٢</sup>

وفي هذا الإطار فقد تعددت مظاهر الإقناع في القرآن الكريم، فهو إقناع مبني على اللغة، ويمكن اعتباره خطاباً حججياً نظراً لكونه جاء رداً على خطابات سواء كانت علنية أو ضمنية<sup>٣</sup>. فالقران الكريم هو مصدر الخطاب الحجج الذي يؤثر بتقنياته ووسائله لإقناع الناس بمعالم الكون.

قال الجرجاني: "الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"<sup>٤</sup> وقال الكفوي: "الحجة بالضم البرهان، وما ثبت به الدعوى من حيث إفادته للبيان يسعى بينة ومن حيث الغلبة به على الخصم يسمى حجة" فأعطى الكفوي صفة الحجة لما يغلب به لا لجملة ما يثبت به الدعوى<sup>٥</sup>. وجاء في قاموس "اللانند" الفلسفي الحجة بأنها ((استدلال موجه لتأكيد قضية معينة أو دحضها، أو تفنيدها، وأن هناك من يعتبر كل حجة دليلاً))<sup>٦</sup>. وبذلك فالحجة قد تكون حجة بالإثبات والإقرار بالدليل والبرهان، وهي تتميز بإفادته الرجوع للدليل؛ وإلزام الغير بالحجة، والتغلب عليه.

## ٢. المفهوم الاصطلاحي

إن مفهوم الحجاج مصطلح أعجمي المنشأ انتقل إلى العربية عن طريق الترجمة. وقد اهتم الدكتور عبد الله صولة بهذا المصطلح في كتابه (الحجاج في القرآن)<sup>٧</sup>. أما في الانجليزية فيشير لفظ (Argue) إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل<sup>٨</sup>. ويعد الحجاج عملية هدفها اقناع الآخر والتأثير عليه<sup>٩</sup>. أي تقوم على علاقة التخاطب والاستدلال بغرض التأثير في المتلقي عن طريق الإقناع أو الافهام. وهذا يعني أن الخطاب يتطلب أن يتوفر فيه ما يحاجج به المخاطب من كلام يهدف الإقناع والتأثير.

١ ابن منظور: لسان العرب: الجزء الرابع، حرف الحاء، مادة حجج، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣ م

٢ سورة آل عمران، الآية ٦٦

٣ قدور عمران: (٢٠١٢م)، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني - ط ١ - عالم الكتب الحديث - إربد الأردن ٢٦ ص.

٤ علي بن محمد بن علي الجرجاني: (١٩٨٥م)، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ص ١١٢.

٥ أبو البقاء الكفوي: (١٩٨٢)، ظاهرة الفروق الدلالية في معجم (الكليات)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ص ٤٠٦.

٦ حافظ إسماعيلي علوي: (٢٠١٠)، مقدمة كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديثة، إربد - الأردن، ط ١: ٣

٧ ينظر: عبد الله صولة: (٢٠٠٧)، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: ص: ٩.

٨ هشام فروم: (٢٠٠٩)، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعة النووية نموذجاً، (رسالة ماجستير)، الجمهورية الجزائرية، جامعة الحاج خضر - باتنة - قسم اللغة العربية وأدائها: ٤٩.

٩ أبو الزهراء: (٢٠٠٨م)، دروس الحجاج الفلسفي، مجلة الشبكة التربوية الشاملة، ٢٠٠٨، ص ٥.



فالحجاج مفهوم متشعب وشائك يصعب تحديد تعريف معين له نظرا لكثرة تعريفاته وتنوعها. وبهذا فالحجاج هو مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية المتكلم ما، يتوجه بخطابه إلى مستمع معين من أجل تعديل الحكم الذي لديه عن وضع محدد<sup>١</sup>. كما يستعمل الحجاج جميع وسائله ليقنع المرسل إليه بما يظهره المرسل من حجج، فهو عبارة عن آليات وأساليب وعمليات وروابط لغوية ومنطقية وجدلية وفكرية وتداولية وخطابية، توظف في أثناء إنتاج الملفوظ النصي أو الخطاب، شفويا كان أم كتابيا، بغية التأثير والإقناع والاقناع والحوار. ويعني هذا أن الحجاج مرتبط بالمتكلم، والمخاطب، والاستلزام الحوارية. ويرى أبو بكر العزاوي أن " الحجاج فعالية تداولية خطابية جدلية، وهو تقديم مجموعة من الحجج التي تخدم نتيجة معينة. وهو أيضا منطق اللغة والاستدلال المرتبط باللغات الطبيعية"<sup>٢</sup>.

### ثانيا: أهم نظريات الحجاج

هناك عدة نظريات حجاجية بعضها ينتهي إلى البلاغة وبعضها إلى المنطق، ومن أهم هذه

النظريات:

#### • الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا

من أهم النظريات الحجاجية في العصر الحديث تلك النظرية التي طورها كل من بيرلمان وتيتيكا، وبرزت بوضوح في كل كتاباتهم. ولكن أهمها كتابهما "مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة -"<sup>٣</sup> فالحجاج عندهما عبارة عن خطاب يستهدف استمالة عقل المتلقي والتأثير في سلوكه، والحجاج فيها يتغير بحسب المتلقي، ويكون عن اقتناع. إذ أن الخطابة فيه نسبية وذاتية بينما هي في الجدل واحدة لا تتعدد. ويركز "بيرلمان وتيتيكا" في تعريفهما للحجاج على تقنياته وآلياته، "التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في حالة ذلك التسليم"<sup>٤</sup>.

ويبدو أن "بيرلمان وتيتيكا" قاما بعملية استقراء للوصول إلى أهم خصائص الحجاج الذي كان سائدا قبلهما فوجدا: "أن الحجاج عند بعض الفلاسفة ومنهم باسكال هو حجاجان: الحجاج الأول قوامه العقل، وهو حجاج فيلسوف يرمي من ورائه إلى جعل العقل قوام الاستدلال، والحجاج الثاني يقصد به دغدغة العواطف، وإثارة الأهواء، مهما تكن الطرق الموصلة للإقناع بذلك العمل غير معقولة وغير

١ عبد العزيز السراج: (٢٠١٠). التواصل من الحجاج أية علاقة؟ بحث منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، أريد، ٢٨٢/١

٢ أبو بكر العزاوي: (٢٠١٠م)، حوار حول الحجاج، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ص: ٩.

٣ وقد ترجم كثير من الباحثين المصطلح الأجنبي Rhetorique بالمصطلح العربي (بلاغة) منهم محمد العمري في كتابه: "في بلاغة الخطاب الإقناعي".

وصلاح فضل أيضا في كتابه: "بلاغة الخطاب وعلم النص" عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢ ص ٧٥.

٤ عبد الله صولة: (١٩٩٨)، الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة) لبيرلمان وتيتيكا، بحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في

التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية، تونس، (د.ت).

منطقية".<sup>١</sup> وهذا يعني أن الباحثين جعلوا من الحجج العقلية والعاطفية مصدرين للاستدلال بحجتهما رغم اختلاف الطرق المؤثرة.

وتقوم نظرية "بيرلمان" الحجاجية على اعتماد مقدمات تعتمد الحس المشترك، التي تعد نقطة انطلاق الاستدلال، وتشمل ست مقدمات: الوقائع، الحقائق، الافتراضات، القيم، الهرميات، المعاني أو المواضيع. كما تقوم نظريته على تقنيات وطرق للحجاج تتلخص في منهجين هما: طرائق الوصل (الاتصالية)، وطرائق الفصل (الانفصالية).

لكن يمكن القول بما أن الحجج يقوم على البرهان والإقناع فإن ذلك يهدف إلى الوصول إلى نتيجة حقيقية. وبالتالي فالحجاج عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب.

#### – الحجج عند مايير

يعد "ميشال مايير" (Michel Meyer) أحد منظري البلاغة المعاصرة حيث أحدثت دراساته نقلة نوعية في مجال الحجج. تمكن "مايير" من إبراز المكونات الجديدة للخطاب الحجاجي البلاغي من خلال تصور جديد منفتح على العلوم الإنسانية والفلسفية بالخصوص (عبد السلام عشير، ص ٢٠٥). وقد استطاع اعتمادا على منطلقات معرفية ومرتكزات فلسفية أن يؤسس منهجا تساؤلانيا يقوم على مبدأين اثنين: مبدأ افتراضي، وذلك بافتراض أجوبة وأسئلة متعددة في الخطاب؛ ومبدأ الاختلاف الإشكالي، أي كثرة الاختلافات تحكمها ضرورات واقعية تجسدها اللغة، وترتبط بالمعارف والخلفيات السياقية والثقافية التي تتوفر عليها الذهن البشري. ومن بين أهم العناصر التي تحدث عنها "مايير": العلاقات الحجاجية التي تقوم على ثلاثة عناصر أساسية هي<sup>3</sup>:

أ- الإيتوس (الصفات المتعلقة بالمتكلم) المتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلّى بها الخطيب أو البلاغي المرسل؛

ب- الباتوس (التأثير في الآخر) الذي يتعلق بالمخاطب، بما يسعى، بثنائية الترغيب والترهيب؛

ج- اللوغوس (الخطاب أو اللغة أو العمليات الاستدلالية العقلانية داخل الخطاب). بمعنى الكلام والحجج والأدلة.

#### – الحجج عند أوسكمبر وديكرو

إن الحديث عن الحجج عند "أوزفالد ديكرو" و"جون كلود أوسكمبر" هو حديث عن نظرية الحجج في اللغة من خلال مؤلفهما المشترك "الحجاج في اللغة" L'argumentation dans la langue.

١ عبد الله صوله: الحجج أطره ومنطقاته، مرجع سابق.

٢ مليكة غبار وآخرون، (٢٠٠٦)، الحجج في درس الفلسفة، مرجع سابق، ص ١١٨

٣ شكري المبخوت: (١٩٩٨م). (نظرية الحجج في اللغة)، ضمن كتاب أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي

صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، ص: ٣٥١-٣٨٥.

ويعتقد كل من "أوسكمبر وديكرو" أن رفض التصور القائم على فصل الدلالة التي تبحث في معنى النص والتداولية منوط ببنية اللغة الموجود بها الحجاج الذي يعتبر إنجازا لعملين اثنين هما: "فعل التصريح بالحجة من جهة، وفعل النتيجة من جهة أخرى سواء كان مصرحا بها أو مفهومة"<sup>1</sup> وهذا الحجاج خاصة لغوية دلالية وليس ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام. فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجائية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه، ويجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجائية معينة. وهذا ما يؤدي إلى حجائية القول الذي يهدف إلى التوجيه على مستوى السامع بالتأثير فيه، أو مواساته أو إقناعه وعلى مستوى الخطاب، ويحقق النتيجة.

#### - الحجاج عند تولمين (Toulmin Stephen Edelson)

اتضح مفهوم "تولمين" للحجاج من خلال بحثه المقدم في (١٩٥٨) بعنوان (the uses of argument) الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجائية في الاستخدام العادي للغة.

#### - الحجاج عند جان بليزكر ايس

ويعرفه "جان بليز كرايس" (Jean Blaise Grize) بقوله: "الحجاج في مفهومه الشائع، هو تقديم الحجج والأدلة لدعم دعوى ما أو نقضها. ولكن من الممكن أيضا إدراك الحجاج من منظور أوسع، وفهمه باعتباره نهجا يروم التأثير في رأي وموقف وسلوك شخص ما."<sup>2</sup> وهذا يعني أن الحجاج في علاقته بالخطاب قد يكون استدلاله يوجي باستدلال الرأي ونقيضه مدعما ذلك بأسلوب التأثير والإقناع.

#### - الحجاج عند الجاحظ

يتضح من خلال كتاب "الجاحظ" "البيان والتبيين" (ت255هـ) أن خطاب النصوص يدل على فهم عميق للحجج اللغوي وآلياته. و"الجاحظ" يدفعه انتماؤه العقدي (الاعتزال) إلى البحث والتنقيب عن الآليات التداولية الناجمة لخدمة معتقده. فالسياق السياسي، والاجتماعي، والثقافي الذي برز فيه الحجاج عند الجاحظ يكاد يشبه السياقات التي نشأ فيها الحجاج عند الغرب.

#### - الحجاج عند أبي الحسن إسحاق ابن وهب.

من إنجازاته العربية كتاب "البرهان في وجوه البيان" (ت337هـ)، وخاصة "الجدل والمجادلة": أدب الجدل". يتضمنان معاني مفهوم الحجاج، ويربطهما به للدلالة على إقامة الحجة بين الجدل والحجج، ففي تعريف الجدل يقول: "وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين." ويتبين أن مفهوم الحجج ينبني على اختلاف الأطراف في وجهات النظر

<sup>1</sup> L'argumentation dans la langue- j.c.anscombre et oswaldducrot- Belgique- mardaga-3eme edition-p.11.

<sup>2</sup> A regarder : Jean-Blaise Grize: De la logique à l'argumentation. Genève, Librairie Droz, 1982 ; Jean-Blaise Grize, « Qu'est-ce que la logique naturelle?», Les représentations sociales, Presses Universitaires de France, 2003, p. 170-186.

بين المخاطب والمتلقي بالتأثير في هذا الأخير بإقناعه بحجته أو الاعتراض على ذلك بحجة أخرى يبني فيها جدله الحجاجي بالتأثير فيه ببرهان على سبب اعتراضه.

#### – الحجاج عند عبد القاهر الجرجاني<sup>١</sup>

وهو شيخ البلاغة العربية (ت ٤٧١هـ) يرى في الخطاب، أنه أكثر إقناعاً، وأبلغ تأثيراً فيقف الجرجاني وقفاته على الدور الحجاجي للتمثيل كلون من ألوان التصوير ويصف برهانه بأنه (الأنوار)، فيقف عند الصورة الحجاجية فيحللها، ويبين طاقة التأثير والإقناع فيها. ومن زاوية أخرى فالخطاب عنده قائم على المحاجة والمجادلة، فكل رأي يتبناه قائم على نقض رأي آخر معتمداً أساليب استدلالية منطقية.

وفي هذا الإطار، فإن مفهوم الحجاج لا يقتصر فقط على البرهان والاستدلال ولكنه مفهوم شاسع يسع الحوار، والجدل، والتواصل، والمناقشة، والمشاركة، والمناظرة، والاقتناع، والجدال، والاختلاف، والتعايش، والتسامح، والثقاف، والحرية.

وعليه، فالحجاج عبارة عن عملية حجاجية محكمة، باستخدام مجموعة من الحجج والأدلة والمقاييس والبراهين التي تتصف بأربع خصائص وهي: التواطؤ أي الألفاظ المستعملة تكون خالية من اللبس الدلالي، الصورية، القطعية، ثم الاستقلال، وذلك من أجل استمالة الغير هويًا، أو إقناعه عقليًا، أو جعله يقتنع اختيارًا، أو يستسلم لما يقدم إليه من براهين منطقية سليمة ووجهية، أو جعل الآخر يندمج في حوارية صريحة أو ضمنية من أجل التواصل وتبادل الآراء والأطراح والاقتناعات.

#### المحور الثاني: أنواع الحجاج

تعدد أنواع الحجاج، منها الحجاج التوجيهي، والحجاج التقويبي، والحجاج الجدلي، والحجاج المنطقي الاستدلالي، والحجاج الحواري، والحجاج اللغوي واللساني، والحجاج البلاغي، والحجاج التداولي، والحجاج الأسلوبي، والحجاج الخطابي، والحجاج التواصلية، والحجاج الخطابي، والحجاج السيميوطيقي.

#### – الحجاج التوجيهي

والمقصود به هو أن المحاجج يوجه خطابه إلى المتلقي داعماً إياه بمجموعة من الحجج المتمثلة بالأفعال الكلامية، ويصب فيه المحاجج حججه على الإلقاء ولا يهتم بردود أفعال المتلقي، كما أنه لا يجرّد من ذاته ذاتاً أخرى تمثل المتلقي في محاولة منه لتوقع اعتراضاته واستباق حججه، إذ يكتفي بمجرد إيصال حججه إليه. وهذا يعني إيصال المستدل حجته إلى غيره، وهذا النوع الحجاجي تدعمه النظرية اللسانية المعروفة باسم (نظرية أفعال الكلام)، والتي ترد الأفعال إلى القصد والفعل، وهما عماد التوجيه.

<sup>١</sup> عبد القاهر الجرجاني: (1980)، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ص 92-94.

### – الحجج التقويبي

ويقصد به أن المحاجج يجرّد من ذاته ذاتا أخرى ينزلها منزلة المعارض على دعواه، وهذا يعني أن المحاجج لا يقف مجرد إلقاء الخطاب، وتوجيه الحجج بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي مستبقا استفسارات المتلقي واعتراضاته ومستحضرا الأجوبة على اعتراضاته؛ ليحقق بذلك هدفه من الحجج وهو إقناع المتلقي.<sup>١</sup> أي أنه يجرّد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة/معارض، وينبني على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التلقي معا على سبيل الجمع والاستلزام.

### – حجاجية القرآن الكريم

الحجاج القرآني بنية خطابية حجاجية واستدلالية بشكل جلي أو مضمّر. وتتجلى بصفة خاصة، في بناء التركيبية، والأسلوبية، والمعجمية، والبلاغية، واللسانية، والتداولية. وهذا ما يثبته الباحث التونسي عبد الله صولة في كتابه (الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية)؛ حيث يقول: "لقد توافر في القرآن من المعطيات ما جعله خطابا حجاجيا، وما جعل الحجج يصيب كثيرا من العناصر اللغوية فيه مثل الكلمات والتراكيب والصور، وهي تتكرر فيه تكرارا جعل منها خصائص أسلوبية المميز." فالقرآن خطاب يقتضي الإقناع والتأثير. ذلك أن حجاجية القرآن - حسب عبد الله صولة - حجاجية أسلوبية أكثر مما هي حجاجية جدلية، أو منطقية، أو استدلالية.

ومن هذا المنطلق نستنتج أن القرآن الكريم هو خطاب حجاجي، يعتمد على أسلوب التأثير والإقناع والاعتناع، والجدل، والحوار، والاستدلال، والبرهان المنطقي، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب الأمر والنهي، وما يتضمن من بلاغة ومنطق وفصاحة.

### – حجاج المغالطة

وهي مغالطات يهدف من وراءها إلى إقناع المتلقي برأي ما، أو دفعه إلى تغيير سلوك معين باحتجاج مغالط سفسطائي، يحدث استدلال صحيح في الظاهر، السوفسطائي قد يكون المتخصص في المعرفة، أو الرجل الحكيم، أو الفيلسوف الخبير، أو الأستاذ المقتدر، أو الخطيب المفوه، أو المعلم المحنك في الجدل، أو الفصيح البليغ أي: "إن المغالطة نوع من العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتكلم، وتكون منطقية على فساد في المضمون أو الصورة إما بقصد أو دون قصد."<sup>٢</sup> ومن هنا، يهدف حجاج المغالطة إلى تغليب الآخر بمجموعة من الحجج والأدلة والبراهين والسفسطات التي تبدو أنها صحيحة ويقينية على مستوى الاستدلال الظاهري، لكنها واهية وباطلة على مستوى الفحص والتأمل والاستقراء من جهة، وعلى مستوى تقويم المنطلقات الفكرية والمنطقية من جهة أخرى.

١ ينظر: طه عبد الرحمن، (١٩٩٨)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ص. ٢٢٧-٢٢٨.

٢ رشيد الرازي: (٢٠١٠م)، لحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص: ١٣.

## - حجاج الجدل

يراد بالجدل هو تبادل الحجج والأفكار، وتبادل وجهات النظر المختلفة من أجل الوصول إلى الحقيقة، ومن هنا، يعد الحجاج الجدلي الأقدم في تاريخ الإنسانية حيث تحفل الكتب السماوية بالأخبار الدينية وقصص الرسل والأنبياء التي يتضمن الحجاج الجدلي قول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾<sup>١</sup> والخطاب هنا موجه إلى من اختصه الله سبحانه بالحكمة وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق وهي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بما هو أحسن، كما يجب أن تكون الدعوة مبنية على حجة حقيقية يقينية قطعية، تفيد الظن الظاهر والإقناع، وبالرغم من وجود مجادلة بالحسنى، فهناك من يستعين بالمجادلة المعارضة المخالفة للغير.

## - حجاج الاقتناع والتأثير والإقناع

لا بد من التمييز بين التأثير والإقناع والاقتناع، فإذا كان الاقتناع سلطة عند المرسل إليه، فإن الإقناع سلطة عند المرسل، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه.<sup>٢</sup> فالإقناع فعل إلزامي، يعتمد فيه المخاطب على أساليب حجاجية لمحااجة الغير بخطاب حجاجي عقلي من أجل إقناعه والتأثير فيه. بينما الاقتناع فعل ديمقراطي إيجابي مرتبط بالمتلقي أو المخاطب، يؤدي به إلى الاقتناع الشخصي كأن يقبل الخطاب الموجه إليه أو يرفضه. لهذا كان شانيه يقول: "إن المرء في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة. أما في حالة حملته على الإقناع، فإن الغير هم الذين يقنعونه."<sup>٣</sup> ويميز أرسطو بين الإقناع والتأثير، على أن الإقناع يخاطب العقل، ويستخدم الأدلة والبراهين المنطقية والعقلية لمحااجة الغير أو الخصم أو المتلقي، أما حجاج التأثير فيستميل النفوس، ويقوم على المناورة والمغالطة ومخاطبة العواطف والأهواء والباتوس.

## - حجاج اللغة

تهدف نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني التي وضعها كل من "أنسكومبر وأزوالد ديكرود" إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة، ووصفها انطلاقاً من فرضية محورية ألا وهي: "إننا نتكلم عامة بقصد التأثير". أي تحمل اللغة، في طياتها، وبصفة ذاتية وجوهية، وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها، صوتياً، وصرفياً، وتركيبياً، ودلالياً. ومن ثم، تندرج نظرية الحجاج اللغوي ضمن النظريات الدلالية الحديثة التي تقدم تصورات جديدة حول المعنى، وتقتح مبادرات جادة حول كثير من القضايا والظواهر اللغوية فهي نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، مع دراسة الأهداف الحجاجية، ورصد تأثيرها التداولي في المستمع.

١ سورة النحل، الآية: ١٢٥، القرآن الكريم برواية ورش لقراءة نافع عن الأزرق.

٢ عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٢٠٠٤)، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت ط ١، ص ٤٧٠.

٣ عبد الله صولة: (٢٠٠٧م)، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٧م، ص: ٣١-٣٢.

### – حجاج المنطق أو الحجاج الطبيعي

يتضمن الخطاب الذي يعتمد على اللغة الطبيعية مجموعة من العمليات الذهنية والمعرفية التي يمكن أن يبنها المتكلم للسامع، في شكل خطاطات منظمة ليقوم بإعادة بنائها. فنظرية "غريس" تهتم بالإقناع العقلي الذي يترابط مع المنطق الطبيعي في تقديم نظرية حجاجية في ضوء المنطق الطبيعي الذي يهتم بدراسة المضامين، وتبيان العمليات التي يبنها عليها الخطاب منطقيًا. ومن تم يتسم المنطق الطبيعي بكونه منطوقًا للذوات المتكلمة، ومنطوقًا للموضوعات، ويتمثل هذا المنطق في مجموعة من العمليات المنطقية الخطابية التي تمكننا من توليد الخطاطات وإنتاجها.<sup>١</sup>

### – حجاج الخطاب أو الخطاب الحجاجي

يعرف الخطاب بأنه الإطار الشكلي للمتن أو المحتوى، ويتسم بالكلية، والإيحاء، والتلميح، والتضمين، والانتظام... والانسجام، والاهتمام بجمالية اللغة... والتنصيب على الأدبية القولية الداخلية.<sup>٢</sup>

ويعتمد الخطاب الحجاجي على مجموعة من الوسائط والوسائل الحجاجية، مثل: الاستعراض البرهاني، وتقديم الأطروحة، وإيجاد الأجوبة، وتمثل الجدل في الحوار والاختلاف، والاعتماد على مسارات حجاجية منطقية ومعقولة لإقناع الغير والتأثير فيه ذهنيا ووجدانيا ولغويا. ويعني هذا تقديم مقاييس حجاجية، مثل: مقياس الجدل، ومقياس التعارض، ومقياس الاختلاف، ومقياس البرهنة والاستدلال. ومن زاوية أخرى، يرى "باتريك شارودو" أن الخطاب الحجاجي يقوم على ثلاثة مبادئ رئيسية وهي: مبدأ الغيرية القائم على وجود المتكلم المتلفظ والمخاطب السامع؛ مبدأ التأثير حينما يقترن الملفوظ بوظيفة التأثير في الغير؛ ومبدأ السيطرة الذي يقوم به المتكلم حينما يمتلك سلطة اللغة والحقيقة. فالذي يمتلك زمام اللغة يمتلك سلطة التصرف والأمر والنهي والتوجيه عن طريق التأثير والإقناع.<sup>٣</sup>

### المحور الثالث: علاقة المقاربة الحجاجية باللغة العربية

تنقسم الحجة إلى نوعين: حجة نقلية وقطعية بالدليل مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وحجة عقلية أساسها العقل والمنطق، وتقوم على الخطابة، والبرهان، والجدل. فالغرض من الخطابة إقناع المخاطب بوجهة نظر صاحب الحجة، وتلتقي مع الحجاج في أن هدفها استمالة المتلقي والتأثير عليه. أما الجدل فهو يعني "السيجال المستمر الذي نتجاوز بواسطته التحديد وأحادية الجانب لصفات الفهم. بينما البرهان، فهو حجة عقلية ترتبط باليقين والثبات. ولا شك أن هذه الحجة تختلف في علاقتها باللغة العربية باختلاف مقارباتها الحجاجية التي يمكن حصرها في المقاربة الحجاجية الجدلية:

١ انظر: أبو بكر العزاوي: (٢٠٠٤م)، (من المنطق على الحجاج)، حاور: حافيظ إسماعيلي علوي، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 61.

2 جميل حمداوي: (٢٠٢٠م)، أنواع الحجاج ومقوماته، مطبعة Rive بتطوان، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ص ١٨١.

3Charaudeau, Patrick : Le discours politique. Les masques du pouvoir. Paris : Vuibert. 2005, P : 12

تلك المقاربة التي اهتمت بالجدل في الحوار والنقاش وتبادل المعارف والأراء، واكتشاف الحقائق، سواء أكان ذلك بالجدل الحقيقي أم الجدل المغالطي، أما المقاربة الحجاجية التداولية، فتنص على أن الحجاج تداول وسياق تفاعلي بامتياز، ترتبط باللسانيات التداولية أو الوظيفية أو البراجماتية، بمعنى أن اللغة العربية تداول سياعي وحجاجي. بينما المقاربة الحجاجية اللغوية، فهي ترى اللغة حجاجا ظاهرا ومضمرا.

ومن سمات الحجاج في اللغة بصفة عامة وفي اللغة العربية بصفة خاصة:

- إنها سياقية: يقدم المخاطب حجته التي قد تؤدي إلى نتيجة حجاجية حسب السياق منها.
- إنها نسبية: أي أن كل متكلم يقدم حجته بدافع أن تكون حجة أقوى من حجة الخصم، أي أن هناك حجة قوية و حجة ضعيفة. فلكل حجة قوة حجاجية معينة.
- إنها قابلة للإبطال: يمكن للحجة أن ترفض أو تنقض بحجة أخرى أقوى منها<sup>١</sup>.
- إنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.
- إنها عمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المتنوعة.

وتؤدي اللغة العربية بدورها، وظيفة لغوية حجاجية عبر مجموعة من الروابط الحجاجية قد تكون صريحة أو غامضة حسب السياق التداولي، مثل: بل ولكن، وحتى، وكي، ولام التعليل، ولاسيما، وإذ، ولأن، وبما أن، ومع ذلك، وربما، وتقريبا، وإنما، وإنما، وبيد أن...الخ.

ومن جهة أخرى، هنالك مجموعة من الحجاجيين العرب المعاصرين الذين تطرقوا إلى الحجاج من جهة، والخطاب الحجاجي من جهة أخرى، منذ الثمانينيات من القرن الماضي، نظريا، وتطبيقا، ونقدا. من ذلك مثلا حمادي صمود في دراسته (مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح)، ومحمد النويري في (الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج)، وهشام الريفي في (الحجاج عند أرسطو)، وعلي الشبعان في (الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل)، ومحمد مشبال في كتابه (في بلاغة الحجاج، نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات)، وأمينة الدهري في كتابها (الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة)، وجميل حمداوي في (من الحجاج إلى البلاغة الجديدة)، ورشيد لولو في (حجاجية المثل في القرآن الكريم)، وعبد الله المهلول في (الحجاج الجدلي، خصائصه وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي)، وعبد الله صولة (الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية)...إلخ.

والجدير بالذكر فإن المقاربة الحجاجية في اللغة العربية تهدف إلى تحليل الخطابات الحجاجية، التي تشمل نصوصا أدبية تتضمن آليات وتقنيات حجاجية لجلب المتلقي وإقناعه والتأثير فيه، سواء أكانت تلك الحجاجية صريحة وواضحة، أم كانت مضمرة وخفية وغامضة.

١ أبو بكر العزاوي: (٢٠٠٦). الحجاج والمعنى الحجاجي، بحث منشور ضمن كتاب (التحاجج طبيعته، ومجالاته، ووظائفه) تنسيق حمو التقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ١: ٥٩.



ومن أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا البحث

- أن مفهوم الحجاج وإن كان متشعباً ومتعدد المفاهيم إلا إنه مصطلح مستقل بذاته عن جميع المفاهيم المتصلة به من الحجة والاحتجاج والسفسطة والخطاب والمناقشة والبرهان والجدل... الخ؛
- أن الحجاج يؤثر على اللغة العربية من خلال بناء حجتها على وسائل التأثير والإقناع والتبرير بالحجة والبرهان، التي تعد من أهم التقنيات التي يسعى إليها المحاجج سواء أكانت تلك الحجج صريحة وواضحة، أم كانت مضمرة وخفية وغامضة؛
- أن الحجاج يشمل كل المجالات، منها اللسانيات، والفلسفة، والمنطق، والسياسة، والقانون...
- أن من سمات الحجاج في اللغة العربية: سياقية؛ نسبية؛ قابلة للإبطال؛ وعمومية لعدد كبير من السياقات المتنوعة.
- أن منطق الحجاج الذي يقتزن باللغة العربية هو منطق حجاجي طبيعي يتلاءم مع طبيعة المتكلم والمتلقي؛
- أن لكل حجة قوة حججية معينة في خطاباتها وكتاباتها، ولكن ليس كل لغة خطاباتها حججية يستوعبها الجميع؛
- أن الحجاج يعد من أهم الوظائف والآليات التي تعتمد عليها اللغة العربية في التأثير والإقناع والافتناع والتبرير بالحجة والدليل والبرهان.

#### التوصيات

- الرجوع إلى بلاغة القرآن الكريم لاشتماله على الآليات والتقنيات الحججية.
- إعطاء أولوية لدراسة موضوع الحجاج من قبل الباحثين.
- ربط أساليب الحجاج باللغة العربية على كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والفلسفية والنفسية والتربوية والأدبية والسياسية والدينية والبحث العلمي.

#### الخاتمة

نستنتج مما سبق أن مفهوم الحجاج لا يمكن حصره في تعريف واحد نظراً لتنوع واختلاف وجهات نظر منظريه والباحثين فيه واختلاف مقارباته الحججية في اللغة العربية منها الجدلية، والتداولية، واللغوية والبراهانية التي تتسم بالنسبية وتحقق نتائج حججية بناء على سياقات مختلفة ومتعددة تؤدي أدواراً لغوية تنطوي على ما هو نقلي وقطعي، وتوجيهي، وتقويمي، وجدلي، ومنطقي استدلال، بلاغي، التداولي، وخطابي، تواصل.

#### المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن منظور: لسان العرب: الجزء الرابع، حرف الحاء، مادة حجج، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م

- أبو البقاء الكفوي: (1982)، ظاهرة الفروق الدلالية في معجم (الكليات)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ص ٤٠٦.
- أبو بكر العزاوي: (٢٠٠٦)، الحجاج والمعنى الحجاجي، بحث منشور ضمن كتاب (التحاجج طبيعته، ومجالاته، ووظائفه) تنسيق حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ١، ص ٥٩.
- أبو بكر العزاوي: (٢٠١٠م)، حوار حول الحجاج، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ص:٩.
- جميل حمداوي: (٢٠٢٠م)، أنواع الحجاج ومقوماته، مطبعة Rive بتطوان، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ص ١٨١.
- حافظ إسماعيلي علوي: (٢٠١٠)، مقدمة كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديثة، إربد- الأردن، ط:١ ص ٣.
- رشيد الراضي: (٢٠١٠م)، الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص:١٣.
- شكري المبخوت: (١٩٩٨م)، (نظرية الحجاج في اللغة)، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، ص:٣٥١-٣٨٥.
- طه عبد الرحمن، (١٩٩٨)، اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ص:٢٢٧-٢٢٨.
- عبد العزيز السراج: (٢٠١٠)، التواصل من الحجاج أية علاقة؟ بحث منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، إربد، ٢٨٢/١.
- عبد القاهر الجرجاني: (١٩٨٠)، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ص ٩٢-٩٤.
- عبد الله صولة: (١٩٩٨)، الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته (مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة)، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية، تونس، (د.ت).
- عبد الله صولة: (٢٠٠٧)، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٢٠٠٤)، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت ط ١، ص ٤٧٠.
- علي بن محمد بن علي الجرجاني: (١٩٨٥م)، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط ١، ص ١١٢.
- قدور عمران، (٢٠١٢م)، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ط ١، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ٢٦ ص.
- محمد عبيدات وآخرون، (١٩٩٩)، منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات، ط ٢، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ص ٤٦.
- هيغل: موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص ٢١.
- أبو الزهراء: (٢٠٠٨م)، دروس الحجاج الفلسفي، مجلة الشبكة التربوية الشاملة، ٢٠٠٨، ص ٥.
- هشام فروم: (٢٠٠٩)، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع الأربعة النووية نموذجاً، (رسالة ماجستير)، الجزائر، جامعة الحاج خضر- باتنة- قسم اللغة العربية.
- A regarder : Jean-Blaise Grize: De la logique à l'argumentation. Genève, Librairie Droz, 1982 ; Jean-Blaise Grize, « Qu'est-ce que la logique naturelle?», Les représentations sociales, Presses Universitaires de France, 2003, p. 170-186.
- Charaudeau, Patrick. : Le discours politique. Les masques du pouvoir. Paris : Vuibert.2005, P: 12
- L'argumentation dans la langue- j.c.anscombre et oswaldducrot- Belgique- mardaga-3eme edition-p.11.

## تطور المعجمية العلمية في القرآن الكريم:

## دراسة الدلالات حول عبارة "البحر المسجور" و"البحار سجرت"

الدكتور/ شبير علي ك ك<sup>١</sup>

## الملخص

القرآن ليس كتاباً علمياً فقط، إنه معجزة الله الخالدة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهداية للبشر، فإنه يتكون عديد من الآيات التي تشير إلى أسرار الكون وظواهر الطبيعة. يبدو أن حوالي ألف آية قرآنية تتناول العلوم، ويقال إن عدد الآيات العلمية يبلغ ما يقرب على سبع مائة وخمسين آية، وهي تشمل علوماً مختلفة. كل هذه الآيات نزلت بأسلوب بسيط، ومفهومة لمن يتأمل فيها. المصدر الهام والمهم عند من أراد البحث والدراسة في آيات القرآن والانغماس في عمق معناه وأساره هو تفسير القرآن الكريم.

تطور علم التفسير عبر الزمان وبرزت فيه إتجاهات جديدة على مر العصور. ومن المفسرين من يتبع منهج التفسير بالرأي والتفسير العلمي في تفاسيرهم، وقد حاولوا أن يفسروا دلالات القرآن على أساس الحقائق العلمية والكونية واختراعات العلم الحديث واكتشافاته العصرية، يريد الباحث في هذه الدراسة أن يفتش عن هذه التغيرات والتطورات التي حدثت في الدلالات العلمية في التفاسير عبر القرون. يقوم الباحث في هذا البحث بدراسة عن تطور الدلالات المعجمية العلمية في التفاسير عبر الزمان حول عبارة "البحر المسجور" و"البحار سجرت" مثلاً. واعتمد الباحث على المنهج التحليلي الوصفي قائماً على القراءة بما في تفاسير القرآن التي ألفت في عصور مختلفة على أساس مناهج مختلفة، وذلك بوصف المعلومات المأخوذة من الكتب والدراسات، ثم قام الباحث بدراسة الدلالة. الكلمات المفتاحية: الدلالة، تطور المعجمية العلمية، التفسير والتأويل، التفسير العلمي المقدمة

البحر يطلق على تجمع كبير للمياه المالحة يتصل بالمحيط كما على البحيرات المالحة غير المتصلة ببحار أو محيطات أخرى. "كان العرب قديماً يستخدمون مصطلح بحر على أي تجمع للماء الكثير مالحاً كان أو عذباً ولم يستخدموا كلمة محيط فقد كانوا يطلقون على المحيط الأطلسي مسعى بحر الظلمات"<sup>٢</sup>. والبحر هو موطن للملايين من الكائنات منها الحيوانات والنباتات من مختلف الأشكال والألوان والأحجام، والفرق بين البحر والمحيط يعتمد على عدة عوامل، وهي الحجم، وطبيعة السواحل، وعمق القاع، ودرجة ملوحة المياه، البحر هي أصغر من المحيط، وعمق البحر لا يزيد عن ٢٠٠٠ متر.

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية سار سيد، تاليفارامبا، جامعة كانانور

<sup>٢</sup> <https://ar.wikipedia.org/wiki/بحر>

كلمة 'بحر' وردت في القرآن الكريم ثلاثة وثلاثون مرة (٣٣)، وكلمة 'البحران' مرة واحدة، و'البحرين' أربع مرات (٤)، والبحار مرتان (٢). وكلمة 'سجرت' وردت مع 'البحر' مرة واحدة في سورة التكوير، وكلمة 'مسجور' وردت مرة واحدة مع 'البحر' في سورة الطور: هما

• وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (الطور: ٦)

• وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (التكوير: ٦)

عبارة 'والبحر' قسم في سورة الطور، والمسجور وصف هذا البحر، وهذا توكيد بأن البحر مسجور، وهو قسم الله عزوجل بوجود بحر مسجور في الأرض. ولكن الآية من سورة التكوير: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) حديث معهود عن قيام الساعة ونهاية الحياة ودمار الكون وتسجير البحار، وهذه الآية تتحدث عن نهاية الكون وتسجير البحار في المستقبل، إبان خراب الكون ستسجر البحار وتتحول كلها إلى كتلة نارية.

### كلمة 'سجرت' في المعاجم

في كتاب العين يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "سجرت: سجت التنور أسجره سجرا، والسجور اسم للحطب. والمسجرة: الخشبة التي يساط بها السجور في التنور،... والسجور: امتلاء البحر والعين، وكثرة مائه. والبحر المسجور: المغمم الملائن.... وقوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ: التكوير/٦)، أي غيضت، وبحر مسجور ومسجر، وبعضهم يفسر أنه لا يبقى فيه ماء".<sup>١</sup>

في 'لسان العرب': "سجره ملأه، سجت النهر ملأته، وقوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) لا وجه له إلا أن تكون ملئت نارا، وقوله تعالى: (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نار جهنم، سجر يسجر وانسجر امتلأ، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: المسجور بالنار أي مملوء، قال المسجور في كلام العرب المملوء وقد سكرت الإناء وسجرتة إذا ملأته".<sup>٢</sup>

في معجم تاج العروس يقول الزبيدي: "سجرت: (سجرت التنور) يسجره سجرا: أوقده (وأحماه) وقيل: أشبع وقوده.. وسجرت (النهر) يسجره سجرا وسجورا: (ملأه)، كسجره تسجيرا.. (والمسجور: الموقد).. (و) المسجور: (البحر الذي ملأه أكثر منه).. وقوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ: التكوير/ ٦) فسره ثعلب فقال: ملئت، قال ابن سيده: ولا وجه له إلا أن تكون ملئت نارا، وجاء أن البحر يسجر فيكون نار جهنم، وكان علي رضي الله عنه يقول: مسجور بالنار، أي مملوء، قال: والمسجور في كلام العرب: المملوء، وقد سكرت الإناء وسجرتة، إذا ملأته، قال لبيد: سجرت (التكوير: ٦) أفضى بعضها إلى فصار بحرا واحدا، وقال الربيع: سجرت أي فاضت، وقال قتادة، ذهب ماؤها، وقال كعب: البحر جهنم يسجر، وقال الزجاج: جعلت مبانيتها نيرانها يحاط بها أهل النار، وقال أبو سعيد: بحر مسجور ومفجور، وقال الحسن البصري، أي أضرمت نارا، وقيل: غيضت مياهها، وإنما يكون ذلك لتسجير النار فيها، وهذا الأخير من البصائر وقيل:

<sup>١</sup> سورة التكوير، الآية: ٦

كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: ٢١٧-٢١٦/٢

<sup>٢</sup> لسان العرب، لابن منظور، ص: ٣٤٥ / ٤

لايبعد الجميع، تخلط وتفيض وتصير نارا، قاله الأبي وغيره، قال شيخنا: وهذا مبني على جواز استعمال المشترك في معانيه، ثم إن قول المصنف: البحر الذي ماؤها أكثر منه، لم أجده في أمهات الأصول اللغوية، وهو مذهب الجمهور، وهم صرحوا أن المسجور المملوء أو الموقد أو المفجور أو غير ذلك، وقد تقدم، ولعله أخذ من قول الفراء؛ فإنه قال: المسجور اللبن الذي ماؤها أكثر من لبنه، وهو يشير إلى معنى المخالطة، فتأمل<sup>١</sup>.

في 'مفردات ألفاظ القرآن': 'السجر، تهبيج النار، يقال: سجرت التنور، ومنه (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)'<sup>٢</sup>.

هذا واضح من حكايات المعاجم إن لكلمة 'المسجور' عدة معان عندهم، وتفسروا 'البحر المسجور' أيضا في معاجمهم، هذا ممكن تلخيص المعاني المهمة منها: (الحطب، الموقد، تهبيج النار) (إملاء البحر والعين بكثرة مائه) (المسجور بالنار: مملوء بالنار) (البحر يسجر: يكون نار جهنم) (البحر الذي ماؤه أكثر منه) (بحر مسجور هو بحر مفجور: فجر من خلالهما الحاجز فصار بحرا واحدا، أفضى بعضها إلى بعض فصار بحرا واحدا) (تخلط وتفيض وتصير نارا).

التفسير والتأويل للآية عند المفسرين عبر العصور

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) في جامعه: "اختلف أهل التأويل في معنى البحر المسجور، فقال بعضهم: الموقد، وتأول ذلك والبحر الموقد المحمي، ذكر من قال ذلك عن سعيد بن المسيب، قال: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقا.. وعن مجاهد، (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال: الموقد"<sup>٣</sup>.

ويقول الزمخشري (ت ٥٧٨ هـ) رحمه الله: "(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أي المملوء، وقيل الموقد"<sup>٤</sup>. وفي 'الجامع لأحكام القرآن' الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) رحمه الله يقول: "(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال مجاهد: الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور... وقال عبد الله بن عمرو: لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم"<sup>٥</sup>.

وفي 'إرشاد العقل السليم' لأبي السعود (ت ٩٨٢ هـ) إنه يقول: "(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أي المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد"<sup>٦</sup>.

يقول الإمام الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) رحمه الله في تفسيره 'فتح القدير': (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال: تسجر حتى تصير نارا، وأخرج الطبراني عنه (سُجِّرَتْ) قال: اختلط ماؤها بماء الأرض"<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ص: ٥٠٣/١١ - ٥٠٥.

<sup>٢</sup> مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٢٢٧.

<sup>٣</sup> جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص: ٢٧ / ١٠.

<sup>٤</sup> الكشاف، جار الله الزمخشري، ص: ٤ / ٢٢.

<sup>٥</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبي، ص: ٩ / ٤٢.

<sup>٦</sup> إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ص: ٨ / ١٤٦.

في تفسير روح المعاني يقول صاحبه الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) رحمه الله: "(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) أي: أحميت بأن تغيض مياهها وتظهر النار في مكانها؛ ولذا ورد على ما قيل: إِنَّ الْبَحْرَ غَطَاءَ جَهَنَّمَ، أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى يكون مالحتها وعذبتها بحرا واحدا من سجر التَّنُّور إذا ملأه بالحطب ليحميه، وقيل: ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النَّار، وقيل: ملئت ترابا تسوية لها بأرض المحشر وليس له مستند أثر عن السلف"<sup>١</sup>.

يقول المفسر صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ): "أي أوقدت فصارت ناراً تضطرم وقال الفراء: ملئت بأن صارت بحراً واحداً وكثر ماؤها وبه قال الربيع بن خيثم والكلبي ومقاتل والحسن والضحاك، وقيل أرسل عذبتها على مالحتها، ومالحتها على عذبتها حتى امتلأت. وقيل فجرت فصارت بحراً واحداً وروي عن قتادة وابن حبان أن معنى الآية يدست ولا يبقى فيها قطرة يقال سجرت الحوض أسجره سجراً إذا ملأته، وقال القشيري هو من سجرت التنور أسجره سجراً إذا أحميته. قال ابن زيد وعطية وسفيان وهب وغيرهم أوقدت فصارت ناراً، وقيل معنى سجرت أنها صارت حمراء كالدم من قولهم عين سجراء أي حمراء..... وقال ابن عباس: تسجر حتى تصير ناراً، وقال أيضاً سجرت أي اختلط ماؤها بماء الأرض"<sup>٢</sup>.

ويضيف صديق حسن خان القنوجي قائلا حكاية قول أحد من أستاذ جامعي. "ونرى كذلك أن المعامل الطبيعية والكيميائية أثبتت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فيما بلغه من كتاب الله، ذلك أن قوله تعالى (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) معناه التهبّت وصارت ناراً. والبحوث العلمية أثبتت أن الماء مكون من عنصرين: أكسوجين وهيدروجين، وأن الهيدروجين يشتعل. والأكسوجين يساعد على الاشتعال. فإذا فصلت القدرة بين عنصرَي الماء تحولت البحار إلى نيران. وهذا دليل جديد على صدق القرآن"<sup>٣</sup>.

يقول الإمام القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) رحمه الله في تفسيره 'محاسن التأويل': "(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) أي: ملئت بتفجير بعضها إلى بعض، حتى تعود بحرا واحدا من: (سَجَّرَ التَّنُّورَ)، إذا ملأه بالحطب، كقوله: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ: الانفطار/٣) وقيل: المعنى تأججت نارا، قال القفال: يحتمل أن تكون جهنم في عور البحار، فهي الآن غير مسجورة لقوام الدنيا، فإذا انتهت مدة الدنيا، أوصل الله تأثير تلك النيران إلى البحار، فصارت بالكلية مسجورة بسبب ذلك، وأوضحه الإمام بقوله: وقد يكون تسجيرها إضرامها نارا، فإن ما في بطن الأرض من النار يظهر إذ ذاك بتشققها وتمزق طبقاتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخارا ولا يبقى في البحار إلا النار، أما كون باطن الأرض يحتوي على نار فقد ورد به بعض الأخبار، ورد أن

<sup>١</sup> فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ص: ٤٠٧/١

<sup>٢</sup> روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ص: ٢٥٠/١٠

<sup>٣</sup> فتح البيان، صديق حسن خان القنوجي، ص: ٢٥٠/١٠

<sup>٤</sup> المصدر نفسه، ص: ٢٥٠/١٠

(الْبَحْرُ غِطَاءٌ جَهَنَّمَ) وإن لم يعرف في صحيحها، ولكن البحث العلمي أثبت ذلك، ويشهد عليه غليان البراكين وهي جبال النار".<sup>١</sup>

يقول المراغي (ت ١٣٧١ هـ) رحمه الله في تفسيره: "(وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ) أي والبحر المحبوس من أن يفيض فيغرق جميع ما على الأرض ولا يبقى ولا يذر من حيوان ونبات، فيفسد نظام العالم وتعدم الحكمة التي لأجلها خلق. وقد يكون المعنى- والبحر الموقد في باطن الأرض بمنزلة التنّور المحيى...".<sup>٢</sup>

يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله في تفسيره: "وتسجير البحار: فيضانها، قال تعالى: (والبحر المسجور)، والمراد تجاوز مياهها معدل سطوحها واختلاط بعضها ببعض وذلك من آثار اختلال قوة كرة الهواء التي كانت ضاغطة عليها، وقد وقع في آية سورة الإنفطار (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ: الانفطار/٣) وإذا حدث ذلك اختلط ماؤها برملمها فتغير لونه".<sup>٣</sup>

يقول المفسر الحديث ابن عثيمين (ت ١٤٢١ هـ): "(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ: التكوير/٦)، (الْبِحَارُ) جمع بحر، وَجُمِعَتْ لعظمتها وكثرتها، فإنها تمثل ثلاثة أرباع الأرض تقريباً أو أكثر، هذه البحار العظيمة إذا كان يوم القيامة فإنها تُسَجَّر، أي: توقد نارا، تشتعل نارا عظيمة، وحينئذ تيبس الأرض ولا يبقى فيها ماء؛ لأن بحارها المياه العظيمة تسجر حتى تكون نارا".<sup>٤</sup>

#### ملخص القول

قد فسر العلماء القدامى تعبير 'المسجور وسجرت' بأرائهم المختلفة، ومنها ما قدم صاحب تفسير جامع البيان الإمام محمد بن جرير الطبري حيث أشار إلى إختلاف أهل التأويل في معنى هذه العبارات ودلالاتها، وقد بين الإمام محمد بن جرير الطبري هذه العبارة على لسان علي رضي الله عنه حيث قال إجابة لأحد من الأسئلة أين جهنم التي طرحت له بإجابته البحر، ويرى المفسرون في هذا القول إشارة إلى معنى الموقد، ورأي إمام القرطبي رحمه الله هو الموقد بمنزلة التنور، ورأي أبي السعود هو المملوء، والشوكاني يرى وهو البحر الذي يصير نارا، ولكن الإمام الطبراني رأى إختلاط ماء البحر بماء الأرض، وفي رأي الإمام الألوسي رحمه الله ينقص ماؤها ويظهر النار، أو ملئ بتفجير بعض البحر إلى بعض حتى يكون بحرا واحدا، وله قول آخر هو ملئت البحار ترابا للتسوية بالأرض ولكن ليس لهذا القول سند يتصل بالسلف.

حاول المفسرون الذين ظهوروا بعد القرن التاسع عشر للميلادي أن يضيفوا بعض المعارف العلمية الجديدة بحكاية التفسير بالمأثور في تفاسيرهم، ومنهم المفسر صديق حسن خان القنوجي حيث أضاف نظرية العلوم الحديثة التي تبين عناصر المياه بأنه مكونة من هيدروجين وأوكسجين، وقدرتهما في

<sup>١</sup> محاسن التأويل، محمد جمال الدين محمد جمال الدين القاسمي، ص: ٤١٢/٩

<sup>٢</sup> تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٦٤/٣٠

<sup>٣</sup> التحرير والتنوير، محمد الطاهرين عاشور، ص: ١٤٣/٣٠

<sup>٤</sup> تفسير العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص: جزء عم/٧٠

توقيد النار، هذه أثبتت من بحث العلمية طبيعيا وكيميائيا. فإذا فصلت القدرة بين عنصري الماء تحولت البحار إلى نيران، هذه تشير إلى تطور دلالة كلمة 'المسجور' إلى معنى أكثر موافقا للرأي في العصر الحالي، والإمام القاسمي رحمه الله يقول ثابتا ما في بطن الأرض من النار، يظهر بتشقق وتمزق طبقات العليا من الأرض، فيذهب الماء عند ذلك بخارا، ولا يبقى في البحر إلا النار، ويشير أيضا إلى وجود البراكين في بطون الأرض. في رأي الإمام المراغي إن نظام العالم سيفسد بعد هذه الحادثة، أي توقيد البحار، ولا يبقى حيوان ونبات في الأرض، وفي رأي ابن عاشور رحمه الله هذه إشارة إلى إفساد قوة كرة الهواء التي كانت ضاغطة على البحار وهذه الحادثة ستؤدي إلى اختلاط الماء بالرمال فتغير لونه، وابن عثيمين يرى أن البحار توقد نارا، وتشتعل وتكون يابسة ولا يبقى فيها ماء، ويكون البحر نارا.

هذا واضح أن المقصود بالمسجور هو الموقد أو المهيج بالنار، فيه دلالة صريحة على وجود بحار مسجورة بالنيران، أن المقصود بالبحر المسجور هنا هو من بحار الدنيا وليس الآخرة، في بداية القرن العشرين تبين للعلماء البحار أن قاع البحار مسجورة ومضطربة بالنيران، ووصلوا إلى التأكد الجازم من وجود براكين ملتهبة بالنار في القيعان. وكذلك دراسات أثبتت ازدياد الحرارة مع العمق، وكشفت في الدراسات لإنفجار البراكين في قيعان المحيطات والبحار أثر نشوء الأمواج العالية والسريعة. ودلالة المسجور قد توسعت من معناها الأصلي إلى المعنى الذي يضمن تطورات الحديثة في مجال البحث عن البحر والتغيرات التي تحدث في حالته.

#### الخاتمة

وصل الباحث بعد البحث إلى هذه النتائج منها: تطور علم الدلالة قد مهد الطريق إلى تطور علم التفسير والتأويل أيضا، حيث استطاعوا أن يفسروا ويؤولوا المصطلحات العلمية في صورة أدق وأوضح. وقد حاول المفسرون لأن يعطوا معنى معاصرا للكلمات والعبارات العلمية في القرآن. وكان المفسرون يتخذون موقفا لغويا في بيان الكلمات العلمية في العصر القديم ولكن المفسرين في العصور المتأخرة قد اعتبروا الأمر الواقع في مجتمعاتهم المعاصرة عندما يفسرون القرآن ويؤولونه لإستنباط الأحكام والفتاوى، وتأثر علماء التفسير في العصر الحديث والمعاصر باكتشافات العلوم الحديثة حيث اعتمدوا على المخترعات والإكتشافات الحديثة في تأويل الكلمات والعبارات القرآنية خاصة في ما يتعلق بالعلوم وحقائق الكون.

#### المصادر والمراجع

- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م/١٤٢٤ هـ.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م/١٤١٩ هـ.
- أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالرغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٣.
- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٤م.



- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط- ١٤٠٧:٣هـ
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط-١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م
- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة، مصر، ط-١، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط-١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م
- شهاب الدين الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان
- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م
- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة السعودية، ٢٠٠٤م
- نواب صديق حسن خان القنوجي، تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المشهور بتفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان
- محمد جمال الدين محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ

## جلالة المفهوم في 'عالم وطاغية'

الدكتور/ محمد عابد يو. بي<sup>١</sup>

### الملخص

عالم وطاقية مسرحية كتبها الدكتور القرضاوي عن أهمية دور العالم في مواجهة الظالم أيا كان جبروته وطاقية وبطل المسرحية هنا هو الفقيه العالم 'سعيد بن جبير'. وهي مسرحية صغيرة في حجمها عظيمة في أثرها، تجسد المعركة الأبدية بين الطغيان والحق بين ثبات أهل الحق وبغي الظلم وزبائنته. أبدع القرضاوي في صفحات قليلة قصة من قصص أهل الحق في ثباتهم ضد البغاة بين العالم سعيد بن جبير وبين الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي بين السعيد التقي وبين الشقي البغي، ورغم أنها قصيرة ولكنها عظيمة. وهذه الورقة تغطي مفهوم مسرحية عالم وطاقية.

### الدكتور يوسف القرضاوي

ولد يوسف القرضاوي في إحدى قرى جمهورية مصر العربية، قرية صفت تراب مركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، وهي قرية عريقة دفن فيها آخر الصحابة موتاً بمصر، وهو عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي، كما نص الحافظ بن حجر وغيره. وكان مولد القرضاوي فيها في ١٩٢٦/٩/٩ م وأتم حفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام تجويده، وهو دون العشرة من عمره.

التحق بمعاهد الأزهر الشريف، فأتقن فيها دراسته الابتدائية والثانوية وكان دائماً في الطليعة، وكان ترتيبه في الشهادة الثانوية الثاني على المملكة المصرية. رغم ظروف اعتقاله في تلك الفترة. ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على العالمية سنة ١٩٥٢-١٩٥٣ م، وكان ترتيبه الأول بين زملائه وعددهم مائة وثمانون. ثم حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٤ م وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليات الثلاث بالأزهر، وعددهم خمس مائة. وفي سنة ١٩٥٨ حصل على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب. وفي سنة ١٩٦٠ م حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين. وفي سنة ١٩٧٣ م حصل على (الدكتوراة) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية، عن: 'الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية'.

كما حاول يوسف القرضاوي أن تكون حياته لخدمة الإسلام اهتم بجميع المجالات التي تتعلق بالإسلام مثل مجال التأليف العلمي ومجال الدعوة والتوجيه ومجال الفقه الفتوى مجال المؤتمرات والندوات ومجال الزيات والمحاضرات ومجال المشاركات في عضوية المجالس والمؤسسات ومجال الإقتصاد الإسلامي ومجال العمل الاجتماعي ومجال ترشيد الصحوة ومجال العمل الحركي والجهادي ولم يترك مجالاً واحداً.

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدائها، كلية فاروق، كبرالا

## مفهوم في مسرحية عالم وطاغية

مسرحية عالم وطاغية مسرحية جديدة قديمة، جديدة في صورتها وقديمة في موضوعها. يقول يوسف القرضاوي: "فقد كنت كتبها بشكل آخر منذ سبعة عشر عاما، وقدر لها أن تمثل وأن تلقى نجاحا وقبولاً حسناً، ثم قدر لها أن تضيق مني فلا أجدها. وهنا تعود بي الذاكرة إلى سنة ١٩٤٩، إذ كنت أحد الطلاب الذين اختطفهم "كلاب الصيد" وألقت بنا في بطون المعتقلات ما بين "هاكستيب" و"جبل الطور" من أراضي مصر، وما نعموا منا إلا أننا ندعو إلى الإسلام الصحيح: ديننا ودولة، عبادة وقيادة، صلاة وجهاد، مصحفاً وسيفاً".<sup>١</sup>

يضيف يوسف القرضاوي: "كنت أقرأ في كتبه الأدب والتاريخ، فكان مما راقني وأثر في نفسي موقف سعيد ابن جبير العالم الفقيه الشجاع، من الطاغية المتجبر الحجاج بن يوسف. وكان لي شغف بالأدب المسرحي حينذاك، حتى أنني ألقت وأنا طالب بالصف الأول الثانوي مسرحية شعرية، عنوانها يوسف الصديق. لهذا رأيت قصة سعيد مع الحجاج صالحة لأن تكون مسرحية ذات هدف ورسالة، وخاصة أننا كنا نصارع طغيان الحجاج، فما أحوجنا إلى مواقف كموقف سعيد!! وكتبت المسرحية، ومثلت في معتقل الطور.. وضاعت أخيراً. واليوم يعيد التاريخ نفسه، وتكرر المأساة، ويتجدد الطغيان الاضطهاد لحملة الدعوة الإسلامية، ولكن بصورة أعنف وأقسى، وأشد ضراوة ووحشية، وتبرز مواقف كمواقف سعيد في مواجهة طغيان أخيب وأعتى وأشد كفراً من طغيان الحجاج. ومن هنا وجدت الدافع الذي دفعني إلى كتابتها بالأمس، لا يزال قائماً اليوم، بل هو أقوى، وبدأت أكتبها من جديد، مستلهما تاريخ تلك الحقبة الغنية بالبطولات والمواقف الرائعة إلى جوار ما حفلت به من مظالم، وما طفحت به من تجبر وطغيان، ومستهدياً بشخصية سعيد بن جبير، وما عرف به من علم وإيمان وشجاعة وثبات، سجلتها لنا كتب الأدب والتاريخ والرجال".<sup>٢</sup>

المنظر الأول هو مدينة واسط بالعراق وقد اختطها الحجاج بين الكوفة والبصرة. نرى حجاج بن يوسف قاعداً في مجلسه ويحيطه أعوانه وكان حجاج بن يوسف عاملاً في العراق من الدولة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان وهو كان يشرف ويحكم سيجستان والعراق وغيرها من الأمصار والدولة الإسلامية. وهو من أحد القواد المعروف في القسوة والفرعونية. وهذه الجلسة هي بعيد فتنة ابن الأشعث التي نشبت على أيدي ابن الأشعث في العراق حيث انضم إليه كثير من الفقهاء والعلماء ولكن حجاج بن يوسف أحمد نار هذه الثورة في صورة قاسية وأنه خوف الناس بالأقوال والأفعال. وهو الذي قال أثناء خطبته في مسجد الكوفة "إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها". وقد خاف الناس كلهم

<sup>١</sup> يوسف القرضاوي، عالم وطاغية (المقدمة)، دار الإرشاد، لبنان، ١٩٦٨.

<sup>٢</sup> المصدر السابق

لما صعد حجاج بن يوسف المنبر مسدلاً عمامته أمام وجهه ورفع غطاء وجهه بعدما استقام على المنبر وقال هذا البيت وانه كان خطيباً مسقماً استعمل علم النفس خلال ألقائه الفصيحة<sup>١</sup>. ان مسرحية من ثلاثة فصول، جديدة في صورتها، قديمة في موضوعها، إذ تعرض هذه المسرحية لحادثة حصلت في العهد الأموي بين عالم وهو سعيد بن جبير، وطاغية وهو الحجاج بن يوسف الثقفي والتي كان في نهايتها أن قتل الحجاج سعيد بن جبير وبعد ذلك بأيام مات الحجاج<sup>٢</sup>. وفي المنظر الأول من فصل الأول نراه يثني حاشية الحجاج على مهارته وأفعاله العجيبة في ميدان الحرب. حيث يقول له أحد الحاشية هنيئاً لك أيها الأمير ما أحرزت من نصر على أعداء أمير المؤمنين وأعدائك ويقول آخر أن العراق كله يتحدث عما أيد الله به الخليفة على يدك وعن هزيمة الفاتن المفتون ابن الأشعث وأنصاره المخذولين فيقول حجاج بن يوسف لأعوانه في زهو وكبرياء عن الفوز الذي أحرز عليه في قتاله ضد ابن الأشعث فقال إنه قد ظن ابن الأشعث أنه بانضمام الفقهاء إليه من أمثال سعيد بن جبير يستطيع أن يكسب المعركة ولكن هيهات هيهات أن سيف الحجاج لا يكسر وجند بني مروان لا يقهر وعند دير الجماجم الخبر اليقين. وقال أحد الحاشية لما سمع حديث الحجاج فقال انه قد حدثه من شهد معركة دير الجماجم كيف عمل سيوف الحجاج في ابن الأشعث واتباعه وكيف تطايرت رؤوسهم وتناثرت أشلائهم فلما حقت عليهم الهزيمة استسلموا للأسر أو للفرار.

وقد قتل حجاج بن يوسف كثيراً من الفقهاء والعلماء من المسلمين الذين انضموا إلى ثورة ابن الأشعث كما أسر كثير منهم بأيدي جنوده. وقد حاول بعض من الأسرى أن ينجوا من سيف الحجاج بالإجابة بكلام ملفوف في محكمة الحجاج فنجوا و أطلق سراحهم ولكن العالم الرباني سعيد بن جبير بطل هذه المسرحية لم يستعد أن يقوم إلى جانب الباطل حتى مثل هذا الموقف المخيف. وانه كان عالماً مشهوراً وإمام الكوفة ومن أئمة التابعين وأقواله بنفسها تسير إلى ثبوته في سبيل الحق عند الشدائد حيث يقول والله لو قطعونا إرباً إرباً حتى تخطفنا وتوزعتنا بطون السباع ما شككنا على إننا على الحق وهم على الباطل. وكان سعيد بن جبير أحد الذين فروا واختفوا ولكن شرطة حجاج بن يوسف قبضوا عليه فيما بعد وحضروا به أمام حجاج بن يوسف ولكن سعيد بن جبير استقر في رأيه فقتله حجاج بن يوسف. نحن نرى سعيد بن جبير في محكمة الحجاج يجيب في صراحة وصرامة لما طلبه الحاكم أن يختار لنفسه حيث سأل أي قتلة تريد فأجاب سعيد بقوله بل اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني إلا قتلك الله بمثلها في الآخرة.

وفي المنظر الأخير نرى نفسية حجاج بن يوسف تتغير حيناً فآخر وقد رأيناه في المناظر الأولى حاكماً طاغياً قاسياً يخمد الثورة بالعنف والشدّة ولكن بعدما حكم في شأن سعيد بن جبير أخذ تتغير

<sup>١</sup> يوسف القرضاوي، عالم وطاقية (المقدمة)، دار الإرشاد، لبنان، ١٩٦٨.

<sup>٢</sup> [https://3arf.org/wiki/%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85\\_%D9%88%D8%B7%D8%A7%D8%BA%D9%8A%D8%A9\\_\(%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8](https://3arf.org/wiki/%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85_%D9%88%D8%B7%D8%A7%D8%BA%D9%8A%D8%A9_(%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8)

نفسه حيث نراه في المنظر الأخير نائما على سريره مستغرقا في نومه وفجأة يفزع فيصيح وقال أنقذوني من سعيد بن جبير أنه يريد يقتلي. ولما سمع غلامه هذه الصيحة جاء إليه وسأل من هو يا سيدي فقال الحجاج إنه هو سعيد بن جبير ولكن الغلام لم يرى أحدا وفهم انه حلم وفي الحقيقة انه خاف من عاقبته حيث انه قتل عالما مشهور وفقهيا ذاع صيته عند العرب وخاصة لما امر الحجاج أعوانه أن يذبح سعيد بن جبير ولما وجده يجيب بالآيات القرآنية لسؤاله وانه هو الذي أمر بقول إذبح عدو الله وما اسرع من لسانه القرآن. فقال سعيد أما أني أشهد أن لا إله إلا الله وان محمد رسوله خذها مني حتى تلقاني يوما لقيامة يا حجاج. وهذه الكلمات يتكرر في نفس حجاج بن يوسف وتخوفه حينما وآخر. وانه يتخيل في نفسه ان سعيد يريد ان يخنقه ويقتله فعامل حجاج بن يوسف في صورة غير عادية ولما رأى الغلام هذه المعاملة من الحجاج يقول سبحانه الله تعز من تشاء وتذل من تشاء وان ذل الحجاج اليوم لبرهان على وجودك وعلى وجود عدلك يا أحكم الحاكمين.

#### الخاتمة

كتب الشيخ العلامة القرضاوي هذه المسرحية أول مره في المعتقل أيام الملك سنة ١٩٤٩ وأعادها كتابتها مرة ثانية بعد خروجه من المعتقل ومصر أيام عبد الناصر. واليوم يعيد التاريخ نفسه، وتكرر المساة، ويتجدد الطغيان والاضطهاد لحملة الدعوة الإسلامية، ولكن بصورة أعنف وأقسى، وأشد ضراوة ووحشية، وتبرز مواقف كمواقف سعيد في مواجهة طغيان أعبث وأعتى وأشد كفرا من طغيان الحجاج. وصفوة الكلام إن حجاج بن يوسف كما نرى في هذه المسرحية حاكم ماهر وقائد قاس قد امتدت الدولة الإسلامية ودام الحكم على يديه ولكن في نهاية المطاف نراه خائفا يخاف عاقبة أمره لأن أفكاره وأحلامه بدأت تخوفه في منامه إلى الأبد.

#### المصادر والمراجع

- يوسف القرضاوي، عالم وطاقية (المقدمة)، دار الارشاد، لبنان، ١٩٦٨.
- <https://www.kotobati.com>
- <https://3arf.org/wiki>
- <https://alfurat.com/books/163496>

## نماذج لمناهج اللغة العربية للناطقين بغيرها دراسة ميدانية

الدكتور / طاهر فايز عبد الحميد عبد العال<sup>١</sup>

### الملخص

جاء الجزء الأول جانب نظري يتناول تعريفات وأسساً ومعايير بناء المنهج وخاصة مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين فيما يخص المحتوى منها، وما يجب مراعاته عند وضع المناهج، والجزء الثاني يعرض تحليلاً للاستبيان الخاص بالمشكلات التي يواجهها معلمو اللغة العربية في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ويقدم الباحث مقترحات وحلولاً لتلك التحديات بناءً على المعطيات من التي جاءت في الجانب النظري ونتائج الاستبيان، مع عرض وتحليل لمحتوى المنهج من مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هما (سلسلة أحب العربية للأطفال الصادرة عن مكتب دول الخليج وموقع الجزيرة لتعليم العربية)

### المقدمة

تتعدد المناهج المقدمة في برامج تعليم اللغة العربية وتتنوع فمنها ما هو مخصص لبرامج معينة كمناهج تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة وتكون للدبلوماسيين مثلاً أو للحرفيين أو للأطباء، ومنها ما يكون خاص بالأطفال فقط، ومنها ما هو خاص بالكبار، وكذلك تختلف في بنائها منها ما تم بناءه للمسلمين الذين يريدون فهم القرآن والسنة النبوية ومنها ما هو لغير المسلمين الذي يركز على المواقف الحياتية والمهارات التواصلية، منها ما هو معد لوارثي اللغة الذين يقيمون في بلاد المهجر، ومنهم ما هو مخصص لتعليمها في المدارس الدولية لغير العرب المقيمين في البلاد العربية. فكل منها له أسسه وأهدافه ومحتواه وطرائقه التي تختلف عن بعضها وأن حملت جميعاً في طياتها الثقافة الإسلامية لأن الثقافة لا يمكن فصلها عن اللغة ولكن تختلف طريقة تناولها وعرضها في المنهج.

إن من أهم مراحل تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها هو اختيار المحتوى المناسب لهم بحيث يشترط فيه مناسبة موضوعاته لحاجات هؤلاء المتعلمين ومراعاة أعمارهم وما يحتاجونه في مثل هذه السن، وكذلك هناك معايير لوضع المحتوى وتأليفه كالاتمرارية والتتابع والتكامل لجميع العناصر؛ لذلك هناك مؤلفات متخصصة في تعليم اللغة العربية وضعت خصيصاً للكبار وكثير من موضوعاتها لا تصلح للصغار والعكس صحيح.

الكلمات المفتاحية: مشكلات - مناهج - غير الناطقين بالعربية - دراسة ميدانية

### مشكلة الدراسة

تظهر مشكلة الدراسة في وجود مشكلات بمناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، حيث تتعدد أغراض وميول الدارسين ولا تراعي بعض المناهج ذلك، وأيضاً ظهور سلاسل غير منقحة وليست

<sup>١</sup> أستاذ، قسم علم اللغة واللغات الإفريقية، كلية الآداب، جامعة أبوجا، نيجيريا

ذات جودة من الناحية اللغوية والتربوية، واستخدام بعضها لغة وسيطة، وتأليف بعضها على أسس غير علمية ومعايير ليست دقيقة، بما يؤثر على سلبا على تحصيل الدارسين، وضياح الوقت، وقلة الإنتاجية، وعدم تحقيق الأهداف المنشودة من تلك المناهج .

#### أهداف البحث

الوقوف على التحديات والصعوبات الموجودة في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها والربط بين هذه المناهج وبين ما يتطلبه التقدم الحادث مع تقديم حلول لها، ومعرفة أسس بناء هذه المناهج في ضوء الاتجاهات الحديثة والمعايير والأسس العلمية بحيث يسهل عملية تعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

#### أدوات البحث

- جمع المعلومات من خلال الكتب والأبحاث التي قدمت في مثل هذا الموضوع ومناقشة المعلمين والخبراء في المشكلات التي يواجهونها في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وكذلك عمل استبيان لمعرفة قصور المناهج والصعوبات الموجودة بها.

- وكذلك تحليل المحتوى لنمهيجين من مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هما ( سلسلة أحب العربية للأطفال الصادرة عن مكتب دول الخليج وموقع الجزيرة )

#### أسئلة البحث

١ - ما أشهر المناهج المستخدمة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

٢ - ما الأخطاء الواضحة في المناهج المستخدمة؟

٣- ما معايير اختيار المحتوى المناسب لمناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

#### منهج البحث

ينتمي إلى البحوث أو الدراسات الوصفية Descriptive Study التي تهتم بتصوير وتحليل وتقويم خصائص ظاهرة معينة كمياً وكيفياً، وذلك بهدف الحصول على معلومات دقيقة عن الظاهرة، من حيث تركيبها وخصائصها والعوامل المؤثرة فيه<sup>١</sup>. فيعتمد البحث منهج المسح الوصفي للحصول على وصف للمشكلات الموجودة في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بعرض نتائج الاستبيان وتحليل محتوى نموذجين من مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

#### الدراسات السابقة

١. دراسة عز الدين وظيف علي بشير<sup>٢</sup>. (٢٠١٣). التجربة السودانية في تعليم العربية للناطقين بغيرها وتطوير مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. تناول الباحث في المبحث الثاني من هذه

<sup>١</sup> محمد عبد الحميد (٢٠٠٠) "البحث العلمي في الدراسات الإعلامية" (القاهرة: عالم الكتاب)، ص ١٥٣

<sup>٢</sup> عز الدين وظيف علي بشير. (٢٠١٣). التجربة السودانية في تعليم العربية للناطقين بغيرها وتطوير مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. العربية للناطقين بغيرها العدد ١٦ يونيو ٢٠١٣ م صفحة ٤٣

الدراسة تطوير مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وطرح بعض الأسئلة من أهمها ما الوسائل والأساليب والأسس الواجب الالتزام بها عند التخطيط للمنهج وتنفيذه وتقويمه ويشير إلى الأخذ بالحسبان عن تطوير المنهج بالنظر إلى التجارب في تعليم اللغات وخاصة اللغة الإنجليزية في تطوير مناهجها وأشار أيضا لمستويات اللغة التي يمكن أن تستخدم في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى ، وذكر أن تطوير مناهج تعليم العربية يقتضي الإجابة على بعض الأسئلة منها ما هي حاجات المتعلمين وما العوامل السياقية التي يجب اعتبارها عند التخطيط للبرنامج اللغوي وما العوامل التي يتضمنها تخطيط المقرر والوحدات التنظيمية في البرنامج ؟ كما أوصت الدراسة بإعادة النظر في الكتاب الأساسي واستخدام ما استجد من أساليب تقويمية لتقويم مكونات المنهج . وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية في أن دراسة عز الدين عرضت للتجربة السودانية في تعليم العربية للناطقين بغيرها في الجزء الأول من البحث وعرضت في الجزء الثاني لتطوير مناهج تعليم العربية واعتمدت المنهج الوصفي في عرضها للمشكلات، وأيضا ركزت على النظر على أسس بناء المنهج، بينما اعتمدت الدراسة الحالية على استبيان الكتروني وزّع على أكثر من ٤٥ مدرسا وخبرا بمجال تعليم اللغة العربية للتعرف على أهم أسماء المناهج المستخدمة وأهم المشكلات فيها.

٢. الدراسة الثانية لمحمد بوعزي<sup>١</sup>. (٢٠١٦). وهي بعنوان تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها على ضوء عولمة مناهج تعليمية اللغات ثنائية العقد الديدانكتيكي (معلم-متعلم) نموذجا، أراد في هذا البحث معرفة نوعية المناهج اللغوية المراد تطبيقها في المدارس وخلفياتها المتصلة بالعمولة وطرح سؤال هو أي التعديلات نرغبها في النهوض بأعباء المناهج اللغوية في ظل تعدد المعايير؟ وأيضا كيف يمكن الاحتياط من تحدي العمولة الثقافية؟ وقسم العمولة إلى عولمة الثقافة والقيم الاجتماعية، عولمة الصوت والصورة المتمثل في الإعلام وثقافة الأنا والغير في إطار المناهج الجديدة وأشار إلى مرتكزات القيم التربوية عند بناء المناهج اللغوية فيقول إن اللغة العربية هي تعبر عن ضمير الأمة، وأنه يجب أن تدعم هذه المناهج الجديدة وسائل ديدانكتيكية في شكل نشاط مسموع أو مكتوب متمثلة في أجهزة الصورة والصوت والرسومات التوضيحية وتوظيفها بالشكل الصحيح، مراعين الفروق الفردية بين المتعلمين. وأوصى بانتقاء النصوص المناسبة للعرض واستثمار مدارات الاهتمامات في عملية التعلم ومراعاة مبدأ الترابط بين كفاءات المواد الممثلة لفروع اللغة والحرص على استعمالها في التعليم الجديد.

وتختلف هذا الدراسة عن الدراسة الحالية في أنها تركز على شيئين هما تضمين تدريس الثقافة العربية في المناهج المقدمة وكيفية الاستفادة من العمولة بما لا يضر الثقافة وأيضا العلاقة بين المعلم

<sup>١</sup> محمد بوعزي. (٢٠١٦). تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها على ضوء عولمة مناهج تعليمية اللغات ثنائية العقد الديدانكتيكي (معلم-متعلم) نموذجا. جسر المعرفة، ٢(٧)، ١٦٤-١٧٧.



ودور المتعلم في العملية التعليمية... بينما تركز الدراسة الحالية على جميع الجوانب بالبحث عن أهم المشكلات في المنهاج لتقديم حلول لها من خلال دراسة ميدانية وتحليل لمحتوى اثنين منها.  
الدراسة النظرية  
المنهج

التعريف الإجرائي للمنهج كما ذكره دكتور رشدي طعيمة حيث قال " يقصد بمنهج تعليم اللغة العربية كلغة ثانية تنظيم معين يتم عن طريقه تزويد الطلاب بمجموعة من الخبرات المعرفية Cognitive والوجدانية affective والنفوس حركية psychomotor التي تمكنهم من الاتصال باللغة العربية التي تختلف عن لغاتهم وتمكنهم من فهم ثقافتهم وممارسة أوجه النشاط اللازمة داخل المعهد التعليمي أو خارجه وذلك تحت إشراف هذا المعهد".

#### تعريف المحتوى Content

هو عنصر أساسي من عناصر المنهج الدراسي بل هو صلب العملية التعليمية إذا يشمل كافة الخبرات التي تقدمها المؤسسة للطلاب. وهو كل الحقائق والخبرات والقيم والاتجاهات والمهارات المعرفية والنفسية والاجتماعية واللغوية التي تدرس للمتعلمين بهدف تعليمهم إياها وتحقيق النمو الشامل المتكامل في ضوء الأهداف المقررة في المنهج.  
ومن معايير المحتوى الجيد ما يلي:

التكامل Integration : وهو من معايير تنظم المحتوى التي تشمل الاستمرارية والتتابع والتكامل يقصد به العلاقة الأفقية بين الخبرات حيث يكمل كل منها الآخر. فتدريس النطق والكلام لا ينفصل عن تدريس مهارات الاستماع، ولا ينفصل هذان عند تدريس القراءة... إلخ. كما أن تدريس بقية فروع اللغة يمكن أن يراعي مبدأ التكامل بأن تخدم الخبرات في كل فرع زميلاتها في الفرع الآخر. فتكامل في المحتوى يعني تتكامل كل عناصر اللغة ومكوناتها عند تقديمها للمتعلمين مع ربط هذا كله بثقافة اللغة التي تقدم في هذا المحتوى  
أنواع المحتوى

١ - المحتوى المتمركز حول النحو: وهو الذي يقدم المحتوى اللغوي في شكل محاور عامة تدور حول موضوعات القواعد على أساس أن اللغة نظام وتراكيب، وهذا له عيوب كثيرة منها أنه يغفل حاجات الاتصال اللغوي عند الفرد.

<sup>١</sup> رشدي طعيمة ١٩٨٦ المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة أم القرى ، صفحة ١٢٣  
<sup>٢</sup> د. رشدي أحمد طعيمة، د علي مدكور، د إيمان أحمد هريدي (٢٠١٠) المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، دار الفكر، ط ٢٠١٠، ص ٢٢٧، ٢٤٣

٢ - المحتوى المتمركزة حول المواقف Situational Syllabus: وهو الذي يقدم المحتوى اللغوي من خلال مواقف يمارسها الطالب في الفصل وهو يستند إلى ان اللغة ذات ظاهرة اجتماعية نشأت لتحقيق التواصل غير أنه المواقف قد تكون مصطنعة

٣ - المحتوى المتمركز حول الفكرة National Syllabus : يركز على أخذ القدرة الاتصالية كنقطة للبداية فمنهجه : ما الذي ينتقل من معنى عبر اللغة وبذلك يكون محور الاهتمام هو المعنى الذي تحمله اللغة وليس الشكل الذي انتقل من خلاله ولا الموقف الذي دار حوله  
التعريف بالسلسلة: السلسلة موجه للأطفال (من سن ٦: ١١ عام تقريبا) من غير الناطقين بالعربية، مع إمكان تطبيقها

تتكون السلسلة من أربعة مستويات يشتمل كل منها على ثلاثة كتب هي:

١ - كتاب التلميذ ٢ - كتاب التدريبات ٣ - كتاب المعلم

بالإضافة إلى الوسائل السمعية والبصرية التي تتضمن:

١ - البطاقات واللوحات. ٢ - التسجيلات الصوتية.

يذكر "نيوكولاس نيكولاس" معايير لاختيار المحتوى وهي:

١ - معايير الصدق Validity: ويعتبر المحتوى صادقا عندما يكون واقعا وأصيلا وصحيحا

علميا ، فضلا عن تمشيه مع الأهداف الموضوعية

٢ - معيار الأهمية Significance: يعتبر المحتوى مهما عندما يكون ذا قيمة في حياة الطالب ، مع

تغطية الجوانب المختلفة من ميادين المعرفة والقيم والمهارات مهتما بتنمية المهارات العقلية

٣- معيار الميول والاهتمامات Interest: وذلك بأن يكون متماشيا مع اهتمامات الطلاب عندما

يختار على أساس من دراسة هذه الاهتمامات والميول فيعطيها الأولوية دون التضحية بالطبع بما يعتبره مهما لهم

٤ - معيار القابلية للتعليم Learn ability: وذلك عندما يراعي قدرات الطلاب، ويكون متماشيا

مع الفروق الفردية بينهم ، مراعي لمبادئ التدرج في عرض المادة التعليمية

٥- معيار العالمية Universality: يكون المحتوى جيد عندما يشمل أنماطا من التعليم لا تعترف

بالحدود الجغرافية بين البشر<sup>١</sup>

ويضيف آخرون

٦ - أن يكون في المحتوى ما يساعد الطالب على تخطي حواجز الاتصال باللغة الفصحى مترفقا

به في عمليات التصحيح اللغوي لذلك عليك معرفة رصده اللغوي

طرق اختيار المحتوى المناسب

من أكثر الأساليب شيوعا في اختيار محتوى مادة اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى

<sup>١</sup> المرجع السابق ، وطبيعة مرجع. سابق صفحة ٢٠٢

- ١ - المناهج الأخرى: يمكن للمعلم أن يسترشد بمناهج تعليم اللغات الثانية مثل ESL,EFL الانجليزية كلغة ثانية أو كلغة أجنبية مع الأخذ بالاعتبار التفاوت بين اللغتين
- ٢- رأي الخبير: يمكن للمعلم ان يسترشد بأراء الخبراء سواء أكانوا متخصصين في تعليم اللغة العربية أو تربويين أو لغويين وذلك بأن يقدم تصورات للدروس والخبرات التي يريد تدريسها للخبراء لأخذ آرائهم وذلك من خلال Questionnaire, Interview , Seminar
- ٣- المسح Survey: ويقصد بذلك إجراء دراسة ميدانية حول خصائص الدارسين وتعرف ما يناسب محتوى لغوي، كأن نجري دراسة حول الأخطاء اللغوية الشائعة في المستوى الابتدائي ثم نختار موضوعات تساعد على علاج هذه الأخطاء
- ٤- التحليل Analysis: ويقصد بذلك تحليل المواقف التي يحتاجها الطالب فيما للاتصال بالعربية كأن ندرس مواقف الحديث الشفوي أو الكتابة.

الدراسة الميدانية

### القسم الأول الاستبيان

مجتمع وعينة البحث وأدوات جمع البيانات:

يمثل مجتمع الدراسة بجميع الوحدات التي يرغب الباحث في دراستها( )، لكن لكبر حجم مجتمع الدراسة الميدانية، لجأ الباحث إلى أسلوب العينة التي تم سحبها من مجتمع الدراسة لاستيفاء البيانات عبر الاستبيان الإلكتروني، وذلك على النحو التالي:

- مجتمع وعينة الدراسة الميدانية وأداة جمع البيانات:

- يتمثل مجتمع الدراسة الميدانية في معلمي ومدرسي اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتم سحب عينة ممثلة لمجتمع الدراسة ونوعها العينة المتاحة شملت ٤٦ معلما وخبيرا في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في أكثر من دولة عربية وأجنبية .

أما عن أداة جمع البيانات، عبارة عن الاستبيان الإلكتروني الذي وزع على معلمين وخبراء في المجال ، والتي تتضمنت عدداً من الأسئلة المغلقة والمفتوحة بهدف الإجابة عن أسئلة للبحث التي تمثلت في :

١. ما أشهر المناهج المستخدمة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟
٢. ما الأخطاء الواضحة في المناهج المستخدمة؟
٣. هل هذا المناهج المستخدمة هذه تستخدم لغة بسيطة؟
٤. هل المنهج المستخدم يستخدم الصور المساعدة؟
٥. هل المنهج الذي تستخدمه يعتمد على ربط النصوص بتسجيلات مرئية؟

<sup>١</sup> ملخص نتائج الاستبيان الإلكتروني الذي قام به الباحث شهر أكتوبر ٢٠٢١م متاح للاطلاع عليه من هذا الرابط <https://docs.google.com/forms/d/1J2dHxB3lenSyYUFq68GZTGXPigBdMDol4Go9JOyaSnU/edit#respond>

٦. هل المنهج الذي تستخدمه يراعي الترابط بين وحداته؟
٧. هل المنهج الذي تستخدمه يراعي ضبط الكلمات؟
٨. هل المنهج الذي تستخدمه يراعي عرض المحتوى الثقافي العربية؟
٩. هل المنهج الذي تستخدمه اختبارات قبلية ومرحلية ونهائية؟
١٠. هل المنهج الذي تستخدمه يشرح كيفية استخدامه بطريقة سلسلة وسهلة ويربط المحتوى باستراتيجيات تعرضه بطريقة شيقة؟
١١. هل المنهج الذي تستخدمه يقدم نصوص عالمية موجودة في كل اللغات كقصبة سندباد مثلا؟
١٢. هل المنهج الذي تستخدمه يراعي المهارات اللغوية الأربع ( الاستماع – التحدث – القراءة – الكتابة)؟
١٣. المنهج الذي تستخدمه يفصل بين المهارات اللغوية ويفرد دروسا للقواعد؟
١٤. المنهج الذي تستخدمه يشجع الطالب على التفكير الناقد والإبداع؟
١٥. المنهج الذي تستخدمه يراعي الفروق الفردية بين الطلاب في تنوع التدريبات والأنشطة؟

#### نتيجة الاستبيان:

#### المناهج المستخدمة:

عند السؤال عن المناهج التي تستخدم في محتوى تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أكثر من سبع سلاسل مختلفة وجاءت كالتالي:

العربية بين يديك بنسبة ٥٠% أحب العربية بنسبة ١٩,٦% الكتاب الأساسي بنسبة ٦,٥% العربية تجمعا ٨,٦% ، وكل من دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها وتعلم العربية ومفتاح العربية والقراءة الرشيدة والأساس في تعليم اللغة العربية للناطقين بنسبة ٢,٢% .  
الأخطاء الواضحة في المناهج المستخدمة:

أخطاء منهجية جاءت بنسبة ٢٨,٣% تربية جاءت بنسبة ٣٠,٤% ومنهجية جاء بنسبة ٢٨,٣% تؤكد وجود وأخطاء لغوية متمثلة في هجاء الكلمات وأخطاء تركيبية نحوية منها وصرفية وأخطاء أخرى كالتنسيق وغيره بنسبة ٣١%.

#### استخدام اللغة الوسيطة

واستخدام اللغة الوسيطة في المناهج المستخدمة فجاءت نسبة المناهج التي تستخدم اللغة الوسيطة بنسبة ٣٩,١% مقابل ٦٠,٩% من هذه المناهج لا تستخدم لغة وسيطة .

#### استخدام الصور المساعدة:

جاءت النسبة الأكبر من المناهج تستخدم الصور المساعدة في شرح وتوضيح المعني حيث بلغت ٩١,٣% مقابل ٨,٧% للمناهج التي لا تستخدم صورا.

استخدام التسجيلات المسموعة والمرئية وربطها بنصوص المنهج

جاءت نسبة كبيرة من العينة بلغت %٦٣ تؤكد على ربط المناهج المستخدمة بنصوص مسموعة ومرئية، بينما جاءت نسبة الذين أكدوا عدم وجود تسجيلات مسموعة أو مرئية بـ ٣٢,٦، وقالت نسبة وصلت ٢,٢ أنها كانت سمعية فقط .

#### الترابط بين وحدات المحتوى داخل المنهج

جاءت نسبة بـ %٧٣,٩ تؤكد ترابط وحدات المحتوى داخل المنهج الذي يستخدمونه، ونسبة ٢١,٧ % تنفي وجود ترابط بين وحدات محتوى المنهج الذي يستخدمونه. وتقترب من نفس النتيجة التدرج في تقديم المحتوى في المناهج التي تستخدمها العينة.

مراعاة محتوى المنهج للثقافة داخل الدروس:

نسبة %٧٦,١ من العينة أكدت وجود محتوى ثقافي في المناهج المستخدمة، بينما نفت نسبة %١٣ من العينة وجود المحتوى الثقافي في موضوعات المنهج المستخدمة.

وجود الاختبارات القبليّة والمرحليّة والنهائيّة كنوع من التقييم في المناهج المستخدمة:

أكدت نسبة تقرب من %٧٠ على وجود هذه الاختبارات في المناهج المستخدمة، بينما نفى ما يقرب ٣٠ % من العينة وجود اختبارات قبليّة ومرحليّة وبعديّة في المناهج التي يستخدمونها.

استخدام كتاب المعلم للمساعدة على كيفية استخدام المنهج وربط المحتوى باستراتيجيات تعرضه بطريقة شيقة:

أكدت نسبة %٧٨,٣ من العينة وجود مرشد معلم واستراتيجيات واضحة لعرض المنهج بينما نفى وجود ذلك نسبة %٢١,٧ من العينة.

وجود نصوص عالمية موجودة في كل اللغات كقصّة سندباد مثلا في المناهج المستخدمة:

أكد وجود القصص العالمية الموجودة في المناهج المستخدمة ما نسبته %٦٠,٩ من العينة، وعلي النقيض نفت نسبة %٣٧ من العينة وجود مثل هذه القصص في المناهج المستخدمة.

مراعاة المهارات اللغوية الأربع ( الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة):

أكدت النسبة الأكبر من العينة أن المناهج التي يستخدمونها تراعي المهارات اللغوية الأربع

حيث وصلت لـ %٨٧ بينما وصلت نسبة %١٣ من نفوا مراعاة المناهج التي يستخدمونها للمهارات الأربع كاملة.

المنهج الذي تستخدمه يربط الموضوعات والنصوص باستخدام التكنولوجيا والبحث الخارجي :  
ظهر من خلال الاستبيان أن أكثر ٥٦,٥ % من العينة أكدت أن المناهج التي يستخدمونها ترتبط بموضوعاتها باستخدام التكنولوجيا والبحث الخارجي خارج المنهج. بينما أكثر من ٣٩,١ % نفوا وجود رابط بين المحتوى المقدم وبين استخدام التكنولوجيا وربطها بمصادر خارجية.

## مستوى اللغة في المناهج المستخدمة

أكد ما نسبته ٩٣٪ من العينة أن مستوى اللغة في المناهج التي يستخدمونها هي فصحي بسيطة وليست معقدة أو صعبة، بينما أكد ٤,٤٪ من العينة أن مستوى اللغة في المناهج التي يستخدمونها صعب ومعقد جدا ونسبة ٢,٢٪ قالوا أن مستوى اللغة معقد في بعض موضوعات المنهج وليست كلها.

مراعاة الفروق الفردية في وضع التدريبات والأنشطة المختلفة:

أكد المشاركون بنسبة ٧٣,٩٪ على أن المناهج التي يستخدمونها بها تنوع للتدريبات والأنشطة مراعاة للفروق الفردية للطلاب المتعلمين، مقابل ٢١٪ نفوا وجود مثل هذا التنوع والباقيون ذكروا أنه يوجد في بعض الموضوعات وليست كلها.

## القسم الثاني : تحليل المحتوى

١ - موقع الجزيرة من منظور تحليلي

معايير تم الاستناد إليها في تحليل موقع الجزيرة

سهولة الوصول: بالنظر لموقع الجزيرة نجد أنه متاح على الشبكة الدولية بهذا العنوان

(<https://learning.aljazeera.net/ar>)

سهل الوصول إليه طالما توافرت شبكة الانترنت، ونجد أن الموقع ممنوع في بعض الدول كمصر

مثلا لأسباب سياسية.

واجهة الموقع :واجهة الموقع بسيطة وسهلة الاستخدام بها خيارات للغات الأربعة ( العربية،

والإنجليزية ، الفرنسية والتركية)

فتجد زر للقواعد وتشمل قواعد مبسطة للطلبة متدرجة حسب المستويات المختلفة وجاءت

منفصلة.

وزرا آخر للمدونات وهذه تحوي فيديوهات مختلفة تشمل أخبارا وثقافة واقتصاد

وزرا للاختبارات وشمل ثلاثة أنواع هي:

اختبار لتحديد المستوى

اختبار المهارات / المستوى المبتدئ

اختبار المهارات / المستوى المتوسط

اختبار عام في القواعد

وزرا آخر للمنوعات وهو يشمل فيديوهات كثيرة منها خبرات المعلمين في المجال وفيديوهات عن

الثقافة العربية وغيرها.

وآخر للدروس وقسمت للمبتدئ الذي يشمل التمهيدي والمتوسط والمتقدم

<sup>١</sup> طاهر فايز عبد الحميد ودعاء الغواي يوليو ٢٠٢١ بحث شارك في المؤتمر ابن سينا الدولي بعنوان : الوسائل والأساليب الإعلامية التي تخدم تعليم اللغة العربية موقع تعلم العربية بالجزيرة نموذجًا.

## محتوياته اللغوية

نجد أن الموقع متاح ب أربع لغات (العربية، والإنجليزية، الفرنسية والتركية) ويشمل مواد متنوعة ومختلفة بين سمعية ومرئية ومقرؤه .. ويختار محتواه من أجزاء إخباريه متضمنة للثقافة والعربية والاقتصاد.

## قسم الموقع المحتوى إلى مستويات مستوى مبتدأ ومتوسط ومتقدم

الأصوات: جاءت الأصوات متدرجة. وجاءت جميعها في المستوى التمهيدي وشملت ٢٩ فيديو الأول بدأ بعرض الأصوات جميعها ثم كل فيديو لاحق قدم كل حرف بأصواته القصيرة والطويلة وأشكاله داخل الكلمة في أولها ووسطها وآخرها مع بعض المفردات التي تحتوي لهذا الصوت ثم تحت كل فيديو جاء تدريبات متنوعة لقياس تحصيل الطالب في نطق وتعرف شكل الحرف وكذلك حتى كتابته ... وهذه "الأصوات والحروف العربية" سلسلة تعرض الحروف العربية في كلمات وجمل حيّة، وتدرّب المتعلم على نطقها نطقاً سليماً مع الحركات والسكون وحروف المدّ وكتابتها في مختلف أوضاعها. يعدّ هذه السلسلة الدكتور بشار مصطفى الأفيوني الأستاذ بمركز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة قطر، بالتعاون مع الأستاذة ليالي أحمد الدرزي.

## المفردات

المفردات جاءت مرتبة ومناسبة لكل مستوى قدمت فيها جاءت المفردات في المستوى المبتدئ ( اسم - يسكن - بيت - شقة - حالك - جنسية - أسرة - منطقة - عنوان - عطلة - فندق - غرفة - مدرسة - مركز - صف - إلخ ) فجاءت المفردات مناسبة للمستوي وجاءت مترجمة بجانب كل فيديو يحتوي عليها وداخل كل فيديو تجد أن الموقع قام بالتركيز على المفردات الجديد بالتركيز عليها وتقديم صورة توضيحية أحيانا للمفردات المختلفة ومكررة سواء في الفيديو المقدم أو في الأسئلة وخاصة في المستويات الدنيا.

## التركيب

التركيب جاءت خلال الدروس المختلفة بسيطة في المستويات الدنيا كالمبتدئ والمتوسط، ومركبة. وطويلة في المستويات العليا كآخر المتوسط والمتقدم وبراغي الموقع ضبطت الكلمات ليسهل علي الطالب معرفة التركيب ويقدمها في شكل بسيط متدرج :

مثال للتركيب من المستوى (المبتدئ الأدنى) <sup>١</sup>

• أَيْنَ صُورُ أُسْرَتِكَ؟

• هَذَا أَبِي، هُوَ رَجُلٌ طَوِيلٌ وَهُوَ عَامِلٌ فِي مَصْنَعِ سَيَّارَاتٍ.

• وَهَذِهِ أُمِّي هِيَ رَبَّةٌ بَيْتٍ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مُتَعَلِّمَةٌ وَمَاهِرَةٌ فِي الطَّبْخِ.

• هَلْ لَدَيْكَ إِخْوَةٌ أَوْ أَخَوَاتٌ؟

<sup>١</sup> موقع الجزيرة <https://learning.aljazeera.net/ar/lessons/level/beginner> تاريخ الزيارة ٩ يوليو ٢٠٢١ م

• نَعَمْ لَدَيَّ أَخٌ كَبِيرٌ وَأُخْتُ صَغِيرَةٌ.

مثال للتراكيب في المستوى (المتوسط الأدنى) <sup>١</sup>

"وقد أدى المسلمون صلاة عيد الفطر صباح اليوم في معظم أنحاء العالم، وشهد المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، إقبالا كبيرا من المصلين. كما احتشد الفلسطينيون بكثرة للصلاة في المسجد الأقصى في مدينة القدس المحتلة رغم مضايقات الجيش الإسرائيلي".

مثال للتراكيب في المستوى (المتقدم الأدنى) <sup>٢</sup>

أهلا بكم، الناس في بيوتهم والحيوانات البرية في الشوارع، تبادل أدوار كان يمكن أن يحدث فقط في فيلم للخيال العلمي، لكن الصور المتداولة على الشاشات وفي مواقع التواصل تؤكد أن تغيرات مدهشة تحدث هذه الأيام على الكوكب الأزرق.

نلاحظ في تقديمهم لهذه النصوص المختلفة نجد أن الموقع يقدم فيديو مصورا يحتوي على النص كاملا وهذا يعطي نموذجا للنطق الصحيح ويساعد في توشيح المعني للمستمع ثم لقارئ النص.

#### الأساليب

اهتم موقع الجزيرة بتقديم الأساليب الخبرية المتمثلة في الجمل البسيطة الإخبارية كهذا أبي والأساليب الإنشائية كالاستفهام والتعجب والأمر والتمني والرجاء وقد خصص الموقع في كثير من الدروس بعض التعبيرات مع ترجمة لها ومثال ذلك:

مثال للتراكيب في المستوى (المتقدم الأدنى) <sup>٣</sup>

وذكر في أحد الدروس. قصة حكاية الأحذب المغني من كتاب ألف ليلة وقال الملك: والله إن هذا لشيء عَجَاب! ما رأيت في حياتي ولا سمعت أعرب من هذا. وأمر أن تكتب قصة الأحذب وما جرى له بماء الذهب! وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح!

#### التدريبات

جاءت التدريبات شيقة ومتنوعة وشاملة تقوم المهارات اللغوية مثل الاستماع والقراءة والكلام وتنوعت كذلك الأنشطة ونوعية الأسئلة فعادة ما يأتي بخمسة أسئلة وكل سؤال عليه خمسة درجات وتقدم التصحيح بطريقة مباشرة للطالب بعد الانتهاء منها وتوضح له النقاط التي أخطأ فيها باللون الأحمر والصحيح باللون الأخضر.

مثال لتدريب الاستماع

<sup>١</sup> موقع الجزيرة <https://learning.aljazeera.net/ar/node/20241> تاريخ الزيارة ٩ يوليو ٢٠٢١ م

<sup>٢</sup> موقع الجزيرة <https://learning.aljazeera.net/ar/node/21716> تاريخ الزيارة ٩ يوليو ٢٠٢١ م

<sup>٣</sup> موقع الجزيرة <https://learning.aljazeera.net/ar/node/19769> تاريخ الزيارة ٩ يوليو ٢٠٢١ م



٢ - سلسلة أحب العربية الصادر عن مكتب دول الخليج

تتكون السلسلة من أربعة مستويات يشتمل كل منها على ثلاثة كتب هي:

١ - كتاب التلميذ ٢ - كتاب التدريبات ٣ - كتاب المعلم

بالإضافة إلى الوسائل السمعية والبصرية التي تتضمن:

١ - البطاقات واللوحات. ٢ - التسجيلات الصوتية.

تعتمد هذه السلسلة على اللغة العربية الفصحى دون لغة وسيطة، وتندرج هذه السلسلة من المستوى التمهيدي إلى المستوى المتقدم ، وكما ذكر في كتاب المعلم وهو الكتاب المرشد لهذه السلسلة أنها تستخدم أساليب متنوعة بحيث تجعل الدرس مشوقا للطفل مثل : القصص والأناشيد والأغاني والحوارات والألعاب اللغوية والتسلية الوظيفية التي ترمي إلى دوافع التلاميذ وحاجاتهم كما تستغل ميل الأطفال إلى الرسم والتلوين والعمل الجماعي وهذا كله متضمن في تدريبات الكتاب وأنشطته وجزء منها في كتاب المعلم، حيث تحتوي السلسلة على تدريبات لغوية مختلفة تلائم الأطفال وتهتم كذلك بالتدريبات التي تركز على النشاط الحركي والعقلي حيث يتطلب تنفيذها وجود فرد واحد أو اثنين أو مجموعة .

تتناول السلسلة المهارات اللغوية الأربع من استماع وكلام وقراءة وكتابة بطريقة تكاملية ومتوازنة مع التركيز على الكلام وفهم المسموع في الكتب الأولى، ثم التركيز على القراءة والكتاب في الكتب التي تلي الكتب الأولى من السلسلة وذلك من خلال التكامل بين المهارات الأربع دون تجاهل أي واحدة منها في جميع كتب السلسلة.

الأصوات تقدم السلسلة الأصوات في سلاسة بظواهرها الخاصة وتراعي فيها التدرج.. المفردات يقدم الكتاب بالمفردات تابع للنص المقدم مرفقة بصور توضح معناه تدور جميعها في مفردات معجم الطفل أو المفردات التي يمكن أن يستخدمه الطفل في مواقف الحياة المختلفة سواء في البيت أو في المدرسة أو في الشارع أو مع أصدقائه في الملعب أو في المطعم... إلخ

التراكيب جاءت التراكيب بسيط ويتبع المؤلفون في تقديمهم لهذا التراكيب التبسيط والتدرج من البسيط إلى المركب ويذكر المؤلفون أن التراكيب روعي فيه التدرج والشيوخ من كتاب إلى كتاب ومن درس إلى آخر.

التقويم: يشتمل كل كتاب من كتب السلسلة على أنواع مختلفة من التقويم وقياس تقدم التلاميذ في تعلم اللغة و يأتي الاختبار بعد كل وحدة تعليمية..

وفي نهاية كل كتاب تأتي قائمة بالمفردات التي وردت في جميع دروس الكتاب مرتبة ترتيبا ألفبائيا، كذلك يحتوي الكتاب الأول والثاني على قاموس مصور في نهاية كل منهما، ووي يشتمل على الكلمات الحسية التي جاءت في الدروس" حتى تبقى معانيها حية في ذاكرة التلميذ وليعود إليها إذا أشكل عليه شيء

<sup>١</sup> محمود إسماعيل صيني، وناصف مصطفى عبد العزيز، ومختار الطاهر حسين، كتاب أحب العربية ، من كتاب المعلم الثالث الطبعة الرابعة ص

وهو بعيد عن المعلم. تتابع وتستمر وتتكامل مهارات اللغة في المراحل المختلفة لهذه السلسلة وتستخدم الصورة بكثرة التي تساعد في توصيل المعلومة للطفل بشكل مبسط، وتساعد التلميذ على التفكير والتعبير باللغة العربية دون لغة وسيطة<sup>١</sup>.

مشكلات مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

من مشكلات مناهج تعليم اللغة العربية استنادا على نتائج الاستبيان وتحليل المحتوى لمنهجين من مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هما " سلسلة أحب العربية " وموقع الجزيرة لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية.

١. هناك بعض المناهج تم إعدادها غير مراعية لميول واتجاهات طلاب معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها.
٢. بعض المناهج بها أخطاء منهجية ولغوية وتربوية.
٣. بعض المناهج التي ذكرت تستخدم لغة وسيطة ككتاب Gateway to Arabic مفتاح العربية وموقع الجزيرة.
٤. بعض المناهج لا تراعي ترتيب وحدات المنهج ولا تنوع التدريبات
٥. بعض المناهج يركز فقط على مهارتي القراءة والكتابة أكثر من الاستماع والتحدث.
٦. بعض المناهج يستخدم لغة صعبة معقدة لا تراعى مستوى الدارسين.
٧. بعض المناهج لا يربط النصوص والدروس.
٨. بعض المناهج لا يضمن الوحدات قصصا عالمية موجودة في اللغات الأخرى.
٩. بعض المناهج لا يهتم بالمحتوى الثقافي في محتواه.

#### الخاتمة

مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين كثيرة ولكنها مازالت تحتاج إلى جهد كبير من المختصين في هذا المجال لتنقيحها وتقديمها في صورة حديثة قائمة على أسس علمية مواكبة للقرن الحادي والعشرين وتحدياته ومتطلباته، حيث يتطلب الأمر إعطاء مجال للمعلمين أن يبدوا آراءهم ويقدموا تغذية راجعة على المناهج التي تقدم من أجل تطويرها وتحسينها في ضوء المعايير المطلوبة التي تجعل من مناهج تعليم اللغة العربية مناهج متميزة مواكبة لهذا التقدم الحادث.

فمن خلال الوقوف على هذه المشكلات التي ظهرت من خلال الاستبيان وآراء المعلمين والخبراء

يوصى بالآتي:

١. وضع معايير عالمية لبناء مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ويقوم بهذا التربويين ومتخصصين في المجال.
٢. عمل دراسات وتحليل محتوى للمناهج الموجودة لتقويمها.

<sup>١</sup> المرجع السابق ص د، هـ.

٣. مراجعة السلاسل التعليمية ومحتواتها مراجع لغوية على أكثر من لجنة مراجعة.
٤. عند تأليف المناهج لابد من الاستعانة بخبراء في المجال لغويين وتربويين.
٥. عرض السلاسل المؤلفة لتعليم اللغة العربية على خبراء تربويين للمراجعة المنهجية والتربوية.
٦. من الواجب والجيد تجريب وعرض المنهج للتجريب أولاً على عينات مختلفة من الطلاب قبل الشروع في نشر وتعميم المنهج المراد تدريسه.
٧. مراعاة وضع المناهج التي تقوم على أسس تربوية تراعي أعمار الطلاب وميولهم وهدفهم من دراسة هذا المنهج.

### المصادر والمراجع

- موقع الجزيرة <https://learning.aljazeera.net/ar/node/19769> تاريخ الزيارة ٩ يوليو ٢٠٢١
- محمود إسماعيل صيني، وناصر مصطفى عبد العزيز، ومختار الطاهر حسين، كتاب أحب العربية ، من كتاب المعلم الثالث الطبعة الرابعة ص. د ، ه
- موقع الجزيرة <https://learning.aljazeera.net/ar/lessons/level/beginner> تاريخ الزيارة ٩ يوليو ٢٠٢١ م
- موقع الجزيرة <https://learning.aljazeera.net/ar/node/20241> تاريخ الزيارة ٩ يوليو ٢٠٢١ م
- موقع الجزيرة <https://learning.aljazeera.net/ar/node/21716> تاريخ الزيارة ٩ يوليو ٢٠٢١ م
- طاهر فايز عبد الحميد ودعاء الغوايبي يوليو ٢٠٢١ بحث مشارك في المؤتمر ابن سينا الدولي بعنوان : الوسائل والأساليب الإعلامية التي تخدم تعليم اللغة العربية موقع تعلم العربية بالجزيرة نموذجاً.
- رشدي طعيمة ١٩٨٦ المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة أم القرى
- عز الدين وظيف علي بشير. (٢٠١٣). التجربة السودانية في تعليم العربية للناطقين بغيرها وتطوير مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. العربية للناطقين بغيرها العدد ١٦ يونيو ٢٠١٣
- محمد بوعزي. (٢٠١٦). تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها على ضوء عولمة مناهج تعليمية اللغات ثنائية العقد الديدكياتيكي (معلم-متعلم) نموذجاً. جسر المعرفة
- محمد عبد الحميد (٢٠٠٠) "البحث العلمي في الدراسات الإعلامية" (القاهرة: عالم الكتاب)، ص ١٥٣

## أدب الرعب: نشأته وتطوره

السيدة/ محسنة. وي<sup>١</sup>الدكتور/ عباس. كي. بي<sup>٢</sup>

## الملخص

إن أدب الرعب مفهوم قديم للغاية في جميع حضارات الإنسان، حيث يعتبر الخوف عاطفة أساسية وثابتة في نفوس البشر. نشأت هذه الأدبيات من الأساطير والاعتقادات الدينية والحكايات الخرافية. وتعتبر الثقافة العربية جزءاً رئيسياً من هذا العالم، حيث لها جذور أصيلة تشهد على إنجازات حضارية هائلة وفكر ثقيل استمرت طوال حياتهم القبلية. وتشمل هذه القصص شخصيات ذات ظل أسود وأماكن مرعبة وأزماناً مدهشة ومحاوراً مخيفة. التراث العربي مليء بالقصص المثيرة حول عالم السحر والجن والخرافات والقصص الخارقة للطبيعة، سواء في القصص الشعبية الموروثة أو في كتب "ألف ليلة وليلة" و"الحكايات العجيبة والأخبار المثيرة"، التي تعتبر من أفضل ما قدمته المكتبة العربية. هذه الورقة تدور حول نشأة الرعب العربي وتطوره على مر العصور.

## بداية الرعب أدباً

الخوف هو شعور طبيعي وغريزي يشعر به الإنسان عند تعرضه لمواقف معينة تثير الشكوك حولها أو تكون مغلوقة بالغموض. انطلاقاً من هذا الشعور، ظهرت الأساطير منذ القدم، حيث حاول الإنسان تفسيرها وتحويلها إلى حكايات وكتب، لكنه ظل محتفظاً بإطارها الأسطوري. عبر الإنسان عن مشاعره من خلال الكتابة، وأصبحت كتابة الرعب نوعاً من الأدب المنتشر حول العالم، ونوعاً خاصاً ومستقلاً يسمى أدب الرعب. هذا النوع الذي نال الكثير من الاهتمام والتشجيع أصبح له شعبية كبيرة في الآونة الأخيرة. وفي ظل التحضير لأعياد "الهالوين" الغربية والاحتفال بالأشكال المرعبة والتي تثير الخوف في النفوس، لم تخل الأساطير الشرقية التراثية من الشخصيات المرعبة والشريرة.

موضة أدب الرعب أو أدب الإثارة والتشويق ضاربة بجذورها في تاريخ الحكايات الأدبية، منذ العصور الفرعونية وهناك قصص الإثارة والتشويق فهناك قصة "البحار الغريق"<sup>٣</sup> وقصة "ستنا ولعنة الكنز" و"قصة رادوبيس"<sup>٤</sup> و"الفلاح الفصيح"<sup>٥</sup> وغيرها من القصص التي تحفظها النقوش الفرعونية. وهناك من الأدب المكتوب ما يفوق التصور فحكايات "ألف ليلة وليلة" مثال حي عن أدب الإثارة والتشويق مستقى منه، حالياً، العديد من الروايات العربية والعالمية. وليست حكايات الجدات عن "أمن الغولة" و"أبو رجل مسلوخة" وغيرها من المسميات المرعبة بعيدة عن حالة أدب الرعب والإثارة والتشويق.

<sup>١</sup> باحثة، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية آدابها، كلية فاروق، كيرالا

<sup>٢</sup> أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية آدابها، كلية الفاروق، كيرالا

<sup>٣</sup> قصة من أبرز القصص الخيالية التي تحمل الحديث حول البحار والفرق فيه.

<sup>٤</sup> قصة سيندريللا الخيالية العربية

<sup>٥</sup> قصة مصرية قديمة عن فلاح يدعى "خن أنوب".

## الرعب والحكايات الشعبية العربية

تروى الحكايات الشعبية في العادة لأغراض إمتاعية، وقد تتقاطع مع أغراض أخرى، كالوعظ مثلا، لكن ثمة خط من هذه الحكايات يمكن إدراجه تحت فئة حكايات (الرعب)؛ حيث يسعى هذا النوع إلى الإستمتاع من خلال تحريك مشاعر الخوف عند المتلقي، غير أن هذا الخوف إيجابي؛ فهو يمثل الصلة الأولى بين هذه الحكاية ومتلقيها، عدا عن كونه خوفا مقصودا؛ فالرعب هو أحد عوامل الجذب التي يستخدمها السارد للحفاظ على انتباه المتلقي، وهو شعور غير مقبول في الحياة الواقعية. إلا أنه يتحرك في النص الإبداعي في دائرة (المخيف الجاذب)؛ أي الشعور المتعارض بين الرفض والانجذاب إليه في آن واحد، لغرابته، أو لغموضه، أو لكسره المحرمات الدينية والاجتماعية على سبيل المثال. ويتولد هذا الشعور من خلال عناصر أو أشكال أو بنيات سردية مختلفة، منها الواقعي، كسيناريوهات القتل والجريمة، ومنها الخيالي، والمثال الأبرز عليه هو حضور الجن واشتباكه مع البشر في هذه الحكايات. إن ثيمات الرعب الواردة في الحكايات الشعبية هي أكل لحوم البشر، ومصص الدماء، وحضور الجن، والقتل، والموت السحري، وحديث الأموات.

## أبرز أعمال الخيالية الرعبية العربية القديمة

## ألف ليلة وليلة

هي مجموعة من الحكايات العربية الخيالية التي نشأت في ليالي الزواج للملك شهریار وزوجته شهرزاد بسبب خيانة حدثت عليه من قبل زوجته<sup>١</sup> بعد أن عزم الملك على الانتقام من سائر النساء بزواجهن وقتلهن في أيام متتالية، تقوم شهرزاد بإلهام خيالها وتحكي أجمل القصص التي تتنوع بين الشخصيات العجيبة، مثل الجن والسلاطين والقردة وغيرها من الكائنات الغريبة. زاد شوق الملك وسحرته هذه الحكايات الرائعة. تتجلى في هذه القصص خيال الرعب بأبهى صوره، مما يعكس مستوى المجتمع والزمان السائد في تلك الفترة. تتضمن هذه القصص ظهور المنازل المسكونة بالليالي، حيث تحكي عن الجن والشياطين، وتظهر المخلوقات الخارقة للطبيعة، وتصوّر الغول، بالإضافة إلى وجود مدينة مخيفة تحتلها التماثيل والقلاع والمقابر، مما يجعلها رموزا للخوف في هذه القصص.

اعتمد الكتاب في ربط عدة حكايات ضمن سياق القصة على أسلوب التكرار والتجسيد الدرامي. استخدم النمط الأخلاقي الذي نشرته الديانات السماوية للفوز بتأييد المتلقي، وذلك من خلال إدانة الجلاذ بشكل متزايد. اعتمد الكتاب أسلوب السرد في الماضي، باستخدام بادئة "يحكي" تعقبها "والله أعلم بغيبه وأحكام" ببراعة أدبية ملفتة، للتخلص من تأثير نقل النص وسنده ومتمنه. اعتمد السرد على التجسيد أو التصوير الدرامي، حيث وضع الجلاذ والضحية أمام المتلقي (شهریار) ليحكم بنفسه أيضا. وبهذا، تمكن الكتاب من التحرر من عقده السوداوية تجاه النساء.

<sup>١</sup> ألف ليلة وليلة، مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة، مجلد ١، ص: ٣٤.

## الشخصيات المرعبة الشريرة

## ١. الساحر في قصة مصباح علاء الدين

الشخصية التي تظاهرت بأنها الطيب أمام علاء الدين وادعت أنها عمه، ووعدت بمساعدته ليصبح تاجراً ثرياً، كانت مجرد واجهة للطيبة أمام علاء الدين. كان الهدف الرئيسي هو إقناعه بالدخول إلى الكهف المليء بالمخاطر لاستخراج المصباح السحري. لكن عندما رفض علاء الدين تسليم المصباح، كشفت شخصيته الحقيقية وأظهرت وجهه الحقيقي. قررت إغلاق الكهف عليه والهروب بدون تحقيق وعدها.<sup>١</sup>

## ٢. شقيق الساحر

الشخص الذي تقمص دور امرأة عجوز للتلاعب بعلاء الدين وسرقة المصباح، كان أشد شراً من أخيه. قام بتنفيذ هذا الخدعة للانتقام من علاء الدين. ومع ذلك، استطاع علاء الدين اكتشاف هذا الخدعة وقتله بمساعدة الجني.

## ٣. الجار الشرير بقصة علي بابا والأربعين حرامي

يبدأ القصة عندما يكتشف الحطاب الفقير، علي بابا، بصدفة كنزاً مخبئاً في مغارة وضعها فيها أربعون لصاً. يتوجب على هؤلاء اللصوص العثور على الشخص الذي سرق كنزهم، فيقومون بطلب المساعدة من الجار الشرير، الذي يخبرهم بأنه يعلم مكان علي بابا. تقوم اللصوص بإرسال جاسوس ليتعرف على موقع منزل علي بابا ويضع علامة ليعرفوا مكانه ويتمكنوا من قتله ليلاً. ومع ذلك، تكون زوجة علي بابا، مرجانة، ذكية وتنتبه إلى المؤامرة. تقوم مرجانة بمسح العلامة التي وضعها الجاسوس على باب منزلهم وتنقلها إلى باب جارهم الشرير.<sup>٢</sup>

## ٤. مسرور السيف

هو سيف الحاكم شهريار، وكان دوره أن يقوم بذبح جارية جديدة كل يوم من جواري شهريار. كان يقوم بجمع "مسرور"، حيث يُقتل النساء بأمر من الملك. يشبه تاريخياً بعض الناس هذا السيف بسيف الخليفة هارون الرشيد.<sup>٣</sup>

## ٥. أبو قير

الصباغ الشرير كان يسعى لقتل الحلاق الطيب، أبو بصير، وكان يحيك له المكائد. حتى أن الملك الأوروبي أمر بقتل الحلاق الطيب، ولكن في النهاية، يكتشف الحقيقة ويُقتل الصباغ الشرير، أبو قير.<sup>٤</sup>

<sup>١</sup>. ألف ليلة وليلة، مكتبة الجمهور العربية، القاهرة، مجلد ١، ص: ٢٦٢.

<sup>٢</sup>. نفس المصدر، ص: ٣٢٠.

<sup>٣</sup>. نفس المصدر، ص: ٦٧٠.

<sup>٤</sup>. نفس المصدر، ص: ٦٩٠.

استخدمت شهرزاد الأرواح الشريرة كأداة في العديد من القصص، في محاولة منها للمسك بمشاعر وحواس المتلقي، شهريار، وترويضه، وإيصاله إلى القيم الأخلاقية، مثل العدالة في دعم المظلوم والضحية. قامت شهرزاد بنجاح في إيصال رسالتها الإنسانية النبيلة في الدفاع عن المرأة، وإخراجه من هلوسة التعميم، حيث لا يمكن اعتبار كل النساء خائنات. لقد كان لكتاب "ألف ليلة وليلة" السبق في استخدام أدب الرعب.

### السيرة الهلالية

السيرة الهلالية هي أكبر ملحمة عربية مسجلة شعرياً، تتألف من حوالي مليون بيت شعر. تروي السيرة قصة هجرة بني هلال، متابعة حكايات الأبطال الملحميين، وأبرزها هو السيرة الهلالية التي تحكي قصة سيرة وهجرة بني هلال، مستعرضة قصص أبرز أفراد العائلة، مثل أبو زيد الهلالي وأخته شيخة، والأمير ذياب بن غانم الهلالي. تتميز روايات السيرة الهلالية بتنوعها كنص شعبي بين المدون والشفاهي، حيث تظهر هذه التنوعات في الأداء الجنوبي والشمالي في مصر، وتعدد الأداءات داخل مصر وخارجها، سواء على الصعيدين العربي والأفريقي. يتيح هذا التنوع والثراء الأدائي بين المدون والشفاهي، أو بين الشفاهي والشفاهي، السيرة الهلالية تتمتع بخصوبة وثراء في تجاوب الجماهير معها. وتمتلك هذه السيرة جذوراً عميقة في أدب الشعب المصري، مصقولة من خلال قصص شعرية ممزوجة بأحداث ذات طابع رعي.

### سيرة عنتر بن شداد

عنتر بن شداد، الشاعر العربي، يجمع بين السيف والقلم، ويُعتبر من أعظم شعراء العرب. حتى إن أحد أشهر شعراء العرب، المتنبي، توفي مقاتلاً بسيفه على ظهر فرسه، كان شاعراً وفارساً. ومن بين أشهر شعراء العرب وأقوى فرسانهم، يتبوأ العبد الأسود أبو الفوارس عنتر مكانة مرموقة. تُروى سيرته قصة حبه الشهيرة مع ابنة عمته عبلة، ومغامراته التي سعى من خلالها لنيل حريته وتحقيقه للسيادة بعد أن كان عبداً. تتضمن سيرته هذا التراث العربي الغني عدة أحداث فروسية وفراسة، وتحمل في أعماقها فضول القصص الرعبية بين الغزوات والمعارك، مما يمثل جزءاً من تراث الأدب العربي الشامل.<sup>٢</sup>

### سيرة الملك سيف بن ذي يزن

تحدث عن قصة خيالية تتناول سيرة الملك سيف بن ذي يزن ومغامراته ضد الحبشة وتفاعلاته مع المخلوقات الخارقة، مع التركيز على أصله الجني (حيث أمه وأخته من الجن) ودوره كملك للجن والإنس. هذا النوع من القصص يمزج بين العناصر التقليدية في الأساطير العربية وعناصر الخيال والfantasy. يُعتبر هذا التنوع في السرد جزءاً من التراث الثقافي والأدبي العربي الغني والمتنوع.<sup>٣</sup>

١. الأبنودي، عبد الرحمن، السيرة الهلالية، دار اطلس للنشر، ١٩٨٨، ص: ٢٢.

٢. الأضمعي، أبو سعيد، الأصعبات، دار الرفوف، ١٩٧٨، ص: ٣٢.

٣. نفس المصدر، ص: ١٤٥.

## جلجامش

ملحمة جلجامش هي واحدة من أعظم الأعمال الأدبية في التاريخ، وتُنسب عادة إلى شين نيقني ثونيي. يُعتبر هذا العمل من أقدم النصوص الأدبية المعروفة، ويُعد أحد أعظم الملاحم التي كتبت على الإطلاق. تروي الملحمة قصة مغامرات الملك جلجامش، الذي لا يُقهر، ويسعى لتحقيق أعمال عظيمة تقوده في نهاية المطاف إلى رحلة بحث عن الخلود. تتميز الملحمة بتنوعها وغناها بالمواضيع، حيث تستكشف موضوعات مثل الحكمة، والبحث عن الخلود، والشجاعة، والصداقة. تعكس قصة جلجامش تجارب الإنسانية الجوهرية والبحث الدائم عن معاني الحياة والخلود.

## الشاهنامة

الشاهنامة هي ملحمة فارسية كتبها الشاعر الفارسي الكبير فردوسي، وتُعتبر أحد أعظم الأعمال الأدبية في اللغة الفارسية وفي التاريخ العالمي بشكل عام. تمتد الشاهنامة على عدة آلاف من الأبيات الشعرية، وتروي تاريخ فارس من العهود الأسطورية حتى الفترة الإسلامية. تُعتبر هذه الملحمة مصدرًا هامًا لفهم التاريخ والثقافة الفارسية.<sup>١</sup>

## كتاب الموتى

الكتاب الذي تشير إليه هو "كتاب الأموات"، المعروف أيضًا باسم "كتاب القادمة بالتهار" أو "كتاب الأموات في العالم الآخر". يعتبر هذا الكتاب من أهم النصوص الدينية والفلكلورية في العصور القديمة، وقد كتب في العصور الفرعونية في مصر القديمة. كتاب الأموات يتحدث عن رحلة الميت في العالم الآخر بعد الموت، ويوضح الطقوس والشعائر التي يجب أداؤها لضمان نجاح هذه الرحلة والحصول على الحياة الأبدية. ويعتبر تحوت، الحكيم الفرعوني، مؤلف الكتاب، وهو يعتبر أحد الآلهة المهمة في الديانة المصرية القديمة. الكتاب يشكل جزءًا من الأدب الفرعوني ويظهر الاهتمام البالغ بالحياة بعد الموت والإيمان بالحياة الأبدية في ثقافة مصر القديمة.<sup>٢</sup>

## حي بن يقظان

العمل الذي تشير إليه هو "حي بن يقظان"، وهو رواية فلسفية كتبها ابن طفيل، المفكر الفيلسوف المسلم في القرون الوسطى. تم نشر الرواية في القرن الثاني عشر الميلادي. تتناول الرواية قصة حي، الطفل الذي نشأ بمفرده في جزيرة نائية، في جزيرة منعزلة ليس بها بشر غيره، وتصف رحلته الفلسفية والحياتية. يعتبر العمل استكشافًا لقضايا الفلسفة والحكمة، ويقدم تصويرًا رمزيًا لتجربة الإنسان في البحث عن الحقيقة والفهم الذاتي. حي بن يقظان يعد أحد الأعمال البارزة في التراث الفلسفي العربي وله تأثير كبير على الفكر والأدب في العصور اللاحقة.

<sup>١</sup> الفردوسي، أبو القاسم، الشاهنامة، دار اطلس للنشر، ٢٠٠٣، ص: ٢٣.

<sup>٢</sup> كتاب الموتى الفرعوني موسوعة عالمية، دار المعارف، ١٩٨٨، ص: ٢٥.



## كليلة ودمنة

كليلة ودمنة" هي رواية أدبية كتبها الأديب العربي ابن المقفع، وتُنسب أحياناً إلى الحكيم الهندي بيدبا. الرواية تعد واحدة من أبرز الأعمال في الأدب العربي القديم وتعتبر قصة قصيرة متشابكة تحتوي على عدة حكايات. تدور القصة حول حكيم هندي يدعى بيدبا الذي يكتب كتاباً يتضمن مجموعة من الحكايات. يطلب الملك دبشليم من بيدبا أن يروي له هذه الحكايات باستخدام الحيوانات كشخصيات رئيسية في القصص. يتخذ كل حيوان دوراً يمثل شخصية بشرية معينة، وتتناول الحكايات العديدة من القضايا الأخلاقية والاجتماعية. هذه الرواية قد تأثرت بالتراث الهندي وتقاليد الحكايات الشعبية. وقد ألهمت العديد من الأعمال الأدبية فيما بعد.<sup>١</sup>

## رسالة الغفران

رسالة الغفران من أعظم ما كتب الشاعر الكبير أبو العلاء المعري في سرد رحلة خيالية يخوضها ابن القارح إلى السماء وفيها وصف لأحوال النعيم والسعير.<sup>٢</sup>

## أدب الرعب في عصر الراهن

يعزى التأخر في كتابات أدب الرعب في الأدب العربي إلى تفضيل الروايات الاجتماعية والبوليسية خلال فترة طويلة من القرن العشرين، حيث جذبت انتباه القراء والناقدين ودور النشر. ولكن في التسعينيات من القرن الماضي، قدم الكاتب المصري أحمد خالد توفيق سلسلة 'ما وراء الطبيعة' كأول عمل أدبي للرعب في العالم العربي.<sup>٣</sup> اعتمد في أسلوبه على الإثارة والمفاجأة والغموض، واستمر هذا المسلسل حتى عام ٢٠١٤م.<sup>٤</sup>

أضاف أحمد خالد توفيق روايات أخرى إلى المكتبة العربية مثل "الآن نفتح الصندوق" بأجزائها الثلاثة، و"الآن أفهم" التي كانت من بين أفضل الكتب مبيعاً في عام ٢٠١١. كما كتب أيضاً رواية "مثل إيكاروس" التي تدور أحداثها في العام ٢٠٢٠ حول الشاب محمود السمنودي الذي فشل مراراً في الانتحار. اقتربت الرواية من الأسطورة اليونانية القديمة حول إيكاروس، الذي صنع جناحين من الشمع والريش، ولكن عندما طار في السماء، ذابت أجنحته من الشمس. تم اعتبار هذه الرواية أيضاً من بين أكثر الكتب مبيعاً في عام ٢٠١٥. ويعتبر أحمد خالد توفيق الأب الروحي لأدب الرعب، ليس فقط في مصر، ولكن في العالم العربي بأكمله.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> المقفع، عبد الله، كليلة ودمنة، دار الشروق، ٢٠٠٧، ص: ٣٢

<sup>٢</sup> عبد الرحمن، عائشة، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، دار المعارف، ٢٠٠٩، ص: ٢١

<sup>٣</sup> محيوض، عبد الهادي أحمد. "أحمد خالد توفيق.. عراب أدب 'الرعب' العربي، [www.aljazeera.net/blogs](http://www.aljazeera.net/blogs)

<sup>٤</sup> تلفزيون سوريا. "أدب الرعب العربي.. سلسلة 'www' لأحمد خالد توفيق أنموذجاً، [www.syria.tv](http://www.syria.tv)

<sup>٥</sup> الثقافي، سماح عادل. "أحمد خالد توفيق مصدر أدب الرعب والفانتازيا للمجتمع المصري"، [www.kitabat.com/cultural](http://www.kitabat.com/cultural)

<sup>٦</sup> خلود الفلاح. "هل أدب الرعب إبداع من الدرجة الثانية؟"، [www.alarab.com](http://www.alarab.com)

## التوجه الحالي لأدب الرعب

التوجه الحالي لهذه الموجة الأدبية تجعل موجة رائجة، ولها أسبابها وأهم هذه الأسباب الهروب من الواقع الحالي وذلك بسبب كثير من الضغوط، وأيضاً حينما يجد الأديب المادة الخام للرواية من الواقع المجتمعي المتعايش يبحث عن بدائل خيالية مثيرة، يضاف إلى ذلك تأثير الجمهور واتجاه الذوق العام للمتلقي، وهذا ما حدث ويحدث في المنطقة العربية منذ اندلاع الشرارة الأولى.

### الخاتمة

أدب الرعب العربي نتج عن الأساطير والاعتقادات الدينية والحكايات الخرافية والتي تعتبر جزءاً رئيسياً لدى العرب، ولها جذور أصيلة في حياتهم القبلية بعدة قصص وحكايات سائدة في دائرتهم اليومية. كانت روايات مصرية للجيب إحدى أهم المحطات التكوينية لأدب الرعب في ثقافة معظم المراهقين في العالم العربي. نضج أدب الرعب العربي في التسعينيات من القرن العشرين وأب الروحي لهذا النوع هو د. أحمد خالد توفيق ومصر أسبق إليه وتبعها الدول الخليجية.

### المصادر والمراجع

- ألف ليلة وليلة، مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة.
- عبد العليم، محمد، تاريخ الرعب العربي، دار الكتب للنشر والتوزيع ٢٠٢١.
- عبد الرحمن، عائشة، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، دار المعارف، ٢٠٠٩.
- محيوض، عبد الهادي أحمد. /2019/4/2/ <https://www.aljazeera.net/blogs/2019/4/2/>
- تلفزيون سوريا. "أدب الرعب العربي.. <https://www.syria.tv>
- الثقافي، سماح عادل. أحمد خالد توفيق مصدّر أدب الرعب والفانتازيا للمجتمع المصري. <https://kitabab.com/cultural/> كتابات
- خلود الفلاح. هل أدب الرعب إبداع من الدرجة الثانية. [www.alarab.com](http://www.alarab.com)

## قضية البدون في الروايات الكويتية: روايات ناصر الظفيري أنموذجاً

السيدة/ فيروزة. كي. كي<sup>١</sup>

### الملخص

البدون أو غير محددى الجنسية أو عديمو الجنسية أو حسب تسمية الحكومة الرسمية مقيم بصورة غير قانونية هم فئة سكانية تقيم في الكويت بصورة غير قانونية ولا يحملون الجنسية الكويتية أو جنسية غيرها من الدول. قد تناول كثير من الروائيين الكويتيين عالم المجتمع الكويتي من خلال قضية "البدون" ومن ضمنهم إسماعيل الفهد والكاتبة بثينة العيسى وسعود السنعوسي. ناصر الظفيري روائي كويتي عاش بدونيا حتى الموت وتموضع قضية البدون في رواياته.

هذه الورقة تسعى إلى المناقشة باقتضاب عن مفهوم البدون والروائيين الذين تناولوا هذه القضية بأبعادها المختلفة في رواياتهم بالإضافة إلى الدور المهم الذي لعبه ناصر الظفيري في طرح قضية البدون في معظم رواياته.

الكلمات المفتاحية: قضية البدون- الرواية الكويتية - ناصر الظفيري

### المقدمة

تتناول هذه الورقة قضية البدون في الكويت من خلال روايات الروائيين الكويتيين، مع التركيز بشكل خاص على دور الروائي ناصر الظفيري في طرح هذه القضية.

### تعريف البدون

البدون أو غير محددى الجنسية أو عديم الجنسية أو حسب تسمية الحكومة الرسمية مقيم بصورة غير قانونية هم فئة سكانية تقيم في الكويت بصورة غير قانونية ولا يحملون الجنسية الكويتية أو جنسية غيرها من الدول. يقدر عددهم بحوالي ١٠٠ ألف شخص، أي ما يمثل حوالي ١٠٪ من سكان الكويت.

### قضية البدون في الرواية الكويتية

مصطلح البدون يعود في الأصل إلى "أهل البادية" الذين لم يحصلوا على جنسية دولة الكويت منذ استقلالها عام ١٩٦١، ويتم وصفهم وفقاً لمواد القانون الكويتي بـ "غير محددى الجنسية"، وتعود مشكلتهم إلى عدم تطبيق مواد قانون الجنسية الكويتي بعد الاستقلال وإهمال البعض التقدم بطلب الحصول على الجنسية الكويتية قديماً

### تاريخ قضية البدون

يمكن تتبع جذور قضية البدون إلى الخمسينيات من القرن العشرين، عندما لم تتمكن بعض العائلات التي كانت تعيش في الكويت لأجيال من الحصول على الجنسية الكويتية. تفاقمت هذه المشكلة

<sup>١</sup> مساعدة التدريس، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية آدابها، كلية الفاروق، كبرالا

بعد الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠، حيث تم تجريد العديد من العائلات من الجنسية الكويتية بسبب تعاونها المزعوم مع النظام العراقي.

التحديات التي تواجه البدون: يواجه البدون العديد من التحديات، بما في ذلك:

- الحرمان من الحقوق المدنية والسياسية، مثل الحق في الجنسية، والحق في التعليم، والحق في العمل، والحق في الرعاية الصحية

- التمييز والتهميش والحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية

- الآثار النفسية السلبية الناتجة عن عدم الاستقرار والتمييز

جهود الحكومة الكويتية لمعالجة قضية البدون

حاولت الحكومة الكويتية معالجة قضية البدون من خلال مبادرات مختلفة. ومع ذلك، لم تنجح هذه المبادرات في حل المشكلة بشكل نهائي. تناول كثير من الروائيين الكويتيين قضية البدون في رواياتهم، ومن ضمنهم إسماعيل الفهد والكاتبه بثينة العيسى وسعود السنعوسي. وقد تناولوا هذه القضية من خلال أبعاد مختلفة، منها:

- الجانب القانوني: تناول الروائيون قضية عدم تمتع البدون بالحقوق المدنية والسياسية، مثل حق الجنسية والحق في التعليم والعمل والرعاية الصحية.

- الجانب الاجتماعي: تناول الروائيون معاناة البدون من التمييز والتهميش والحرمان من أبسط الحقوق الأساسية.

- الجانب النفسي: تناول الروائيون الآثار النفسية السلبية التي تنجم عن عدم الاستقرار والتمييز على البدون.

قضية البدون في الروايات الكويتية

لقد حظيت قضية البدون باهتمام كبير من الأدباء الكويتيين، الذين حاولوا من خلال رواياتهم تسليط الضوء على هذه القضية وكشف معاناة أصحابها. ومن أبرز الروايات الكويتية التي تناولت قضية البدون:

- في حضرة العنقاء والخل الوفي (١٩٩٠) لإسماعيل فهد إسماعيل: تتناول هذه الرواية قصة عائلة بدون تعيش في الكويت، وتسليط الضوء على صراعاتهم من أجل البقاء والحصول على حقوقهم.

رواية "في حضرة العنقاء والخل الوفي" للروائي الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل، تدور أحداثها حول شخصية "منسي بن أبيه"، وهو شاب من فئة "البدون" في الكويت. يبدأ منسي حياته كشاب طموح، يحلم بمستقبل أفضل لنفسه وعائلته. يتزوج من فتاة كويتية، ويرزق بطفلين. ومع ذلك، فإن وضعه القانوني كـ "بدون" يحد من طموحاته ويسبب له العديد من المشاكل. يضطر منسي إلى العمل في وظائف متواضعة، ويواجه التمييز في المجتمع الكويتي. كما أنه يتعرض للمضايقات والتهديدات من قبل السلطات الكويتية. تزداد معاناة منسي بعد غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠. يتم إجباره على الانضمام إلى الجيش العراقي،

لكنه ينجح في الفرار والالتحاق بالمقاومة الكويتية. بعد تحرير الكويت، يحاول منسي استعادة حياته الطبيعية، لكنه يواجه صعوبات جديدة. لا يزال يُعامل كـ "بدون"، ولا يستطيع الحصول على الجنسية الكويتية. تنتهي الرواية بمنسي وهو يروي قصة حياته لابنتيه. يخبرهما أنه على الرغم من كل الصعوبات التي واجهها، فإنه ما زال يشعر بالانتماء إلى الكويت. تتناول الرواية العديد من القضايا المهمة، مثل قضية "البدون" في الكويت، والحرب، والحب، والضياع، والأمل. وهي رواية غنية بالمشاعر والأفكار، وتعد من أهم الأعمال الروائية في الأدب الكويتي. فيما يلي بعض النقاط الرئيسية للرواية:

○ تدور أحداث الرواية حول شخصية "منسي بن أبيه"، وهو شاب من فئة "البدون" في الكويت.  
○ يواجه منسي العديد من المشاكل بسبب وضعه القانوني كـ "بدون"، بما في ذلك التمييز، والمضايقات، والتهديدات.

○ تزداد معاناة منسي بعد غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠.

○ تنتهي الرواية بمنسي وهو يروي قصة حياته لابنتيه.

○ تتميز الرواية بأسلوبها الروائي المتميز، ولغتها الجميلة، وشخصياتها الغنية. وهي رواية إنسانية تستحق القراءة.

• ساق البامبو (٢٠١٢) لسعود السنعوسي: تتناول هذه الرواية قصة شاب بدون يجد نفسه مضطراً إلى اختيار جنسيته بين الكويت والعراق، وتسلسل الضوء على الهوية المزدوجة التي يعيشها البدون.  
ساق البامبو رواية من تأليف الروائي الكويتي سعود السنعوسي، والتي فاز عنها بالجائزة العالمية للرواية العربية لعام ٢٠١٣. وهي رواية تسجل تواريخها بين الفلبين والكويت وتتناول بعض القضايا والأحداث التاريخية والسياسية والدينية، وفي عام ٢٠١٦ تم إنتاج مسلسل كويتي يحمل اسم الرواية «ساق البامبو». تدور أحداث الرواية حول حياة عيسى الطاروف، وهو شاب ولد لأب كويتي وأم فلبينية. ينشأ عيسى في الكويت، لكنه يشعر دائماً بأنه غريب عن المجتمع الكويتي. يواجه التمييز بسبب أصله، ويجد صعوبة في تحديد هويته.

تتبع الرواية حياة عيسى من طفولته إلى شبابه. تتناول الرواية العديد من القضايا المهمة، مثل قضية العمالة الأجنبية في الخليج العربي، والهوية، والانتماء، والحب، والفقدان. تبدأ الرواية بوفاة والد عيسى، وهو كويتي من عائلة عريقة. يرث عيسى من والده قطعة أرض في الكويت، لكنه لا يستطيع الحصول على الجنسية الكويتية بسبب أصله. يضطر عيسى إلى العمل في وظائف متواضعة، ويواجه التمييز في المجتمع الكويتي. يشعر بأنه غريب عن والديه، وعن المجتمع الكويتي، وعن الفلبين، التي لم يزرها قط. يقع عيسى في حب فتاة كويتية، لكنها ترفض الزواج منه بسبب أصله. يشعر بالإحباط والضياع، ويقرر السفر إلى الفلبين بحثاً عن جذوره. في الفلبين، يلتقي عيسى بوالدته، ويتعلم عن حياتها في الفلبين. يشعر بالانتماء إلى الفلبين لأول مرة في حياته، لكنه يدرك أيضاً أنه لن يكون قادراً على العيش هناك بشكل دائم. يعود عيسى إلى الكويت، ويحاول التصالح مع حياته هناك. يتزوج من فتاة فلبينية، ويرزق بطفلين.

يجد عيسى أخيراً مكانه في العالم، ويدرك أنه يمكن أن يكون كويتيًا فلبينيًا في نفس الوقت. تنتهي الرواية بعيسى وهو يروي قصة حياته لابنتيه. يخبرهما أنه على الرغم من كل الصعوبات التي واجهها، فإنه ما زال يشعر بالانتماء إلى الكويت والفلبين. تتميز الرواية بأسلوبها الروائي المتميز، ولغتها الجميلة، وشخصياتها الغنية. وهي رواية إنسانية تستحق القراءة.

فيما يلي بعض النقاط الرئيسية للرواية:

- تدور أحداث الرواية حول حياة عيسى الطاروف، وهو شاب ولد لأب كويتي وأم فلبينية.
- يواجه عيسى العديد من المشاكل بسبب أصله، بما في ذلك التمييز، والمضايقات، والتهديدات.
- يسافر عيسى إلى الفلبين بحثاً عن جذوره، ويجد أخيراً مكانه في العالم.
- تتناول الرواية العديد من القضايا المهمة، مثل قضية العمالة الأجنبية في الخليج العربي، والهوية، والانتماء، والحب، والفقدان.
- ارتطام (٢٠١٣) لبثينة العيسى: تتناول هذه الرواية قصة فتاة بدون تعيش في الكويت، وتسلسل الضوء على التمييز والإقصاء الاجتماعي الذي يتعرض له البدون.

ارتطام رواية للكاتبة الكويتية بثينة العيسى، صدرت في عام ٢٠١٣. تدور أحداث الرواية حول حياة فتاة كويتية تدعى ريم، التي تتعرض لحادث سير مروع يغير حياتها إلى الأبد. تبدأ الرواية بريم وهي تستعد للخروج في موعد مع حبيبها. وهي تشعر بالسعادة والفرح، لكنها لا تدرك أن حياتها على وشك أن تتغير بشكل جذري. في طريقها إلى الموعد، تتعرض ريم لحادث سير مروع. تفقد ريم وعمها، وتستيقظ في المستشفى لتجد أنها قد فقدت ساقها. تواجه ريم صعوبات عديدة بعد الحادث. فهي تعاني من الألم الجسدي والعاطفي، كما أنها تواجه صعوبة في التأقلم مع حياتها الجديدة كشخص معاق. تحاول ريم التغلب على هذه الصعوبات، وتسعى إلى استعادة حياتها السابقة. تعود إلى الجامعة، وتبدأ في العمل، وتلتقي بشخص جديد. في النهاية، تجد ريم السلام الداخلي، وتدرك أن الحادث لم يكن نهاية العالم، بل كان بداية جديدة.

تسهم هذه الروايات في رفع الوعي بقضي البدون، وتساعد في إظهار معاناة هذه الفئة المهمشة. كما أنها تساهم في خلق مساحة للنقاش حول هذه القضية، وطرح حلول للمشاكل التي يواجهها البدون.

#### ناصر الظفيري

ولد الظفيري في محافظة الجبيل عام ١٩٦٠ في الكويت. درس في جامعة الكويت وتخرج في كلية الهندسة عام ١٩٨٧. هاجر إلى كندا في عام ٢٠٠١، ونال هناك على شهادة بكالوريوس في الأدب الإنجليزي ثم على ماجستير في اللغويات من جامعة كارلتون في أوتاوا وحصل على الجنسية الكندية. أصدر الظفيري كتابه الأول في عام ١٩٩٠ بعنوان «وليمة القمر» وهو مجموعة قصصية والتي تم منعها لمدة ثلاث سنوات في الكويت أثناء تشديد الرقابة في منتصف الثمانينات. ثم في عام ١٩٩٢ نشر روايته الأولى بعنوان «عاشقة الثلج»، ونشر روايته الثانية بعنوان «سما مقلوبة». وفي عام ٢٠١٤، نشر رواية «الصهد» وهي الجزء

الأول ضمن ثلاثية «الجهراء» ونشر الجزء الثاني تحت عنوان «كالييسكا» عام ٢٠١٥، أما الجزء الثالث فنشره بعد عامين بعنوان «المسطر».

يسلط الظفيري في أغلب أعماله الأدبية الضوء على فئة البدون أو عديبي الجنسية في الكويت والصراع الذي يعيشونه كما في رواية «كالييسكا» التي تدور أحداثها حول الرجل البدون الذي يسافر إلى كندا ليستقر فيها. ترجمت الباحثة الكويتية، أنوار السعد المتخصصة بالأدب العربية روايات الظفيري إلى اللغة الإنجليزية بهدف أن أعماله إلى أكبر شريحة من الجمهور وذلك لزيادة الوعي حول موضوع انعدام الجنسية في الكويت. توفي الظفيري في عام ٢٠١٩ بعد صراع مع مرض السرطان عن عمر يناهز ٥٩ عامًا في كندا.

صدر للظفيري ١٢ كتابًا، ٨ منها روايات، و٤ منها مجموعات قصصية.

#### المجموعات القصصية

• وليمة القمر (١٩٩٠)

• عاشقة الثلج (١٩٩٢)

• أبيض يتوحش (٢٠١٠)

• الظل (٢٠١٩)

وتشمل أعماله الأخرى:

• ديوان شعر (٢٠٠٦)

• مجموعة مقالات (٢٠١٨)

ترجمت أعمال الظفيري إلى عدة لغات، منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

#### دور ناصر الظفيري

لعب الروائي ناصر الظفيري دورًا مهمًا في طرح قضية البدون في رواياته. فقد عاش الظفيري نفسه تجربة البدون، حيث تم تجريد عائلته من الجنسية الكويتية في عام ١٩٨٦. وقد عكست رواياته المعاناة التي يعيشها البدون بشكل واقعي وصادق.

تعد قضية البدون من القضايا المعقدة والشائكة في الكويت، والتي تحظى باهتمام كبير من الأدباء والكتاب، حيث تناولها العديد منهم في أعمالهم الأدبية. ومنهم الروائي الكويتي ناصر الظفيري، الذي خصص العديد من رواياته لهذه القضية، ومن أبرزها روايتي:

ومن أشهر أعمال الظفيري التي تناولت قضية البدون

• رواية "أغرار" (٢٠٠٠): تتناول قصة مجموعة من البدون الذين يعيشون في الكويت، وتسلط الضوء على معاناتهم من التهميش والاضطهاد.

• رواية "سما مقلوبة" (٢٠٠٣): تتناول قصة شاب بدون يهاجر إلى كندا بحثًا عن حياة أفضل، وتسلط الضوء على معاناته في الغربة.

- رواية "الصهد" (٢٠٠٨): تتناول قصة مجموعة من البدون الذين يعيشون في الكويت، وتسلب الضوء على معاناتهم من الحرمان والظلم.
- رواية "كالييسكا" (٢٠١٢): تتناول قصة شاب بدون يجد نفسه مضطراً إلى اختيار جنسيته بين الكويت والعراق، وتسلب الضوء على الهوية المزدوجة التي يعيشها البدون.
- رواية "المسطر" (٢٠١٧): تتناول قصة شاب بدون يحاول تحقيق حلمه في أن يصبح صحفياً، وتسلب الضوء على التحديات التي يواجهها البدون في تحقيق طموحاتهم.

### أغرار

رواية "أغرار" هي رواية درامية تتناول قضية البدون في الكويت. بطلة الرواية هي نورة، وهي شابة بدون تتوق إلى الحصول على الجنسية الكويتية. تعيش عائلة نورة حياة بدوية تقليدية. يقيمون في الكويت لكنهم ليس لديهم الجنسية. هذا يسبب لهم العديد من المشاكل في حياتهم. لا يحصلون على الخدمات الأساسية مثل التعليم والتوظيف والرعاية الصحية. ترغب نورة في الدراسة، لكنها لا تستطيع الالتحاق بالمدرسة. تريد العمل، لكنها لا تستطيع الحصول على وظيفة قانونية. تريد أن تعيش حياة صحية، لكنها لا تتلقى الرعاية الصحية. تبذل نورة قصارى جهدها للحصول على الجنسية الكويتية. تتواصل مع الحكومة وتناضل من أجل حقوقها. لا نعلم ما إذا كانت ستنجح في النهاية أم لا. الموضوعات الرئيسية في الرواية هي:

- قضية البدون
- حق الجنسية
- الهوية والحقوق
- العدالة الاجتماعية
- سماء مقلوبة

تدور أحداث رواية "سماء مقلوبة" في الكويت، وتتناول قصة شاب بدون يُدعى "حمد"، الذي يعاني من التمييز والتهميش بسبب عدم امتلاكه الجنسية الكويتية. ولد حمد في الكويت، ونشأ في قرية الجبراء، حيث عاش حياة بسيطة مع عائلته. إلا أن حياته تتغير جذرياً عندما يفقد والدته، ويضطر إلى العمل في سن مبكرة لكسب قوت يومه. يتعرض حمد للتمييز من قبل المجتمع الكويتي، حيث ينظر إليه الناس على أنه "غير شرعي" و"غير كفاء". كما يتعرض للتهميش من قبل الحكومة الكويتية، حيث لا يحصل على نفس الحقوق والامتيازات التي يحصل عليها الكويتيون. يدفع التمييز والتهميش حمد إلى الانخراط في عالم الجريمة، حيث يصبح زعيماً لعصابة إجرامية. يعتقد حمد أن الجريمة هي السبيل الوحيد للنجاة في هذا العالم القاسي الذي لا يرحم. في النهاية، يدرك حمد خطأه، ويقرر الابتعاد عن عالم الجريمة. يسافر إلى الخارج، ويحاول بناء حياة جديدة له. تسلب رواية "سماء مقلوبة" الضوء على معاناة البدون في الكويت، وتكشف عن الآثار السلبية التي تنجم عن التمييز والتهميش. كما تطرح الرواية تساؤلات مهمة حول الهوية والانتماء، والحقوق المدنية والسياسية. تتميز الرواية بالأسلوب الأدبي السلس، والحبكة الدرامية المثيرة،



والشخصيات الواقعية التي تعيش المعاناة. وقد نالت الرواية العديد من الجوائز الأدبية، كما تم تحويلها إلى فيلم سينمائي.

فيما يلي بعض الاقتباسات من روايات الطفيري التي تتناول قضية البدون: من رواية "سماة مقلوبة": "أنا بدون، لا جنسية لي، لا أب لي، لا أم لي، لا وطن لي، لا شيء لي." تعكس هذه الاقتباسات معاناة البدون من عدم امتلاكهم الجنسية الكويتية، والشعور بالغربة والظلم الذي يتعرضون له.

#### الصهد

رواية "الصهد" تتناول قصة مجموعة من الأشخاص المهمشين في مدينة الجهراء في الكويت في القرن العشرين. تدور أحداث الرواية في الفترة من عام ١٩٢٧ إلى عام ١٩٧٣، وترصد نشأة مدينة الجهراء وتطورها، كما تتناول قضايا الهوية والانتماء والهجرة.

تبدأ الرواية بقصة شومان، وهو شاب عراقي هاجر إلى الكويت مع عائلته في عشرينيات القرن الماضي. شومان هو شاب بسيط وعضوي، ولكنه يتمتع بذكاء وقوة الإرادة. بعد وصوله إلى الكويت، يعمل شومان في العديد من المهن، ويحاول أن يجد مكانه في المجتمع الجديد.

يلتقي شومان بمجموعة من الأشخاص المهمشين الآخرين في الجهراء، مثل ابن فضل، وهو تاجر عراقي ثري، وأنس الكمال، وهو فلسطيني لاجئ. يشكل هؤلاء الأشخاص صداقات قوية، ويدعمون بعضهم البعض في مواجهة التحديات التي يواجهونها.

تتناول الرواية أيضاً قصة جيل الشباب من البدون في الجهراء. هذا الجيل يعاني من أزمة هوية، فهو لا يشعر بالانتماء إلى أي بلد. يحاول شباب البدون أن يحققوا أهدافهم في الحياة، ولكنهم يواجهون العديد من العقبات بسبب وضعهم القانوني.

تنتهي الرواية بقصة شومان وابن فضل وأنس الكمال. بعد سنوات من العمل الجاد، يصبح شومان رجل أعمال ناجحاً، ويحقق ابن فضل أحلامه في بناء ثروة، ويجد أنس الكمال مكاناً له في الكويت. ومع ذلك، لا يزال هؤلاء الأشخاص يعانون من الشعور بالتمييز، ويظل وضعهم القانوني غير واضح.

تعد رواية "الصهد" من الروايات المهمة في الأدب الكويتي، فهي تتناول قضايا مهمة مثل الهوية والانتماء والهجرة. الرواية مكتوبة بلغة جميلة وسلسة، وتتميز بشخصياتها الغنية وقصتها الشيقة.

فيما يلي بعض الموضوعات الرئيسية التي تتناولها الرواية:

- الهوية والانتماء: تتناول الرواية أزمة الهوية التي يعاني منها الأشخاص المهمشين في الكويت. هؤلاء الأشخاص لا يشعرون بالانتماء إلى أي بلد، ويواجهون صعوبة في إيجاد مكان لهم في المجتمع.
- الهجرة: تتناول الرواية قصة الهجرة والسعي وراء حياة أفضل. العديد من الأشخاص الذين يهاجرون إلى الكويت يأملون في تحقيق أحلامهم، ولكنهم يواجهون العديد من التحديات.

• التهميش: تتناول الرواية قصة التهميش الذي يتعرض له الأشخاص المهمشين في الكويت. هؤلاء الأشخاص لا يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها المواطنون الكويتيون، ويواجهون العديد من العقبات في حياتهم اليومية.

وقد حظيت الرواية بالعديد من الجوائز، منها جائزة الدولة التشجيعية في مجال الرواية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

#### الخاتمة

تعد قضية البدون من القضايا المعقدة والشائكة في الكويت، والتي تحظى باهتمام كبير من الأدباء والكتاب، حيث تناولها العديد منهم في أعمالهم الأدبية، ومنهم الروائي الكويتي ناصر الظفيري، الذي خصص العديد من رواياته لهذه القضية. لعب الروائي ناصر الظفيري دورًا مهمًا في طرح قضية البدون في رواياته، فقد عاش الظفيري نفسه تجربة البدون، حيث تم تجريد عائلته من الجنسية الكويتية في عام ١٩٨٦.

قد عكست رواياته المعاناة التي يعيشها البدون بشكل واقعي وصادق. من أهم روايات الظفيري التي تناولت قضية البدون: "سما مقلوبة"، "أغرار" تسلط هذه الروايات الضوء على معاناة البدون في الكويت، وتكشف عن الآثار السلبية التي تنجم عن التمييز والتهميش. كما تطرح الروايات تساؤلات مهمة حول الهوية والانتماء، والحقوق المدنية والسياسية. تتميز روايات الظفيري بالأسلوب الأدبي السلس، والحبكة الدرامية المثيرة، والشخصيات الواقعية التي تعيش المعاناة. وقد نالت الروايات العديد من الجوائز الأدبية، كما تم تحويلها إلى فيلم سينمائي. إن روايات ناصر الظفيري عن قضية البدون تلعب دورًا مهمًا في رفع الوعي بهذه القضية، ونشرها على نطاق أوسع. كما تساهم هذه الروايات في الضغط على الحكومة الكويتية للتعامل مع هذه القضية بشكل عادل. في الختام، يمكن القول إن قضية البدون هي قضية إنسانية مهمة، تستحق أن تحظى بالاهتمام والدعم من الجميع.

#### المصادر والمراجع

- <https://agsiw.org>
- <https://cle.ens-lyon.fr>
- <https://www.okaz.com.sa>
- <https://www.alquds.co.uk>

## تجليات التسامح

في قصيدة فتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين للشيخ قاضي محمد الكالكوتي  
الدكتور/ بي. مجيب النلكتي<sup>١</sup>

## الملخص

إنّ التسامح بما هو قيمة إنسانية راقية يخوّل للبشريّة جمعاء العيش في كنف المحبّة والسّلام حيث ترتقي الأنفس وتلامس عوالم مدهشة، فالتسامح وإن ورد في المعجم العربي الحديث بما هو تساهل، نجد سمّح لغة سماحًا بكذا جاد وسمح لي بالشيء أعطاني إياه عن طيب نفس، على هذا الأساس يصبح التسامح هو الجود والكرم والمودة والمحبة. إنّ عبارة تسامح تشير إلى القدرة على الصّفح والمغفرة والمسامحة أي استخدام الحرّية الخاصّة في جميع الحالات. والتسامح هي قيمة دعت وتدعو إليها كلّ الديانات السّماوية وأكّدت عليها القوانين الوضعيّة في البلدان العربيّة والإسلامية المعاصرة وغيرها والموقّعة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والدساتير الوضعيّة.

## المقدمة

إنّ الشعراء والأدباء وكلّ المبدعين في مجالاتهم قد تبوّأوا هذه القيمة بما هي الحبّ والسّلام والتعايش مع الآخر والقبول به، فكانت النصوص عموماً ذات تراكمات مباشرة للدعوة إلى التسامح، ألّفت في كيرالا مؤلفات عديدة في النثر والشعر كتحرير أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان للشيخ زين الدين مخدوم الكبير، وتحفة المجاهدين للشيخ زين الدين مخدوم الصغير، وفتح المبين للشيخ قاضي محمد الكالكوتي، وأصبحت هذه المؤلفات مرآة صادقة للحياة الاجتماعية التي كانت يسودها المؤاخاة والتسامح والألفة والمحبة بين المسلمين والهنداكة في كيرالا. وفي هذه الدراسة نشير إلى تجليات التسامح والأخوة في قصيدة فتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين للشيخ قاضي محمد الكالكوتي.

## التسامح في المنظور الإسلامي

توجد عدّة آيات قرآنية عن العفو والتسامح في القرآن الكريم،: قال الله تعالى: {فَاَصْحَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}. [سورة الحجر ٨] وقال الله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ\* وَكَانَ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ\* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ\* وَكَانَ صَبْرًا وَغَفْرًا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [سورة الحجر ١١]. آيات قرآنية أخرى عن التسامح والعفو قال الله تعالى: {فَاَصْحَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [سورة الزخرف ١٢].

<sup>١</sup> أستاذ مشارك، كلية السنية العربية، شيندمنغور

ومن الأحاديث النبوية الشريفة عن التسامح ما يأتي: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث". (رواه مسلم 14/235). و"اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" (رواه الترمذي 2/61).

### التَّسامح في قول الشعراء والأدباء والرِّسَاء

العديد من شعراء العربية بين القديم والحديث، حيث أتى كلُّ منهم على بيان أثر العفو والتسامح على النفس الإنسانية، ومتى يكون العفو والتسامح سبباً في تقارب الشعوب والبعد عن أسباب القتل والدمار، كما ربَّط بعض الشعراء العفو والتسامح بالمفهوم الديني، وبينوا أنَّ هاتَيْن الصِّفَتَيْن من الصفات التي ينال بها الإنسان رضا الله تعالى، وفيما يأتي شعر عن العفو والتسامح منسوب إلى قائله: الإمام الشافعي:

" قالوا سكتَّ وقد حُوصِمَت! قلتُ لهم  
 إنَّ الجواب لبابِ الشرِّ مفتاحُ  
 فالعفو عن جاهلٍ أو أحمقٍ أدب  
 نِعَم! وفيه لصونِ العِرضِ إصلاحُ  
 إنَّ الأسود لتخسَى وهي صامتة  
 والكلب يُحنَى ويُرْمَى وهو نَبَّاحٌ"<sup>١</sup>  
 أبو العلاء المعري:  
 "إذا عثرَ القومُ فاغفرْ لهم  
 فأقدامُ كل فريقٍ عُثْرٌ"<sup>٢</sup>

أحمد شوقي:

"تسامحُ النفسِ معنَى من مروءتها  
 بل المروءةُ في أسَى معانيتها  
 تخلقِ الصَّفحَ تسعدُ في الحياة به  
 فالنفسُ يسعدُها خلقٌ ويشقمها"<sup>٣</sup>

وهناك كلمات عن العفو والتسامح من قبل العديد من الكُتَّاب والمفكرين والأدباء، حيث تحدَّث العديد منهم عن دور العفو والتسامح على علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وفيما يأتي كلمات عن العفو والتسامح منسوبة إلى قائلها:

رينهولد نيبوز: "التسامح هو الشكل النهائي للحب".<sup>١</sup>

<sup>١</sup> سالم محمد، "شعر عن العفو والتسامح"، مقالة إلكترونية، ص ١، ٢٠١٩، أكتوبر ١٣، <http://sotor.com/>

<sup>٢</sup> المرجع السابق

<sup>٣</sup> المرجع السابق

غاندي: "لا يمكن لشيء أن يجعل الظلم عادلاً إلا التسامح".<sup>١</sup>

جينيرال جامبولسكي: "الغفران يعني نسيان الماضي".<sup>٢</sup>

جوزف جوبير: "التسامح جزء من العدالة".<sup>٣</sup>

ساكي: "إن العفو عن الإساءة هو انتقام رقيق".<sup>٤</sup>

جورج برنارد شو: "احذر من الشخص الذي لا ينتقم منك، فهو لم يسامحك ولم يسمح لك أن

تسامح نفسك".<sup>٥</sup>

كورت توشولسكي: "التسامح هو الشك بأن الآخر قد يكون على حق".<sup>٦</sup>

حنا أريندت: "التسامح هو مفتاح الفعل والحرية".<sup>٧</sup>

بيتر ألين: "التسامح أمر مضحك، فهو يثلج الصدور ويخفف الآلام".<sup>٨</sup>

سوزان سومرز: "الغفران هدية تمنحها لنفسك".<sup>٩</sup>

### الأدب العربي في كيرالا

ظهر الإسلام في جزيرة العرب ووصل نوره في مليبار بواسطة التجارة البحرية ومن أيد الصحابة مثل مالك دينار وأصحابه. ومكثوا متمثلين الأخلاق الفاضلة ينشرون الإسلام وبنى مالك بن دينار وأصحابه نحو أحد عشر مسجداً في مختلف أنحاء البلاد وبدأوا فيه الصلاة ودراسة القرآن وتعاليم الإسلام الإبدائية والعالمية وتولدت في كيرالا ثقافة جديدة وحيوية سليمة من العيوب الاجتماعية والعقائد الفاسدة. وهكذا جاء كثير من الوفود الخارجية لأغراض تجارية ودينية ووقعت الاختلاط والامتزاج في الثقافة المحلية وفي اللغة أيضاً. اليوم سكان ولاية كيرالا الهنادكة الأغلبية والمسلمون والمسيحيون وغيرهم الأقلية. فأعضاء جميع هذه الديانات المختلفة يختلطون فيما في حياتهم الاجتماعية مع الألفة والمودة والتسامح.

وقد بدأت الدروس الإسلامية في المساجد منذ انتشار الإسلام في كيرالا. أشرف العلماء على تعليم شعائر الله وإدامة الفرائض الدينية وقاموا بتدريس أولاد المسلمين بين أهالي البلاد. وبعض المؤرخين يرون أن أسرة المخدوم في فنان هم الذين بدأوا نظام الدروس المساجدية في كيرالا. رأى ابن بطوطة أن نظام

<sup>١</sup> المرجع السابق

<sup>٢</sup> المرجع السابق

<sup>٣</sup> المرجع السابق

<sup>٤</sup> المرجع السابق

<sup>٥</sup> المرجع السابق

<sup>٦</sup> المرجع السابق

<sup>٧</sup> المرجع السابق

<sup>٨</sup> المرجع السابق

<sup>٩</sup> المرجع السابق

<sup>١٠</sup> المرجع السابق

الدروس بدأت قبل ذلك في المساجد المختصة وأصبحت هذه المساجد مراكز التعليم حتى اليوم. وأخرجت منها العلماء والنبغاء في مختلف الموضوعات. يناون العلوم المختلفة من التاريخ والجغرافية وعلم الفلك والمنطق والحساب والهندسة وعلم المعاني والبيان والتفسير والحديث والفقه وغيرها باللغة العربية. ثم بدأت المدارس الدينية والمدارس الحكومية والكليات والجامعات الدينية والعصرية.

### قبل خمسة قرون

يقول المؤرخ الكبير ك ك أن كوروف في كتابه "تراث مسلمي ملبار" في الباب السابع تحت عنوان "الصوفية والتسامح الديني في كيرالا" ترورنكادي مركز ديني ذات شهرة كثيرة. عاش فيها الصوفية وعلماء الدين والفلاسفة. ولم تكن تحمل فكرة التفرقة أبدا. وكانوا يعملون دائما لتنمية التسامح الديني".<sup>١</sup> وهو يقول في موضع آخر في نفس الكتاب: "إن صوفية هذه المنطقة وأخلاقها المخالفة للمذهب الخارجي مهدتها للتطور الكامل بين عامة الناس وعونا لإشاعة التسامح الديني والاتحاد بين الناس. وسعى الهندوس والمسلمون بناصح هؤلاء".<sup>٢</sup> هذه الكلمات أيضا تشير إلى الأخوة والتسامح التي قامت بين الناس في كيرالا.

الأخوة والمحبة والتسامح في قصيدة "الفتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين"

قاضي محمد بن عبد العزيز الكاليكوتي

كان قاضي محمد بن عبد العزيز الكاليكوتي عالما مشهورا ومجاهدا كبيرا، شارك في حرب فتح قلعة شاليم، ورجل المقاومة ضد الاستعمار البرتغالي ولد في كاليكوت في أسرة القضاة التي تنتهي أصلها إلى مالك بن محمد الأنصاري.

وكانت تلك الأسرة معترفة عند السامري ملك كاليكوت، وكان السامري يشاورهم في الأمور ويتخدمهم أصحاب الرأي في المواقع الهامة. وكان قاضي محمد الكاليكوتي ووالده عبد العزيز ممن أشرب في قلوبهم حب الوطن والدين وعداوة الاستعمار والمستعمرين البرتغاليين، وقاما بتحريض المسلمين على الجهاد ضد الاستعمار البرتغالي وكان والده قاضي عبد العزيز قاضيا، وعالما تقيا، ورجل الحرب والسياسة. وكان هو قد شارك في المشورة التي انعقدت في مسجد مثقال في كاليكوت أيام حروب فتح قلعة شاليم، مع كونجالي ماريكار، وسيدي أحمد، والشيخ ابو الوفا شمس الدين، والشيخ عبد العزيز المخدم، وشاه بندر عمر العطايب، وغيرهم.

وكان القاضي مولعا بالعلم والفقه. وتعلم مبادئ العلوم من والده العالم، ثم من العلامة عثمان لبا القايلي، والشيخ عبد العزيز المخدم. فتفقه في القرآن والحديث، والتفسير، والفقه، وأصوله، والفلسفة، وعلم الفلك والحساب، وعلوم النحو. وصار قاضيا بعد وفاة أخيه علي الناشوري. وكان

<sup>١</sup> د. ك ك أن كوروف، "تراث مسلمي ملبار"، مكتبة الهدى، كاليكوت ١٩٩٩

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٥٨.

<sup>٣</sup> المرجع السابق، ص ٦٠.

مدرّسا في المسجد الجامع كوتيشيرا. وكان ينتمي إلى الطريقة القادرية الصوفية. وكانت له براعة في الشعر والأدب. وله مؤلفات عديدة في مختلف المواضع، ومنها: الخطبة الجهادية، وقصيدة الفتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين، وقصيدة إلى كم أيها الإنسان؟، ومرثية على الشيخ عثمان لبا القايلي، وقصيدة مقاصد النكاح والفرائض الملتقط والمنتخبات الفرائد، ونظم الأجناس، ونظم قطر الندى، وقصيدة نصيحة المؤمنين وقصيدة مدخل الجنان، ومنظومة في تجويد القرآن، ومنظومة في علم الأفلاك والنجوم، ومنظومة في علم الحساب، والدرّة الفصيحة في الوعظ والنصيحة، ومنظومة في الخطوط والرسائل، والدرّة الفصيحة.

### قصيدة "الفتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين"

هذه أرجوزة في خمس مائة وسبعة وثلاثين بيتا. نظمها القاضي محمد بن عبد العزيز الكاليكوتي، يبين فيها عن وصول البرتغاليين إلى مليبار واستعمارهم إياه ثم عن بنائهم قلعتهم في شاليم، وعن محاربة السامري ملك كاليكوت وجيشه البرتغاليين وفتحه قلعة شاليم. وأما الاسم الكامل لهذه القصيدة هو 'الفتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين'. فالشاعر يرى فتح القلعة البرتغالية في شاليم سنة ١٥٧١ م فتحا مبينا. ومن أهمية هذه القصيدة أن مؤلفه شاهد عين عن تلك الأحداث. ونظم فيها قصيدة يصور ما رآه أيام الحروب والفتح من أحوال وأهوال. وأهدى هذه القصيدة للسامري ملك كاليكوت الذي حارب برتغال وفتح قلعة شاليم. ويقول الشاعر فيها:

"مسميا لذلك بالفتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين"

### فترة نظم القصيدة

وإن كنا لا نجد تاريخ النظم من القصيدة، نفترض مما بينه الشاعر في القصيدة من فتح قلعة شاليم في سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) ومما أشاره فيها إلى مصالحة عادل شاه مع البرتغاليين سنة ١٥٧٩ م، أن فترة نظم القصيدة، إنها في فترة بين فترات ١٥٧٩ م التي صالح فيها عادل شاه، وبين ١٦٠٧ م. ونكتفى هنا ببعض الأبيات التي تظهر فيها الأخوة والتسامح:

يبدأ الشاعر قصيدته بحمد لله عزوجلّ واصفا ببعض أسمائه الحسنى مثل القويّ، والقادر، والمالك، والعلي، والقاهر، وغيرها، ثم بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في الأبيات من البيت الأوّل إلى البيت الخامس.

ثم يصف الشاعر القصيدة من أنها بيان قصة حرب وقعت بين السامري الذي يحب المسلمين والبرتغاليين المستعمرين. فيقول الشاعر:

"فإن هذي قصة عجيبة  
واقعة في خطة المليبار  
في شرح حرب شأنها غريبة  
ومثلها لم يجز في تلك الديار"

<sup>١</sup> الشيخ عبد القادر الفضفري، "جواهر الأشعار"، ص ٢٤١، مطبوعة سأمتروتانكور، ١٣٥٨ هـ.

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٢٤١.

"بين محب المسلمين السامري وبين خصمه الفرنج الكافر"<sup>١</sup>

## السامري والمسلمون

ثم يبدأ الشاعر ببيان علاقة السامري والمسلمين، فيصف الشاعر السامري محبا للإسلام والمسلمين، وناصرًا للدين، ومجري الشريعة الإسلامية حتى بحكمه بالدعاء في خطبة يوم الجمعة للخليفة العثماني الذي يراه مسلمو العالم أميرا للمؤمنين. ثم يبين مكانة المسلمين عنده حتى أن رؤساء المسلمين هم الذين يقومون في يمينه أيام الأعياد. فبينها الشاعر من البيت الخامس عشر إلى البيت الحادي والعشرين. ويقول؛

"وهو محب ديننا الإسلام  
ناصر ديننا ومجري شرعنا  
والمسلمون كلهم رعيته  
والمسلمين بين ذا الأنام  
حتى بخطبة على سلطاننا  
وإن يكن في أي أرض بلدته"<sup>٢</sup>

## مدح السامري وبيان صفاته

ثم يلتفت الشاعر من البيت الثاني والعشرين إلى البيت السابع والأربعين إلى بيان صفات السامري ومدحه. فيصفه بألقابه المشهورة، مثل "مولى ملوك الأرض" ومالك ملك الجبال والبحار. ثم يبين عن قصة وراثته السيف المشهورة من ملك شيرامان. ثم عن وزائه الأربعة الذين لايزيد عددهم ولا ينقص، ثم عن جيوشه من البيدق، والغربان، وعن عدل السامري وسماحته، وعادته في الحروب من إخبار العدو بمهاجمته عليه. ويصفه أيضا أنه من رجال الرأي والتدبير، والشجاعة، والصبر والعفو وغيرها من صفات الأخلاق الحسنة. ويقول في مدحه ووصفه:

"لا يأخذ المال بغير جرم  
لا يأخذ البلدان ممن دونه  
وليس يعفو لو عصى ملك كبير  
وإن عصوا يعفو بما يهدونه  
وليس يؤذي أحدا بظلم  
إلا بأخذ بلد ولو صغير"<sup>٣</sup>

## الدعاء للسامري

ثم يدعو الشاعر للسامري ويطلب من القراء أيضا أن يدعوا للسامري في الأبيات من البيت الثامن والأربعين إلى الخمسين، حيث يقول:

"والله يهديه هداية الأبد  
فواجب على جميع المسلمين  
ويجرين على أموره السدد  
أن يدعوا بمثل ذا يا مسلمين"<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> المرجع السابق، ص ٢٤١.<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٢٤١.<sup>٣</sup> المرجع السابق، ص ٢٤٢.<sup>٤</sup> المرجع السابق، ص ٢٤٣.



يمدح الشاعر شجاعة جند نايرقائد السامري مدحا وافرا، ويثنيه أنه لا يظلم البلدان الصغيرة بدون سبب، ولا يصادر مال أحد ولا يخدع في الحرب. وهذا يدل عظمة الشاعر وتسامحه.

"لأنه مع كفره يحارب والمملك المسلم لا يحارب"<sup>١</sup>

وهذا الملك سامري يغزو لدين الهنادك ولدين المسلمين معا. وفي الوقت نفسه وهو يعاتب الملك المسلم للصلح مع أعداء المسمين. وهو يقول عن الوزير للسامري الذي جمع المسلمين والهندوس للقتال:

"وهو وزير صاحب الزنار ذو الرأي والتدبير والأفكار

وصرف الأموال والخزائنا وضرب الغريان والسفائنا

وجمع المسلم والنيارا وأحضر المدافع الكبارا"<sup>٢</sup>

وكان ملك ساموتري يسلم مكانة للمسمين لبناء المسجد في قلعته:

"ثمت لما أخبرو للسامري خراب بيت لله من ذا الكافر

سلم بعض قلعة با لقصد للمسلمين لبناء المسجد"<sup>٣</sup>

يقول المؤرخ الكبير الشهير أم. جي. أس. نارايانان عن العلاقات الودية بين المسمين والهنادك في عصر ملك ساموتري: "إن ساموتري كان هو الوحيد الذي صمد لمقاومة البرتغال حتى آخر لحظاته. وكان المسلمون في مليبار ساعده الأيمن في هذه المقاومة بعثوا في ضميره الثقة والثبات كلما ضعفت همته"<sup>٤</sup>.

#### الخاتمة

ان التسامح والأخوة كانت قوية ووثيقة بين أهل مليبار. وخاصة نجد في قصيدة فتح المبين للشيخ قاضي محمد أبيات كثيرة تشير إلى عمق المحبة والمودة بين ساموتري ملك مليبار وبين المسلمين حتى سميت الشاعر لهذه القصيدة "فتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين".

وفي هذه الأيام هناك أهمية تاريخية لهذه القصيدة. إن بعض الأحزاب الطائفية يجتهدون اليوم لإنتشار النفرة والعدوان بيننا. فاماننا قدوة حسنة في تراثنا من أدبائنا وشعرائنا القديم. فعلى الجيل الناشئ مزيد من البحث والدراسة عن التجليات التسامح في مؤلفاتنا الجديدة والقديمة.

#### المراجع والمصادر

- د.ك ن. كروف، تراث مسلبي ملبار، مكتبة الهدي، كاليكوت، ١٩٩٩م
- د.ويران محي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرالا، مكتبة عرب نت، كاليكوت، ٢٠٠٣م
- الشيخ عبد القادر الفضفري، جواهر الأشعار، مطبوعة، سأمتر وتانكور، ١٣٥٨ هـ
- الشيخ زين الدين المخدوم الصغير، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، مكتبة الهدي، كاليكوت، ١٩٩٦م
- الشيخ زين الدين المخدوم الكبير، تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان، مكتبة الهدي، كاليكوت، ١٩٩٦م

<sup>١</sup> المرجع السابق، ص ٢٤٣.

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٢٦٠.

<sup>٣</sup> المرجع السابق، ص ٢٦٠.

<sup>٤</sup> جمال الدين الفاروقي وعبد الرحمن محمد الأدرشيري، و عبد الرحمن المنغادي "أعلام الأدب العربي في الهند"، مكتبة الهدي، كاليكوت، ٢٠٠٨م

- جمال الدين الفاروقي،، عبد الرحمن محمد الأدرشي، عبد الرحمن المنغادي، أعلام الأدب العربي في الهند، مكتبة الهدى، كاليكوت، ٢٠٠٨م
- د. جمال الدين الفاروقي، علماء العربية في الهند ومؤلفاتهم، مكتبة الهدى، كاليكوت، ٢٠١٩م
- محمد السالم، مقالة إلكترونية، تاريخ النشر ١٣ أكتوبر ٢٠١٩
- إبتسام عبد الرحمن الخميري، رمزية التسامح في الأدب العربي مقالة إلكترونية، تاريخ النشر ١٨ نوفمبر ٢٠٢١
- حسن، مفهوم التسامح وأهميته في المجتمع: مقالة إلكترونية، تاريخ النشر ٣١ ديسمبر ٢٠٢٠

## تطور أدب الطفل في الأدب العربي بإشارة خاصة إلى المملكة العربية السعودية

السيد/ عبد الصمد. كي<sup>١</sup>الدكتور/ محمد عابد يو. بي<sup>٢</sup>

## الملخص

ترمي هذه الدراسة إلى تحليل تطور أدب الطفل في الأدب العربي ومعرفة التطور في المملكة العربية السعودية. يستهدف أدب الطفل في الأدب العربي القراء الصغار ويهدف إلى تنمية قدراتهم اللغوية والإبداعية. يتميز باللغة البسيطة والصور الجذابة، مع تركيز على قيم تربوية وتعزيز الفهم للعالم من حولهم.

أدب الطفل نوع من الفن الأدبي يشمل القصص والكتب والمجلات والقصائد المؤلفة بشكل خاص للأطفال. لا يوجد تعريف منفرد أو واسع الاستخدام لأدب الأطفال يمكن تعريفه على نطاق واسع بأنه مجموعة الأعمال المكتوبة والرسوم التوضيحية المصاحبة المنتجة للترفيه أو تعليم الشباب. يشمل هذا النوع مجموعة واسعة من الأعمال بما في ذلك الكلاسيكيات المعترف بها للأدب العالمي والكتب المصورة والقصص سهلة القراءة المكتوبة حصرياً للأطفال والحكايات الخيالية والتهويدات والخرافات والأغاني الشعبية، وغيرها من المواد المنقولة شفهيًا بشكل أساسي أو بشكل أكثر تحديدًا. وقد ورد في تعريف أدب الأطفال عدة أقوال ومنها ما قاله الدكتور حسين عبد الرزاق<sup>٣</sup> في كتابه "رؤية في أدب الأطفال" هو ذلك الأدب الموجه والموجه للأطفال المراعي مداركهم وأحاسيسهم والمناسب لأعمارهم العقلية والزمنية ثم ما يرتبط موضوعاً بالطفولة إذا استطاع ان يشدهم ويؤثر فيهم من خلال امتثاله لشروط القسم الأول وكذلك ما ينتج الأطفال ويدعونه من الأدب سواء أكان يمثل الطفولة أو أنه يحاكي أدب الكبار لأنه هو الهدف المنشود والغاية التي نريد الوصول إليها من هذا الأدب. يُعرّف بأنه خيال أو غير خيالي أو شعر أو دراما مخصصة للأطفال والشباب ويستخدمونها. الكتب وكتب الرسوم المتحركة والأعمال الواقعية التي لا يُراد قراءتها من الأمام إلى الخلف مثل القواميس والموسوعات وغيرها من المواد المرجعية. وهذه المقالة دراسة بحثية يتحدث عن نمو أدب الطفل في الأدب العربي بإشارة خاصة إلى المملكة العربية السعودية.

## المقدمة

أدب الطفل يلعب دوراً مهماً في جذب انتباه الصغار وتشجيعهم على قراءة القصص والكتب. لقد برز أدب الطفل دائماً في العالم. على الرغم من أن أدب الطفل مخصص للأطفال الصغار إلا أنه شيء يمكن ان يغير مسار المجتمع. تمتاز أعمالها بأسلوب سهل ومبسط يتناسب مع قدرات الفهم والتفاعل لدى الأطفال. أهدافها المهم تعزيز القيم والأخلاق الحسنة وتعزيز الإبداع والتفكير وتوسيع افق المعرفة

<sup>١</sup> باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية أداها، كلية فاروق، كيرالا

<sup>٢</sup> أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأداها، كلية فاروق، كيرالا

<sup>٣</sup> عبید الرزاق الحاج عبد الرحيم حسن أكاديمي أدبي وكاتب قصصي وشاعر أردني من أصل فلسطيني

لدى الأطفال. ويذكر أن أصل أدب الأطفال يعود إلى القصص والأغاني وقبل وجود الطباعة حين كان الآباء ينقلون القصص والأغاني إلى أبناءهم شفويا. إن هذا الأدب أهمية كبيرة في حياة الأطفال. هذه متعة ولهو وتسلية للأطفال، ويساعد على تنمية الطفل في جوانب عديدة، ويؤدي به إلى الصحة النفسية وتكوين الشخصية وتنمية الذوق الأدبي أهمها الدروس الأخلاقية وبناء التعاطف وحل النزاعات والتفكير النقدي والخيال والإبداع والمهارات التواصلية والنماذج الإيجابية والتفاهم الثقافي والمهارات المرونة والتكيف وتشجيع حب القراءة.

### تطور أدب الطفل في الأدب العربي

أدب الطفل في الأدب العربي قد شهد تطورا ملحوظا على مر الزمن. بدأ هذا التطور في القرون الوسطى حيث برزت بعض القصص والحكايات الموجهة للأطفال. ثم تطورت هذه الأدبية مع مرور الوقت حيث ظهرت الكتب والقصص الخاصة بالأطفال بشكل أوسع وأكثر تنوعا. حيث ذهب فريق إلى أن أدب الطفل لها تاريخ قديم وأن أصوله وجذوره تعود إلى أيام الفراعنة مستشهدا بالقصص الفرعونية التي زينت الكتابات الهيروغليفية<sup>١</sup> وفريق آخر يرى أن أدب الأطفال بدأ عن طريق الترجمة والأقتباس والصحافة والاتصال بالغرب. وبالإختصار أن أدب الأطفال العربي جذوره تعود بالفعل إلى العصر الفرعوني كما سنعرض بعد قليل ولكن ازدهرت حديقته في الفترات الأخيرة بحيث تحول من فن إلى فن وعلم في فترة متأخرة وبعد قرون طويلة وذلك في الخمسينات والستينات من القرن المنصرم.

في القرن العشرين ازداد اهتمام الكتاب والمفكرين العرب بتطوير أدب الطفل وبدأوا في تأليف قصص وروايات تعليمية وتسلية تستهدف هذه الفئة العمرية. وتعتبر كتب الأطفال للمؤلفين مثال طه حسين ومحمود سامي البارودي من الأعمال التي ساهمت في تطوير هذا النوع من الأدب. أم أول القصص المكتوبة التي عرفتها البشرية فهي القصص المكتوبة على الورق البردي<sup>٢</sup>. ولما جاء الإسلام ظهرت القصص الدينية المتمثلة بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وأعماله وأخبار المسلمين والغزوات والإنصارات، وقصص الأنبياء، وقصص الأمم والشعوب التي وردت في القرآن الكريم كما أدت الفتوحات الإسلامية إلى دخول قصص كثيرة من الشعوب والأمم غير العربية مثل الفارسية والرومانية واليونانية والهندية والأسبانية، وكان معظمها أساطير وخرافات وقصص حيوانات.

ثم جاء الترجمة فترجم كتاب كليلة ودمنة وكتاب ألف ليلة وليلة مع إضافات جديدة قصة حي بن يقظان وقصة سيف بن ذي يزن وقصة عنتر بن شداد.

<sup>١</sup>الهيروغليفية هي نظام الكتابة في مصر القديمة، وتعني بالإغريقية الكتابة المقدسة

<sup>٢</sup>ورق البردي هو مادة مشابهة للورق السميك الذي كان يستخدم في العصور القديمة سطحا للكتابة واخترع في مصر القديمة منذ ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد.

## أدب الطفل في العصر الحديث

بدأ أدب الطفل في العصر الحديث في فرنسا وذلك في القرن السابع عشر. جاء الشاعر الفرنسي "تشارلز بيرو"<sup>١</sup> وكتب قصصاً للأطفال وساهم مساهمات قيمة إلى الأدب الأطفال. وبعد تشارلز بيرو جاءت سيدة فرنسية "ليرتس"<sup>٢</sup> ألقت مؤلفات جذابة وأثر تأثيرات كثيرة في أدب الطفل. ظهرت كتابته بشكل جديد في فرنسا في القرن الثامن عشر وذلك بظهور جان جاك روسو بكتابه المشهور "إميل" الذي اهتم بدراسة الطفل كإنسان قائم بذاته وشخصيته المستقلة، وبعد ذلك تمت ترجمة قصص ألف ليلة وليلة إلى اللغة الفرنسية، وبعد ذلك أيضاً صدرت أول صحيفة للأطفال في العالم بإسم صديق الأطفال.

وربما تكون بداية أدب الطفل في العالم العربي شعراً، وراندها هو أحمد شوقي الذي كتب للطفل قصائد "الصياد والعصفورة" و"الديك الهندي" و"الدجاج البلدي" كما ظهر كامل كيلاني الذي كتب "السندباد البحري" في ١٩٢٧ و"من حياة الرسول" الموجهة للأطفال.

ومن أشهر رواد أدب الطفل العرب أحمد نجيب (١٩٢٨) وعلي الحديدي في مصر، وسليمان العيسى (١٩٢١-٢٠١٣) في سوريا، وجعفر الصادق في العراق. وفي هذا الوقت قام محاضرة تحت عنوان "تاريخ أدب الطفل في العالم العربي" ألقاها الكاتب والأكاديمي خالد شقير<sup>٣</sup> في "مركز اليرموك الثقافي" لدار الآثار الإسلامية في الكويت. يذكر هذه المحاضرة بداية أدب الطفل في الوطن العربي ونشأته في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

## أدب الطفل في مصر

كانت مصر غنية بالعلم والثقافة والتراث. انفجرت علوم كثيرة في جوانب مختلفة. بدأ ظهور أدب الطفل حديثاً في البلاد العربية في زمن محمد علي باشا في مصر عن طريق الترجمة وكان أول من ترجم كتاباً للأطفال عن الإنجليزية هو رفاعة الطهطاوي. ثم أخذ بترجمة قصص وحكايات كثيرة عن الغربية فترجم قصصاً ترعى حكايات الأطفال ثم أدخل قراءات القصص في المناهج المدرسية. ولكن الخطوة الكبيرة في كتابة أدب الطفل في العالم العربي خصوصاً في مصر كانت على يد الشاعر المبدع أحمد شوقي، لأنه كان أول من ألف أدباً للأطفال باللغة العربية في العصر الحديث. بدأت مسيرة أدب الأطفال في مصر بمجىء كامل كيلاني الذي يعده أكثر الباحثين الأب الشرعي لأدب الأطفال في اللغة العربية وزعيم مدرسة الكاتيبين للناشئة في البلاد العربية. واهتم الكيلاني بتحبیب اللغة العربية للأطفال وكان ماهراً في الكتابة حسب سنوات العمر ويحاول إيقاظ مواهبهم واستعداداتهم ويقوي ميولهم وطموحهم وينتهي بهم إلى حب القراءة والمثابرة عليها.

<sup>١</sup> تشارلز بيرو هو كاتب سيناريو وكاتب وشاعر ومؤلف وشاعر قانوني وجامع مقتنيات من شخصيات خرافية وكاتب الأطفال من فرنسا ليرتس هي كاتبة فرنسية ألقت كتباً كثيرة في أدب الطفل بشكل جديد في فرنسا في القرن الثامن عشر.

<sup>٢</sup> خالد شقير حصل على الدكتوراه في الأدب الإنجليزي من جامعة توليدو اوهايو، وهو حالياً الأستاذ المشارك للأدب الإنجليزي في قسم اللغة الإنجليزية في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب.

## نشأة أدب الطفل في المملكة العربية السعودية

المملكة العربية السعودية لها تاريخ أدبي طويل. استحوذت السعودية على المزيد من الإهتمام ولا تزال الدراسات والأبحاث حتى الآن. وإن عالم الأدب السعودي غير قادر على فصل أدب الأطفال منه. وكذا أدب الطفل مهم جدا في الأدب السعودي. حظي أدب الطفل في المملكة العربية السعودية باهتمام لا يزال يزداد يوما بعد يوم. تدور أدب الطفل في المملكة العربية السعودية دورا بالغا في تنمية الأدبي السعودي.

أدب الطفل في المملكة العربية السعودية نشأ مع نمو التعليم والثقافة في المملكة. وبدأت هذه الحركة في الستينات والسبعينات من القرن الماضي. تطورت هذه الأدب ببطء واستمرارية مع نشر المؤلفين والكتاب السعوديين الذين كتبوا للأطفال. تراوحت الموضوعات بين القصص الخيالية والتعليمية والأعمال التاريخية التي تهدف إلى تثقيف وتسلية الأطفال. ومع مرور الزمن تطور أدب الطفل في المملكة العربية السعودية بداية كانت القصص والحكايات تنتقل عن طريق الشفاهة والتراث الشعبي ولم يكن لديها وجود رسمي كمؤلفات مطبوعة مع تطور وتحديث التعليم والثقافة في السعودية بدأت الجهات المعنية بدعم وتطوير أدب الطفل. تمثلت هذه الجهود في إصدار كتب موجهة للأطفال باللغة العربية والتي تتناول قصصا وقصائد تهتم بقيم ومفاهيم تتناسب للأطفال. أدب الطفل في المملكة العربية السعودية نشأ مع نمو التعليم والثقافة، وبدأت هذه الحركة في الستينات والسبعينات من القرن الماضي. تطورت هذه الأدب ببطء واستمرارية مع نشر المؤلفين والكتاب السعوديين الذين كتبوا للأطفال. تراوحت الموضوعات بين القصص الخيالية والتعليمية والأعمال التاريخية التي تهدف إلى تثقيف وتسلية الأطفال. ومع مرور الزمن تطور أدب الطفل في المملكة العربية السعودية بداية كانت القصص والحكايات تنتقل عن طريق الشفاهة والتراث الشعبي. ولم يكن لديها وجود رسمي كمؤلفات مطبوعة مع تطور وتحديث التعليم والثقافة في السعودية بدأت الجهات المعنية بدعم وتطوير أدب الأطفال. تمثلت هذه الجهود في إصدار كتب موجهة للأطفال باللغة العربية والتي تتناول قصصا وقصائد تهتم بقيم ومفاهيم تتناسب للأطفال. كما بدأت بعض المؤسسات والناشرين في إطلاق سلاسل كتب خاصة للأطفال تضم مجموعة متنوعة من القصص والحكايات التي تعكس القيم الثقافية والتراثية. تلك الجهود ساهمت في تعزيز ثقافة القراءة وتنمية مهارات اللغة لدى الأطفال في المملكة العربية السعودية. كانت نشأة أدب الأطفال في المملكة بمراحل كثيرة.

المرحلة الأولى (١٩٥٩م-١٩٦٣م)

كانت بداية أدب الطفل في المملكة العربية السعودية بظهور مجلة "الروضة" التي أصدرها الشاعر طاهر زمخشري<sup>١</sup> عام ١٩٥٩م تلاها ظهور ملاحق الأطفال ضمن الأعداد الصادرة عن الصحف اليومية. وكان أول صعود لأدب الطفل على أرض المملكة العربية السعودية. لقد كانت المجلة نموذجا أدبيا

<sup>١</sup> طاهر عبد الرحمن زمخشري شاعر وكاتب سعودي معاصر، وهو أحد المبدعين البارزين في مجال أدب الأطفال في المملكة العربية السعودية

واعلاميا للطفل وتجربة عملية لهذا النوع من المجلات . ثم صدرت مجلات خاصة بالأطفال وألف كثيرون قصصا للصغار.

#### المرحلة الثانية (١٩٦٣-١٩٧٧م)

وقد بدأت هذه المرحلة بنشوء الصحف والجرائد التي تتضمن موضوع أدب الأطفال بعد مجيء مجلة "الروضة". تبدأ من ١٣٨٣ها وتنتهي عام ١٣٩٧ها ويرتبط ببدء ظهور ملاحق الأطفال الصادرة عن الدوريات مثل "المدينة والبلاد والجزيرة والرياض وجريدة عكاظ".

#### المرحلة الثالثة (١٩٧٧م-١٩٧٨م)

وتبدأ المرحلة الثالثة بظهور مجلة "حسن" التي رأس تحريرها حسن يعقوب محمد إسحاق الكاتب المشهور في المملكة العربية السعودية، هو الذي ساهم مساهمات قيمة في مجال أدب الأطفال. لقد دخل العديد من الأدباء في أدب الأطفال بالمملكة العربية السعودية.

#### المرحلة الرابعة (١٩٧٨م-١٩٨٠م)

هذه المرحلة تخصص في نشوء وظهور بعض المؤسسات ودور النشر في مجال أدب الطفل ولذلك تعتبر هذه المرحلة متداخلة مع المرحلة الثالثة من أجل الدور التي لعبته المؤسسات المذكورة فلذا ظهرت بعض الكتب والسلاسل الموجهة للأطفال. وتعتبر مكتبة التعاون مكتبة التعاون بالإحساء من أهم دور النشر التي اعتنت بأدب الطفل في هذه المرحلة، ونشرت مجموعة قصصية للأطفال بلغ عددها خمس قصص، ونشرت العرب سلسلة "مكتبة أشبال العرب" في سنة ١٣٩٩ هـ وصدر من هذه السلسلة عشرة كتب ودار السعودية للنشر والتوزيع نشرت أولى مجموعاتها القصصية في سنة ١٣٩٩ هـ وبلغ عددها أربع قصص.

#### المرحلة الخامسة (١٩٨٠م-١٩٩٥م)

وقد تخصصت هذه المرحلة بدخول دماء وعناصر جديدة في عالم النشر الخاص بالطفل. ومن أهم العناصر المؤسسات الحكومية ودور النشر التجارية والوزارات والإدارات الحكومية ومؤسسات شبه حكومية والمؤسسات العلمية والأهلية وغيرها.

#### المرحلة السادسة: ١٩٩٥- (إلى الوقت الحاضر)

وقد ظهر أدب الطفل في المملكة العربية السعودية بشكل كامل واهتمام واضح بعد سنة ١٩٩٥. وقد أصبح أدب الطفل السعودي وثقافته محورا لكثير من الدراسات والبحوث العلمية والأدبية. وجاءت الثورات النسائية في هذا المجال كالكتابة البارزة<sup>١</sup> د/ فاطمة يعقوب خوجة<sup>٢</sup> في هذه المرحلة. وإلى جانب المجلات أن مجلة "الشبل" ظهرت مجلة الجيل الجديد عن الرئاسة العامة لرعاية الشباب ومجلة سنان

<sup>١</sup> يعقوب محمد إسحاق كاتب سعودي متخصص في أدب الطفل، ويعد من رواد أدب الطفل في السعودية  
<sup>٢</sup> د/فاطمة يعقوب خوجة هي كاتبة سعودية في مجال أدب الطفل، وهي التي ألفت أكثر من عشرين مؤلفات في أدب الطفل، وأمضت عشرين عاما مع السبورة. حصلت خلالها على العديد من الجوائز المحلية والخليجية في مجال المعلم المتميز.

وفراس وقرناسو وشاطر. وفي مجال دور النشر التجارية كونت كثيرا في هذا المجال مثل دار النبتة للنشر والتوزيع التي تأسست عام ١٤١٨ هـ الموافق ١٩٩٧ م كدار متخصصة في نشر كتب الأطفال وإلى جانب إسهامات مكتبة عبيكان وجريير ودار القاسم ودار الكتاب التربوي.

نهض هؤلاء الرواد بمسؤولية تثقيف الطفل وتقديم الأشكال الأدبية إليه من خلال نوافذ الصحف وبرامج الإذاعة وصحافة الأطفال وقصصهم وأناشيدهم و مسرحياتهم. طاهر زمخشري: شاعر من شعراء الجيل الأول الكبار ولد بمكة عام ١٣٢٣ هـ ويعد من أوائل المهتمين بأدب الأطفال في المملكة حيث أصدر أول مجلة للأطفال (مجلة الروضة) وهو أول معد ومقدم لبرامج الطفل في الإذاعة السعودية.

يعقوب إسحاق: وهو من أبرز الكُتُب للطفل وأغزرهم إنتاجا، إذ بلغ مع ما كتب للطفل حوالي مئتي عنوان، له العديد من السلاسل الخاصة بالطفل مثل الكتاب السعودية للأطفال ووطني الحبيب وكتاب الفتى السعودي.

عبد الرحمن الرويشد: أصدر مجلة الشبل<sup>١</sup> وأسس مؤسسة الطفولة ونشر كتبا وقصصا للأطفال وعبد الكريم الجهيمان وعلوي الصافي وتلا هؤلاء الرواد العديد من المبدعين السعوديين في أدب الطفل كعيسى الهلال ومها الرشود ومحمد الدبل ووفاء السبيل وحبيب المطيري وهدى باطويل.

أميمة الخميس: هي كاتبة سعودية ولدت وتعلمت في مدينة الرياض وعملت في القطاع التربوي معلمة ثم مديرة لإدارة الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم. بدأت نشاطها الأدبي والإبداعي في سنوات باكورة من عمرها عبر مقالات الرأي في الصحافة نشرت أول مجموعة قصصية عام ١٩٩٣ بعنوان "والضلع حين استوى".

إبراهيم أبو عبادة: هو كاتب وشاعر وأكاديمي أدبي سعودي. ولد في مدينة شقراء من نجد ودرس فيها ثم في كلية اللغة العربية في الرياض حيث تخرج بشهادة الإجازة عام ١٩٧٣ ثم الماجستير عام ١٩٨١ ثم الدكتوراه عام ١٩٨٤. من مؤلفاته المشهورة "شده الطفولة هتاف الشباب أغاريد الطفولة من القلب للدين والوطن".

جبير المليحان: هو قاص وكاتب سعودي، ولد في مدينة حائل عام ١٩٥٠ ويعد من رواد كتابة القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية. رأس نادي المنطقة الشرقية الأدبي. وصدرت له العديد من المجموعات القصصية من بينها "الوجه الذي من ماء، أبناء الأدهم".

عبد الخال: كاتب سعودي. هو من مواليد قرية المجنة إحدى قرى منطقة جازان، درس المرحلة الابتدائية في مدرسة ابن رشد برياض.

<sup>١</sup> مجلة الشبل هي مجلة سعودية تصدر كل أسبوعين، تأسست عام ١٩٨١ م، على ترويضها إشارة إلى أن محرريها نخبة من المرين، تعتمد المجلة على الشخصيات الكرتونية المنفصلة.



لما نلاحظ تاريخ أدب الأطفال بالمملكة العربية السعودية نفهم أن عبد الغني قستي وإبراهيم علاف وأحمد السباعي وعزيز ضياء وحياة عنبر وهم ساهمو مساهمة محمودة إلى الأدب الطفل بالمملكة العربية السعودية. في ١٩٦٣ خصصت بعض الصحف وهي المدينة والجزيرة والرياض وعكاظ صفحات أسبوعية للأطفال، في عام ١٩٧٧ صدرت مجلة "حسن" والتي رأس تحريرها يعقوب محمد إسحاق أحد الرواد في أدب الطفل في المملكة ظهرت بعد ذلك عدة سلاسل ومجموعات قصصية واستمر الإهتمام.

#### الخاتمة

قد كان نمو وتطور أدب الطفل في المملكة العربية السعودية تدريجياً. ومر بهذه المراحل المختلفة وبرز العديد من الكتاب في أدب الطفل خلال هذه المراحل كطاهر زمخشري ويعقوب إسحاق وعبد الرحمن رويشد. شهد تاريخ أدب الطفل السعودي ظهور العديد من المجالات بالإضافة إلى العديد من المؤلفين.

#### المصادر والمراجع

- يوسف عبد التواب، كتب الأطفال في عالمنا المعاصر، دار الكتاب المصري لقاها، ١٩٨٥
- يوسف عبد التواب، فصول في أدب الطفل المسلم، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٩٢م
- محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م
- أحمد نجيب الشهاوي، أدب الأطفال علم وفن، ٢٠٠٨م
- محمد علي العارفي، أدب الأطفال، ٢٠٠١م
- علي الحديدي، في أدب الأطفال، ٢٠١٠م
- محمد داني، أدب الأطفال، دار البلا، ٢٠١٩م

## الاختيارات العروضية عند الأثاري في دائرة المجتلب: دراسة عروضية نقدية

الدكتور/ أول إدريس عثمان<sup>١</sup>

## الملخص

يحتل أبو سعيد الأثاري منزلة علمية عالية بين العلماء الذين شهدتهم مصر في القرن الثامن الهجري، وكان عالماً متفنناً له أياد بيضاء في شتى ميادين المعرفة الإسلامية والعربية لسيما الحديث النبوي والعروض الشعري. ألّف الأثاري كتاباً في العروض مستقيماً معلومته من شتى المصادر، فجمع آراء مختلفة لكثير من علماء هذا الفن الجليل ونظمها نظماً بديعاً في كتاب سماه "الوجه الجميل في علم الخليل"، تناولت هذه الورقة بالدراسة الاختيارات العروضية التي قام بها الأثاري في القضايا التي ناقشها العلماء في بحور دائرة المجتلب، وهي الهزج والرجز والرمل.

الكلمات المفتاحية: الأثاري، العروض، المجتلب، الاختيارات، الهزج، الرجز، الرمل.

## المقدمة

ومن بين العلماء الذين أسهموا كثيراً في ساحة علم العروض أبو سعيد الأثاري<sup>٢</sup>، وكان كتابه الجليل "الوجه الجميل في علم الخليل" بمثابة كنز ثمين ودر منظوم في ساحة علم العروض، وقد احتوى الكتاب على كثير من هذه الآراء والمذاهب العروضية. ولم تكن مهمة الأثاري في هذا الكتاب مجرد العرض أو النقل والحكاية لهذه المسائل، بل كانت له أثناء ذلك وقفات واختيارات وترجيحات، وكان كثيراً ما يختار رأياً فيرجّحه، أو يؤيد موقفاً من مواقف العلماء تجاه مسائل عروضية معينة، فهذا المقال جاء ليتبيح ما قام به الأثاري في هذا الكتاب من اختيارات وترجيحات لجملة من القضايا العروضية. وحدود هذا البحث يقتصر على بحور دائرة المجتلب الثلاثة (الهزج والرجز والرمل) وأما الإشكالية الكبرى لهذا المقال هو ما موقف الأثاري تجاه القضايا المثارة في هذه البحور بين الترجيح والتأييد والاختيار والتوقف. وكيف أسهم بأراءه وإبداعاته في مجال الدرس العروضي؟ وما الميزات التي اتصف بها الأثاري في عرضه للقضايا ونقاشها؟ فلماذا جاء هذا المقال وهدفه الأساس إبراز كيفية الاختيارات التي قام بها الأثاري من بين الآراء العروضية المختلفة التي أوردها وأثرها في الحقل العروضي. وأتطرق إلى ذكر أقوال العلماء في القضايا المطروحة لتتجلى درجة آراء الأثاري قوة وضعفاً، وبذلك تظهر قيمتها ومدى رجاحتها بين سائر الآراء. وتسرد هذه القضايا حسب أبواب البحور الشعرية قدر الإمكان. ويتكوّن المقال من تمهيد وثلاثة محاور ثم الخاتمة.

<sup>١</sup> أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية جامعة بايرو، كنو، نيجيريا

<sup>٢</sup> هو الأثاري: شعبان بن محمد بن داود، المحدث الأديب الشيخ زين الدين الموصلي ثم المصري الشافعي. له مؤلفات منها: ألفية في النحو. وأرجوزة فيه أيضاً. وأخرى في العروض ولسان العرب في علوم الأدب. وشرح على ألفية ابن مالك في ثلاث مجلدات. وديوان شعر. توفي سنة ٨٢٨. (ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ، ج: ١، ص: ٧٥-٧٥)

## دائرة الهزج

تنسب هذه الدائرة إلى البحر الأول منها فيقال (دائرة الهزج) وذلك لأن بعض العلماء<sup>١</sup> إذا قال دائرة المجتلب عنى بها دائرة السريع (المشتبه) وأطلق ذلك على هذا. فمن سعى الدائرة الثالثة بدائرة المشتبه فإلشتباه أجزاءها بأجزاء الدائرة الثانية؛ فكلاهما سباعيًا تفاعيل، وسعى الدائرة الرابعة بدائرة المجتلب لأن الجلب في اللّغة الكثرة فلكثرة أبحرها سميت بهذا الاسم. وإطلاق المجتلب على هذه الدائرة هو ما عليه الجمهور، وهو اختيار الأثاري حيث يقول:<sup>٢</sup>

وثالث الدوائر المجتلبه      ورابع الدوائر المشتبهه  
فاجتلبوا ثلاثة على فعل      قل هزج ورجز وقل رمل

وسميت هذه الدائرة بهذا الاسم لأن تفاعيلها اجتلبت من الدائرة الأولى (المختلفة)، لأن تفاعيلها سباعية على النحو التالي: الهزج: مَفَاعِيْلُنْ × ٦، و(مفاعيلن) اجتلب من تفاعيل بحر الطويل. ثم الرجز: مُسْتَفْعِلُنْ × ٦، و(مستفعلن) مجتلب من بحر البسيط. ثم الرمل: فَاَعِلَاتُنْ × ٦، و(فَاعِلَاتُنْ) مجتلب من البحر المديد.

## المحور الأول: اختيارات الأثاري في بحر الهزج

كان للأثاري آراء ونظرات تجاه كثير من القضايا العروضية في هذا البحر، ويأتي في هذا المحور ذكر لبعض هذه القضايا مع دراسة موقف الأثاري واختياراته فيها.

## أولاً: الهزج التام

يرى بعض العلماء أن الهزج يأتي تاماً مستوفياً تفاعيله الستة كما كان وضعه الأصلي في الدائرة، إلا أن الآخرين يرون أن الهزج مجزوء دائماً وجوباً، وأن وروده تاماً من الشذوذ، فذهب أبو سعيد الأثاري مع الفريق الثاني في هذه القضية فقال:

وقل إكمال له بالأجزاء      فقل بنفسي للشذوذ يعزى

أي قول الشاعر على الهزج التام:<sup>٣</sup>

بنفسى من إذا تبدوا رأيت البد      رفي التم على غصن من البان

فأمثال لا هذه الصورة نادرة وشاذة، كما ذهب الأثاري، وعلى ذلك جمهور العلماء؛ مثلاً يقول

الأمريكاني في هذا النوع من الهزج: وشذ مجيئه تاماً كما أنشد منه بعضهم:

عفا يا صاح من سلى مراعيها      فظلت مقلتي تجري مآقيها

ومنه قول الآخر:

<sup>١</sup> - مثل ابن جني في كتابه العروض، تحقيق د. أحمد فوزي، ط: ٢٠١٩م، ص: ١١٨، والخطيب التبريزي في الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحساني حسن عبد الله، ط: ١٩٩٤م، ص: ٩٢، وغيرهما.

<sup>٢</sup> - الوجه الجميل في علم الخليل، أبو سعيد شعبان محمد الأثاري، تحقيق هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت-لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص: ٦٦

<sup>٣</sup> - الوجه الجميل، المرجع السابق، ص: ٨٨

ترقق أيها الحادي بعشاق نشاوى قد تعاطوا كأس أشواق

وقول الآخر:

أما في الست والستين من داع إلى العقبى بلى لو كان لي عقل  
وهذا كله شاذ، والمسموع التزام الجزء فيه كما تقدم<sup>١</sup> وقال العبيدي عن هذه الصور "مصنوع كله"<sup>٢</sup>  
فيبدو أن اختيار الأثاري في هذه القضية موفق، وكان مع الجمهور في ذلك.  
ثانياً: الضرب المقصور (مفاعيلن) للعروض الأولى  
يحكي الأثاري للعروض الأولى من الهزج (مفاعيلن) ضرباً ثالثاً مقصوراً، ولم يصف هذه الصورة  
بالشذوذ، حين قال:<sup>٣</sup>

فصل وجا في أول ضرب قصر مع ردفه كسر "بقلبي" قد ذكر  
فكأنه بذلك يختار إثبات هذا الضرب إذ لم ينكره حين حكاه؛ والسكوت رضا. وقد أثبت هذا  
الضرب كثير من العلماء، فنسب جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي هذا الرأي إلى بدر الدين ابن  
مالك<sup>٤</sup> وقال حماد الجوهري "ويجوز فيه القصر فينقل إلى فعولان، وبيته:  
ولو أرسلت من حبّ لوافيتك قبل الصب ح أو حين تصلين  
مقيداً، وفي إطلاقه إقواء.<sup>٥</sup> وقال الكيشوان عن هذه الصورة:<sup>٦</sup>  
وضربها سالم أو محذوف والخلف في القصر به معروف  
وحكى الأخفش للهزج هذا الضرب الثالث المقصور وشاهده عنده:  
وما ليثُ عريني ذو أظافير وأسنان  
أبو شبليين وثابب شديد البطش غرثان  
هكذا روي بإسكان النون. قالوا: والخليل يأبى ذلك. وينشده على الإطلاق بالإقواء فيكون من  
الضرب الأول.<sup>٧</sup> ونسب إلى علي بن أبي طالب شعراً على هذه الصورة:  
بنو آدم كالتبت ونبت الأرض ألوان  
فمنهم شجر الصندل والكافور والبان

<sup>١</sup>- محيط الدائرة في علمي العروض والقافية، كرنيلبيوس غان دك الأمريكي، مطبعة لبنان، ١٩٨٧م، ص: ٦٣-٦٤  
<sup>٢</sup>- الوافي بعلمي العروض والقوافي، عبد الله بن عبد الكافي العبيدي، تحقيق صباح يحيى إبراهيم، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ، ص: ٣٥٥  
<sup>٣</sup>- الوجه الجميل، المرجع السابق، ص: ٨٧  
<sup>٤</sup>- نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، تحقيق د. شعبان صلاح، دار الجيل-بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص: ٢١٦  
<sup>٥</sup>- عروض الوردية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: محمد العلمي، ط١، ١٩٨٤م، دار الثقافة-المغرب، ص: ٤٣  
<sup>٦</sup>- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الرضي، مؤسسة الرسالة-بغداد، ط: ٢٠١٩م، ص: ١٨٥  
<sup>٧</sup>- المرجع نفسه، ص: ٣٥٧

ومنهم شجر أفض ل ما يخرجُ قطرانُ

وهذه الصورة أيضاً رويت مطلقاً مضمومة، كما أورده الثعالبي في المنتحل، وكذلك نسب البيت إلى منصور الفقيه المصري لا إلى أمير المؤمنين.<sup>١</sup>

وأرى أن حمل أمثال هذه الصور على الإقواء - كما يفعل الخليل - أولى من إنشاء ضرب آخر جديد، لأنه يمكن أن يكون من الأول المعهود، وهذا الاحتمال راجح لأنه هو الأصل في هذا الضرب، والإقواء شائع عند كثير من الشعراء بما فهم الفحول، فلذلك عدّه بعض العلماء عيباً هيئاً، ومن هؤلاء العلماء ابن التركماني، فإنه يرى الإقواء عيب هيئ مقبول.<sup>٢</sup> والأخفش كان يرى ويعتقد أن العرب لا تستنكر الإقواء.<sup>٣</sup>

الثالث: العروض الثانية المحذوفة مع ضرب مثلها

يرى الأثاري أن هذه الصورة من الهزج شاذة، وإن كان لها أمثلة في بعض الأشعار، فقال عنها:<sup>٤</sup>

وشدّ فيه عنهم محذوفه "حنّت" له بقلة معروفه

وقوله "حنّت" رمز لقول الشاعر:

حنّت لا تمّتت واني لك مقروع،

وقد أثبت بعض العلماء هذه العروض، كما حكى أبو بكر القلوسى أن للهزج عروضاً محذوفة لها ضرب مثلها. وأنشد لها:

سقاها الله غيثاً من الوسعي ريا

ولكن ردّ عليه الدماميني فقال عنه: "وهو في غاية الشذوذ".<sup>٥</sup> ويقول السيد الكيشوان عن هذه

الصورة:<sup>٦</sup>

وزيد فيها أن تُرى منحذفة وضربها ياتي على هذي الصفة

والظاهر أن هذه الصورة شاذة فقد أغفلها جلّ من كتب في العروض، فلذلك اختار الأثاري أن

يشير إليها مع البيان على شذوذيتها.

<sup>١</sup> - المنتحل، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، المحقق: الشيخ أحمد أبو علي، المطبعة التجارية - عزروزي وجاويش - الإسكندرية، الطبعة: ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م، ص: ١٩٧

<sup>٢</sup> - نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، تحقيق د. شعبان صلاح، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٩٨٩ م، ص: ١٠٤

<sup>٣</sup> - كتاب القوافي للأخفش، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٠ م، ص: ٤٢

<sup>٤</sup> - الوجه الجميل، المرجع السابق، ص: ٨٨

<sup>٥</sup> - العيون الغامزة على خبايا الرامزة، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدماميني، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٢، ١٩٩٤ م، ص: ١٣٩

<sup>٦</sup> - الوافي بعلي العروض والقوافي، المرجع السابق، ص: ٣٥٥

## المحور الثاني: اختيارات الأثاري في بحر الرجز

هناك كثير من القضايا النقدية العروضية في هذا البحر التي نجد للعلماء فيها مذاهب وآراء متباينة، وقد تعرّض الأثاري لكثير من هذه القضايا واختار من الآراء من يراه أنسب وأصوب، ومن هذه القضايا ما يلي:

## أولاً: الرجز المشطور والمنهوك

يرى الأثاري أن الشعر العربي عموماً يأتي على صور مختلفة من حيث عدد التفاعيل، وذلك أن من البحور الشعرية ما يجوز فيها التشكّل في صور مختلفة كبحر الرجز الذي يأتي تاماً ومجزوءاً ومشطوراً ومنهوكاً، وهو أكثر تقلباً من كل باقي البحور الشعرية، فتفاعيله تاماً ستة، ومجزوءاً أربعة، ومشطوراً ثلاثة، ومنهوكاً تفعيلتان. فقال الأثاري في ذلك:<sup>١</sup>

والشعر في استعمالهم قد اضطرب إيراد وضع خصّه من العرب  
أقلّه بيت بجزئين يردو إن علا فعن ثمان لم يزد  
ولا تجز مخمّسا منه ولا مسبّعا وفي اليتيم قلت لا

وقد أثبت العلماء للرجز كل هذه الصور، فمثلاً يقول الزمخشري عن صور الرجز: وهو في البناء على أربعة أنواع: مسدس، ومربع، ومشطور، ومنهوك... المشطور السالم، وهو عند الخليل ليس بشعر<sup>٢</sup> ثم ذكر الأثاري ما يأتي من القرآن والأحاديث على أوزان معينة خاصة من الرجز، وأنها ليست شعراً لخلو القصد فيها لا لضعف بنائها، فلو قصد المتكلم بهذا البناء شعراً لكان، فقال في ذلك:<sup>٣</sup>

قولٌ مُفِيدٌ وَزُنُهُ مَقْصُودٌ      دُونَ الثَّلَاثِ وَضَعُهُ مَرْدُودٌ  
بِإِتِّفَاقٍ لَمْ يَكُنْ بِشَعْرٍ      مُنْسَجِمٌ كَمَا أَتَى فِي الدُّكْرِ  
مُؤَافِقًا لِكُلِّ بَحْرٍ قَدْ نَجَزَ      إِعْمَالَهُ فَقُلْ عَلَيَّ وَفِي الرَّجْزِ  
التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ      السَّائِحُونَ الرَّكِعُونَ السَّاجِدُونَ  
كَذَلِكَ وَفَقِ غَيْرُهُ إِذْ لَمْ يَرِدْ      شَعْرٌ بِهِ حَاشَا وَلَا الْبَارِي قَصْدٌ  
وَهَكَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ أَحْمَدًا      فِي إِصْبَعٍ مِنْهَا دَمٌ لَهُ بَدَا  
هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتٍ      وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَّتِ  
وَحَيْثُ قِيلَ أَعْلُ هَيْلٌ أَعْلُ هَيْلٌ      قَالَ لَهُمُ اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ  
وَقَوْلُهُ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ      وَقَوْلُهُ أَنَا إِبْنُ عَبْدِ الْمُطَلَبِ  
جَمِيعَهُ مِنْ بَابِ الْأَنْسِجَامِ      لَيْسَ بِقَصْدٍ مِنْهُ فِي الْكَلَامِ

<sup>١</sup> - الوجه الجميل، المرجع السابق، ص: ٥٩.

<sup>٢</sup> - القسطاس في علم العروض، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٨٩م، ص: ٩٨.

<sup>٣</sup> - الوجه الجميل، المرجع السابق، ص: ٥٩.

وأما الخليل فيرى أن مشطور الرجز ومنهوكه ليسا بشعر وكان يقول عنهما "أنصاف مسجعة" ولما ردّوا عليه قوله قال: لأحتجن عليهم بحجة إن لم يقزوا بها كفروا فاحتج عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نُزّه عن قول الشعر وإنشاده وقد جرى على لسانه:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وهو من المشطور وقال صلى الله عليه وسلم:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهو من المنهوك ولو كان شعرا لما جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم.<sup>١</sup>

والأخفش يرى مثل رأي الخليل في ذلك، ولكن أُجيباً بأن من شروط الشعر القصد إلى وزنه وهو عليه السلام لم يقصد الوزن، وبأنه قد جاء في بعض كلامه صلى الله عليه وسلم ما هو على تام الرجز، فيلزم أن لا يكون شعراً.<sup>٢</sup>

وردّ الزجاج على الأخفش بأن الكلمة الواقعة على وزن قطعة من الأبيات المنهوكة والمشطورة لا يكون شعراً حتى يكثر ويتكرر، وأما إذا لم يتكرر فليس شعراً. فقال الدماميني معقياً: يريد بهذا ما جهل فيه قصد قائله إلى الوزن لا يحمل على الشعر إلا إذا كثر وتكرر، فإن قرينة التكرار حينئذ تكون دالة على قصد قائله للوزن فيكون شعراً، وأما إذا لم يتكرر فلا قرينة تدلّ على القصد، فلم يجعل شعراً لذلك. أما إذا فرض أن قائله قصد الوزن على نمط المشطور والمنهوك من أول الأمر ولم ينظم منه غير بيت واحد لأطلقنا عليه الشعر لتحقق القصد فيه إلى الوزن.<sup>٣</sup>

وقد قال ابن القطاع في كتابه الشافي في علم القوافي: أنه قد رأى قوم منهم الأخفش وهو شيخ هذه الصناعة بعد الخليل أن مشطور الرجز ومنهوكه ليسا بشعر كقول النبي صلى الله عليه وسلم "الله مولانا ولا مولى لكم" وقوله صلى الله عليه وسلم "هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت" وقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب" وأشبهه هذا، قال بن القطاع: وهذا الذي زعمه الأخفش وغيره غلط بين، وذلك لأن الشاعر إنما سمي شاعراً لوجوه منها أنه شعر القول وقصده وأراده واهتدى إليه وأتى به كلاماً موزوناً على طريقة العرب مقفى فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعراً ولا يكون قائله شاعراً بدليل أنه لو قال كلاماً موزوناً على طريقة العرب وقصد الشعر أو أرادته ولم يقفه لم يسم ذلك الكلام شعراً ولا قائله شاعراً بإجماع العلماء والشعراء ويدل عليه أن كثيراً من الناس يأتون بكلام موزون مقفى غير أنهم ما قصدوه ولا أرادوه ولا يسمى شعراً كما قال بعضهم "اختموا صلاتكم بالدعاء والصدقة" وأمثال هذا كثيرة فدل على أن الكلام الموزون لا يكون شعراً إلا بالشروط المذكورة وهي

<sup>١</sup>- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، المحقق: علي محمد الجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم،

دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية، ج ٢، ص: ٥٧

<sup>٢</sup>- العيون الغامرة، المرجع السابق، ص: ١٤٢-١٤٣

<sup>٣</sup>- المرجع نفسه، ص: ١٤٤

القصد وغيره مما سبق والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا أرادته فلا يعد شعراً وإن كان موزوناً والله أعلم.<sup>١</sup>

فالآثاري يختار هذا الرأي الذي عليه ابن القطاع وغيره من العلماء من أن عدم القصد هو ما ينفي الشعرية عن الرجز المشطور والمنهوك لا صيغة بناءهما كما ذهب الخليل والأخفش، لأنه قد يقع في كلام الناس ما على الرجز التام من غير قصدٍ ولا يعد شعراً مع استيفاء الوزن، كقولهم: اسقني في الكوز ماء يا غلام، واسرج البغل وجئني بالطعام.<sup>٢</sup>

ثم إن ما احتج به الخليل من أحاديث يمكن حملها على تام الرجز ومجزؤه المقفى مثلاً، فيذلك يبطل الاحتجاج فيكون البيت الأول تاماً؛ والثاني مجزوءاً على النحو التالي:

هل أنت إلا إصبع دميت      وفي سبيل الله ما لقيت  
أنا النبي لا كذب      أنا ابن عبد المطلب

فهل يعتبران شعراً بذلك لأن البناء ليس مشطوراً ولا منهوكاً؟ ولكن على ما اختاره الآثاري فعلة عدم الشعرية باقية وهي عدم القصد، فبذلك لا يعتبر شعراً سواء جاء مشطوراً أو تاماً. وهذا ما رجّحه أبو الحسن العروضي، وقال: إن ما جرى على الاتفاق أكثر من أن يحصى ولم يعد ذلك شعراً، وإلا فينبغي أن يكون المتقارب غير شعرٍ لأنه جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول "... يكفي ابن آدم لقيمات يقمن صلبه: ((فثلثُ طعام، وثلثُ شراب، وثلثُ نفس)) فهذا من المتقارب، وهو عند الخليل وعند جميع الناس شعر.<sup>٣</sup>

وعلى هذا التصور جاءت مذاهب العلماء في عروض مشطور الرجز ومنهوكه، هل هما صورتان قائمتان بذاتهما من صور أعرابى الزجز أم لا؟ فحكاها أبو سعيد الآثاري هذه المذاهب فقال:<sup>٤</sup>

قيل عروض دون ضرب أثبتا      وعكسه عن ابن قطاع أتى  
وقيل بل ثانيه أولى حيث لا      يصح تبويض به فاستكملا  
وقيل بل كلاهما قد جمعا      في واحد وقيل ذا قد منعا  
وقيل جزء في العروض يقبل      ونهك ضرب بعد ذاك يعمل  
يعكسه قوم وقيل انهكهما      مذنباً بعد بجزء فهما  
وقال قوم تسقط المصرعه      وهو حرٍ من دونها أن تتبعه

<sup>١</sup> - نقلاً عن: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، ج: ١٢، ص: ١١٩

<sup>٢</sup> - شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ج: ٥، ص: ١٩

<sup>٣</sup> - الجامع في العروض والقوافي، أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، و هلال ناجي، دار الجيل- بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ، ص: ١٩٢-١٩٤

<sup>٤</sup> - الوجه الجميل، المرجع السابق، ص: ٨٩



ومتهم الساويّ وابن الحاجب  
وإنما الصواب أن يقالا  
لأن بالتصريح تغيير البنا  
وهو أصح مذهب للطالب  
ففيها المقفاة فطب إعمالا  
ففيها لأجله ولا خلف هنا

والقول السابع الأخير هو ما اهتار الأثاري؛ وهو أن المشطور يضاف إليه الشطر الثاني ويعتبر متمماً للأول، وإن لم يكن بعده شطر آخر فيعتبر بذلك بيتاً وإلى هذا مال الساوي وابن الحاجب كما أوما الأثاري، فالساوي عند قوله: <sup>١</sup>

وَعَنْ بَعْضِهِمْ أُولَى الْأَعَارِضِ صرَعَتْ وَاحِرٌ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَتَنَخَّلَا

وابن الحاجب بقوله: <sup>٢</sup>

فَصَبَّرُوهَا مِنْ الْأُولَى مُصْرَعَةً وَذَلِكَ أَقْرَبُهَا قَوْلًا لِمَنْ عَدَلَا

فالأفضل فيما يراه الأثاري ومعه هؤلاء الأجلة أن يلقق كل الأسطار حتى يتشكل البيت التام إلى آخر الأسطار، فإذا بقي الشطر الأخير بلا شفع ترك وحيداً، وفي هذه الحال يعتبر الشعر مصرعاً، أو كما استدرك الأثاري فقال بل "مقاة" ولعلهم قالوا مصرعة على التصريح البلاغي لأنه لا يشترط فيه التغيير في العروض أو الضرب. <sup>٣</sup>

وفي ما ذهب إليه الأثاري ردّ الفرع إلى الأصل، لأن البيت في الأصل شطران، فمتى وجد الشطر الأول ينبغي أن ينتظر الشطر الثاني، فكل ما جاء بعد هذا الشطر الأول يعتبر متمماً له على التصريح، وليس مؤسساً لبيت آخر جديد.

ثانياً: العروض الأولى مع ضرب ثالث مذال (مستفعلن) ورابع مقطوع مذال (مفعولان)

يرى كثير من العلماء أن لهذه العروض الأولى الصحيحة ضرباً ثالثاً مذال؛ فقد أنشد قطرب في ذلك قول الشاعر:

هل تعرف الدارَ عفا أرسَمَها كل ملثّ ذي أهاضيب سجوم

ومتهم من حمل هذا البيت على مذال الكامل. وكلاهما شاذ لأن المذال في الكامل لم يجرى إلا مجزوءاً. <sup>٤</sup> وما دام أن هذه الصيغة شاذة في كلا البحرين فأرى أن تنسب إلى شواذ الرجز أقرب، لأن التفاعيل جاءت على أصل الرجز (مستفعلن) وليس فيها ما جاء على تفعيلة الكامل (متفاعلن). قال بن

<sup>١</sup> - القصيدة الحسناء صدر الدين محمد بين ركن الدين بن عثمان الساوي، تحقيق حسام الدين مصطفى محمد، موقع الألوكة، ص: ٢٨

<sup>٢</sup> - نهاية الراغب، المرجع السابق، ص: ٦٣

<sup>٣</sup> - تحرير النخب في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، تقديم وتحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص: ٣٠٥

<sup>٤</sup> - الوافي بعلي العروض والقوافي، المرجع السابق، ص: ٣٦٧-٣٦٨

رشيق في العمدة " وفي الكامل متفاعلان المذال، وفي الرجز شاذ، أنشده أبو زهرة النحوي في كتاب العروض، وهو:<sup>١</sup>

كأنني فوق أقب سهوقاً جأب إذا عشر صاتي الإرنان

وذكر العبيدي هذه الصورة واستشهد لها بهذا البيت ونسبه إلى النظار الفقيسي، وأشار من طرف خفي إلى أنه هذه الصورة لا وجود لها في الشعر العربي فقال "ويوجد هذا في الشعر الفارسي ويسمى المذنب"<sup>٢</sup> هذا ما ذهب إليه عامة العلماء، إلا أن الأثاري كانت له نظرة أخرى، فهو يرى جواز وقوع هذين الضربين في أنواع الرجز، وهذا هو مذهب ابن معطي أيضاً وبعض العلماء، فقال الأثاري في ذلك:<sup>٣</sup>

وللذي قد جاء فيه القطع مذنباً وفيه أيضاً خلع

تلقى الندى ومخلدا حليفين كانا معا في مهده رضيعين

تنازعا فيه لبان الثديين وللسريع شبه بالزحفين

وقد أجاز ذلك "ابن معطي" وغيره والبعض فيه مخطي

ألا ترى قد أنكر "الخباز" والحق في كليهما الجواز

فالأثاري يختار جواز وقوع هذين الضربين في الرجز، وهذا الرأي مخالف لما عليه الجمهور من العلماء، حيث أنكروا وقوع ذلك.

ثالثاً: الرجز اليتيم

ويسمى مؤدأً أو مقطوعاً، هو الشعر الذي يبني كي بيت منه على تفعيلة واحدة، وقد تقرّر عند الأثاري أن الشعر لا يكون أحادي التفاعيل أو خماسيها أو سباعيها كما سيأتي، فعلى هذا كل ما جاء على واحد من هذه الأشكال لا يعده الأثاري شعراً، ومما يقول في ذلك الآتي:<sup>٤</sup>

أقله بيت بجزئين يرد وإن علا فعن ثمان لم يزد

ولا تجز مخمساً منه ولا مسبعاً وفي اليتيم قلت لا

دليله قالت هبل ما ذي الحيل هذا الرجل حين احتفل أهدي بصل

وبالفريد قال فيه من نظم طيف ألم بذني سلم بين الخيم

يطوي الأكم تحت الغسم أولى نعم تشفي السقم والجزء بيت ينتظم

واختاره الفراء والمبرد موحداً والمنع عندي أجو

وهو صريح مذهب القطاع لخلو بيته من المصراع

هذا إذا أوترت أما الشفع فليس فيه للعروضي منع

<sup>١</sup>- العمدة في محاسن الشعر وأدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، المحقق: محمد محيي الدين، عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة:

الخامسة، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م، ج ١، ص: ١٤٦

<sup>٢</sup>- الوافي بعلمي العروض والقوافي، المرجع السابق، ص: ٣٦٨

<sup>٣</sup>- الوجه الجميل، المرجع السابق، ص: ٩٠

<sup>٤</sup>- المرجع نفسه، ص: ٥٩- ٦٠

جزء عروض ويليهِ الثاني ضرب كمنهوك من الأوزان  
 مقطّع كقولهم موسى القمر غيث زخر يحيي البشر مثل المطر  
 وإنما جيء به مصرعا واجعله إن أوترته مسجعا  
 فالآثاري يشير إلى أن الفراء والمبرد يعتبران الموحّد شعراً، ولكنه يرى أن الصحيح منع ذلك، وقد شارك  
 الزجاجُ الفراء والمبرد في هذا الرأي، واستدل بقول سلم الخاسر وهو يمدح موسى الهادي:<sup>١</sup>  
 موسى المطر غَيْثٌ بَكَرٌ يُحْيِي البِشْرَ  
 وممن يذهب مع الآثاري في رأيه من منع ذلك ابن القطاع كما أشار إلى ذلك البيت. وأما عن شواهد هذه  
 الصور فإن الآثاري له تخريجٌ آخر له بأن يشقّع التفعيلتان فيكونا مثل المنهوك؛ في كل سطر تفعيلتان  
 مثل:

موسى المطر غَيْثٌ بَكَرٌ

يُحْيِي البِشْرَ مثل المطر

وأرى أن هذا وجهٌ سائغٌ ووجيه حيث لا مانع من هذا الاعتبار، فيضّم كل جزء إلى ما بعده فيكون في  
 جزئين، وهو أقل ما يتألف منه بيت شعري، ويعتبر بذلك منهوكاً، وإن لم يمكن ذلك بأن وجد جزءٌ منفردٌ  
 ليس له ما يشقّعه فإنه يعتبر مقطوعاً أو مسجعاً وليس بشعر. ويؤيد اختيار الآثاري ما جاء عن العبيدي  
 من قوله "فعدم تسميتهم ما كان على جزء واحدٍ شعراً أولى، إنما هو نثر"<sup>٢</sup> ويرى مثل ذلك عبد الحميد  
 الراضي حيث قال "وأكثر أهل العروض على أنه ليس بشعر" واستشهد بقول الناظم السيد الكيشوان:<sup>٣</sup>  
 ومثله المنهوك والمشطور وما يرى موحّدً منكور

ويتفق الخليل والأخفش على أن ما كان على جزء واحد نحو (مستفعلن) ليس بشعر، هذا من باب أولى  
 لأنهما لم يعتبروا المشطور والمنهوك شعراً.

المحور الثالث: اختيارات الآثاري في بحر الرمل:

أولاً: الرمل التام الصحيح العروض والضرب:

أشار الآثاري إلى أن استعمال الرمل تماماً صحيحاً من الشذوذ، إذا لم يرد على ذلك شعر غزير  
 وصحيح يحتج به، فقال في ذلك:

وشذّ "ما" يأتي به الإكمال وليس للكف به إعمال

و "ما" في البيت إشارة إلى الشاهد وهو قول الشاعر:

ما لقلبي لا يبالي بلام في سليبي لا لا يعطي القيادا

ومن أمثلة هذه الصورة قول الشاعر:

<sup>١</sup>- شرح عروض ابن الحاجب، المرجع السابق، ص: ٧٤

<sup>٢</sup>- الوافي في العروض والقوافي، المرجع السابق، ٣٨٣

<sup>٣</sup>- شرح تحفة الخليل، المرجع السابق، ص: ١٩٤

يا خليلي اعذراني إنني من حب سلمي في اكتئاب وانتحاب

ومنه قول المتنبي:

إنما بدر بن عمار سحابٌ هطلٌ فيه ثواب وعقاب  
إنما بدر رزايا وعطايا ومنايا وطعان وضراب

فقال الواحدي عند شرح هذه الأبيات "هذه القطعة مضطربة الوزن وهي من الرمل وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن وهو الأصل في الدائرة ولكن لم يستعمل العروض ههنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن" ونقل يوسف الدمشقي قول القاضي أبي الحسن عن هذه القصيدة "وقد عيب على المتنبي قوله في البيت السابق، لأنه أخرج الرمل على فاعلاتن، وأجرى جميع القصيدة على ذلك في الأبيات غير المصرعة، وإنما جاء الشعر على فاعلن وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن."<sup>١</sup> وأنكر السكاكي أيضاً على المتنبي صنيعة هذا<sup>٢</sup> وقال ابن وكيع "قال العروضيون: هذا البيت صحيح لأنه مصرع فتبعت عروضه ضربه فأما ما بعده من هذه القطعة فمضطرب الوزن وهي من الرمل لأنه جعل العروض فاعلاتن والعروض هاهنا لم يستكمل إلا محذوفة السبب ووزنها فاعلن"<sup>٣</sup>

يستنتج مما سبق أن الرمل إذا جاء تاماً لا تكون عروضه صحيحة إلا في البيت الأول؛ وذلك لأجل التصريح، ثم تتحول إلى المحذوفة، وأما إن استمرت صحيحة من أول القصيدة إلى آخرها فأمر شاذ لا يعرفه النظام العام للشعر العربي وإن جاء على أصل الدائرة. وأما أن تأتي صحيحة في التصريح الداخلي فمقبول لا ينكر كما قال التنوخي ذلك، بل هو دليل على البلاغة والاعتدال على الصنعة. ويستحب أن يكون ذلك عند الخروج من قصة إلى قصة"<sup>٤</sup>

ومعظم الأبيات السابقة لا إشكال فيها على ما سبق لأنها مفردة يصح فيها التصريح، وأما قصيدة المتنبي فإن فيها الشذوذ لأنها جاءت كلها مصرعة كما أقر ذلك الجرجاني في الوساطة قائلاً "فإنه أخرج الرمل على فاعلاتن في العروض، فأجرى على ذلك جميع القصيدة في الأبيات الغير مُصرّعة، وإنما جاء الشعر منه على فاعلن؛ لكن أصله في الدائرة فاعلاتن، وإن كان غير محفوظ عن العرب."<sup>٥</sup> ففي الخلاصة إن اختيار الأثاري هو ما عليه الجمهور من اعتبار هذه الصورة من الرمل شاذة.

<sup>١</sup>- شرح ديوان المتنبي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، دت، ص: ١١٤

<sup>٢</sup>- الصبح المنبي عن حثية المتنبي، يوسف البديعي الدمشقي، المطبعة العامرة الشرفية، ط: ١، ١٣٠٨ هـ، ص: ٣٢١

<sup>٣</sup>- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي أبو يعقوب، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ، ص: ٥٤٦

<sup>٤</sup>- المنصف للسارق والمسروق منه، الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع، حققه وقدم له: عمر خليفة بن ادريس، جامعة قات يونس، بنغازي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م، ص: ٦٣٥

<sup>٥</sup>- القوافي، القاضي أبو يعلى عبد الباقي التنوخي، تحقيق: الدكتور عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة: الثانية، ١٩٧٨ م، ص: ٧٦

<sup>٦</sup>- الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجواوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص: ٤٦٨

## ثانياً: العروضة الثالثة المجزوءة المحذوفة مع ضرب مثلها

حكى الأثاري أن من العلماء من يرى ورود الرمل المجزوء بالعروض والضرب الحذوفين، وخصّ منهم الزجاج بالذكر فقال:<sup>١</sup>

فصل وللزجاج زد محذوفه مع ضربها بفاعلن معروفة  
والجزء حاصل "كبؤس" أشبهت شطر المديد بالذي به أتت  
قال الزجاج: والذي رأيتُ زائدا في هذه العروض عَروضٌ ثالثة ولها ضَرب واحد ، وهي على أربعة أجزاء:<sup>٢</sup>

فاعِلَاتُنْ فاعِلُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلُنْ

بُؤْسَ لِلحَرْبِ التي غادَرتْ قَومي سُدَى

وقال أبو إسحاق عن الضرب الثاني: وأكثر ما رأيتُه جاء في هذه العَروض (فَعِلُنْ). رَوّوا شِعرا يُقال إنّه لأخت تَابَّطُ شراً ، وهو:<sup>٣</sup>

لَيْتَ شِعري ضَلَّةً أَيُّ شَيْءٍ فَتَلَّكَ

أَمْرِيضٌ لَمْ يُعَدِّ أَمَّ عَدُوِّ خَتَلِكَ

كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلْقَى أَجَلَكَ

والمنايا رَصَدٌ لَلْفَتَى حَيْثُ سَلَّكَ

ولكن يرى البعض أن هذا من المديد المشطور كالزَمْخَشري ونقله الزجاج عن الخليل.<sup>٤</sup> ولكن الأثاري أنكر عليهم ذلك واختار أن يلحقَ بالرمل فقال<sup>٥</sup>

ولم يكن إلحاقه هذا العمل من المديد جيداً بل الرمل

إذ ليس للمديد مشطور ولا في أخويه والزحاف فيه أسجلا

ويؤيد السيد الكيشوان القول بأن المديد لا يشطر فقال:<sup>٦</sup>

فالأفضل أن يلحق هذه الصورة بالرمل المجزوء لا المديد الشطور. ويرى الشنتريني أيضاً أن هذا من شواذ الرمل.<sup>٧</sup> فهو لا يراه من المديد، وليس من الأعراب الأصيلية للرمل كما ذهب الزجاج، بل عدّه من الشواذ في باب الرمل.

<sup>١</sup> - الوجه الجميل، المرجع السابق، ص: ٩٣

<sup>٢</sup> - كتاب العروض، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: سليمان أحمد أبو ستة، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس-العدد الثالث، رجب - رمضان

١٤٢٥هـ / سبتمبر-نوفمبر ٢٠٠٤م، ص: ٧٩

<sup>٣</sup> - كتاب العروض للزجاج، المرجع السابق، ص: ٧٩-٨٠

<sup>٤</sup> - الوافي بعلمي العروض والقوافي، المرجع السابق، ٣٩٦

<sup>٥</sup> - الوجه الجميل، المرجع السابق، ص: ٧٢

<sup>٦</sup> - شرح تحفة الخليل، المرجع السابق، ص: ١١١

<sup>٧</sup> - المعيار للشنتريني، المرجع السابق، ص: ٦٨

- ومما سبق يتضح الأثاري مع معظم العلماء في منع وقوع المديد مشطوراً، وأن الأبيات التي جاءت على هذه الصورة يمكن حملها على الترتيب الآتي:
- أنه تام المديد صرعت جميع أبياته؛ وإن كان في التمام شذوذ فإنه الأصل كما في الدائرة، ثم إن شذوذ التمام أحسن من شذوذ النقصان.
  - أنه من الرمل المجزوء، وعروضها وضربها محذوفان، ويكون بهذا الاعتبار أصيب وزن الرمل بالجزء.

### الخاتمة

ظهرت للقارئ شخصية الأثاري من في هذه الورقة، وسلطت أضواءً على بعض الاختراعات التي يقوم بها في كثير من القضايا العروضية، حيث اتخذت الورقة كتابه "الوجه الجميل"، منطلقاً لهذه الدراسة، وبعد الدراسة لاختياراته العروضية في دائرة المجتلة من هذا الكتاب توصلنا إلى جملة من النتائج، والتي من أهمها ما يلي:

- ١- تجلّى لنا مما سبق أن الأثاري تناول كثيراً من القضايا العروضية في كتابه "الوجه الجميل" وقد أبدع وأحسن صنعاً في وضع هذه المنظومة حيث ضمّها كثيراً من رموز الشواهد مع المحافظة على الانسجام التام من دون إدخال بالمعاني أو الألوذان.
- ٢- ولم تكن مهمة الأثاري في هذا الكتاب مجرد العرض أو النقل والحكاية لهذه المسائل والقضايا، بل كانت له أثناء ذلك وقفات واختيارات وترجيحات واجتهادات.
- ٣- أن الأثاري يقيم بترجيح رأي على آخر عن هوى تعصب، بل حسبما هداه اجتهاده بغض النظر عن أصحاب الآراء التي يؤيدها أو يعارضها.
- ٤- عارض الأثاري آراء أجلة من علماء العروض، وكان كثيراً ما يصحح بأسمائهم، وممن صحح كثيراً بأسمائهم الأخفش، المبرد وابن القطاع والفراء والساوي والزجاج وابن الحاجب، وغيرهم.
- ٥- كان الأثاري أكثر موافقة للجمهور في كثير من المواقف، وإن كان قد خالفهم في بعضها لما يصحبه من حجج فيما ذهب إليه، فيكون مع القلة، أو حتى
- ٦- في بعض الأحيان يلمح الأثاري ولا يذكر الأسماء، بل يكتفي بعرض الحقائق والقضايا الآراء بعيداً عن ذكر أصحابها؛ فيقول "وقيل" و "عن بعضهم" و "شد" و "قل" وهو يرمي بذلك إلى آراء كثير من العروضيين؛ مثل الجوهرى، وأبو الحسن العروضي والزمخشري وحتى الخليل في بعض المواقف.
- ٧- أن الأثاري يختار قولاً للخليل أو الأخفش، وقد يخالفهما في بعض الأحيان، وقد يرجح قول أحدهما على الآخر، كما وجدناه يخالفهما فيختار آراء لغيرهما من العلماء ويؤيدها، فهذا يدل على أن الأثاري حياديّ منصفٌ في مناقشته وترجيحاته لا يختار للرجل قولاً على الدوام.

- ٨- أن الأثاري يذكر بعض القضايا ثم لا يصرح بموقفه معارضة ولا تأييداً، فيفهم من موقفه من ذلك بالسياق، كما جاء ذلك في حديثه عن الضرب المقصور من الهزج، فيعتبر ذلك رضاً وقبولاً منه لهذه الصيغة.
- ٩- كان الأثاري لطيفاً في تعامله مع غيره من العلماء، فقد تجلّى أدب الخلاف في مناقشاته الآراء، فلا يهاجم على من يخالفه أو ينسب إليهم الجهل والقصور، بل يتحاول بكل الهدوء والاحترام.

### التوصية

وفي الأخير أوصي الدارسين في مجال علم العروض أن يهتموا بالكتب الأمهات في هذا المجال، خاصة المنظومات منها، فإن بها درراً كامنة ومعلومات قيمة ومفيدة. وبخصوص هذا الكتاب فإنه يجدر بالدارسين أن يفرغوا لدراسته من جوانب مختلفة، أو حتى من هذا الجانب "الاختيارات" لأن هناك الكثير منها، ولا يسع مثل هذا المقال الصغير الإحاطة بها.

### المصادر والمراجع

- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، تحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- الجامع في العروض والقوافي، أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، تحقيق: د. زمير غازي زاهد، و هلال ناجي، دار الجيل- بيروت، ط١، ١٤١٦هـ
- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الرضي، مؤسسة الرسالة -بغداد، ط: ٢، ١٩٢٤م.
- شرح ديوان المتنبي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، د.ت.
- شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- الصبح المنبي عن حثيثة المتنبي، يوسف البيديعي الدمشقي، المطبعة العامرة الشرفية، ط: ١، ١٣٠٨ هـ
- عروض الورقة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: محمد العلمي، ط١، ١٩٨٤م، دار الثقافة- المغرب
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، المحقق: محمد محي الدين، عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م
- العيون الغامزة على خبايا الرامزة، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمامي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٢، ١٩٩٤ م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، المحقق: علي محمد الجاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة -لبنان، الطبعة: الثانية
- القسطاس في علم العروض، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٨٩م.
- القصيدة الحسناء، صدر الدين محمد بين ركن الدين بن عثمان الساوي، تحقيق حسام الدين مصطفى محمد، موقع الألوكة.
- القوافي، القاضي أبو علي عبد الباقي التنوخي، تحقيق: الدكتور عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة: الثانية، ١٩٧٨ م
- كتاب العروض، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: سليمان أحمد أبو ستة، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد السادس-العدد الثالث، رجب -رمضان ١٤٢٥هـ/ سبتمبر-نوفمبر ٢٠٠٤م،
- كتاب القوافي للأخفش، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٠م.
- محيط الدائرة في علمي العروض والقافية، كرنيليوس غان ذلك الأمريكي، مطبعة لبنان، ١٩٨٧م.
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي أبو يعقوب، ضبطه وكتبه همامه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ

## أفكار التعلم والتعليم الحديثة في منظور ابن خلدون

السيدة/ أم سلمي ن<sup>١</sup>

الدكتور/ محمد نور الأمين وي<sup>٢</sup>

### الملخص

اشتهر عبد الرحمن بن خلدون التونسي بكتابه المشهور "المقدمة" وهو المعروف بـ "مؤسس علم الاجتماع الحديث"، التربية والتعليم من الأركان الأساسية في حياة الإنسان، ولابن خلدون أفكار وآراء مهمة حول التربية والتعليم، وقد ذكر عن هذه الأفكار في مقدمته المشهورة، يبين فيها عن آرائه في عملية التعليم والتعلم، وقد تناسب هذه الآراء لأفكار التربية الحديثة، ومنها أن لا يخلط على المتعلم علمين معاً، وأن لا يطيل الفواصل بين درس وآخر وملازمة العلماء والشيوخ وغيرها.

الكلمات المفتاحية: التربية، المنهج، المعلم، المتعلم، ابن خلدون، المقدمة، الأفكار، التلقين، الخلط

### المقدمة

البحث التربوي من الموضوعات المهمة التي شغلت اهتمام الدارسين في كل العصور، يتناول هذا البحث عن منهج ابن خلدون في التربية من خلال نظرياته التي عرضها في كتابه المشهور "المقدمة"، وله أفكار قيمة في عملية التربية والتعليم، ويتكلم عن المعلم والمتعلم وصعوبات التعلم ونظرياته فيه ووضع شروطاً للمعلم والمتعلم معاً، إنه ذكر كل هذه الأمور في الباب السادس من مقدمته المشهورة. وهذه الدراسة تهدف إلى تحليل أفكار ابن خلدون في التربية والتعليم وأن يوصل آرائه القيمة إلى الجيل الجديد كي ينتفعوا منها.

### المشكلة والأسئلة

هناك أفكار وآراء كثيرة حول التربية والتعليم، وقد تناولها العلماء في كل من العصور، فعلى رجال العلم أن يتبعوا الطرق الناجحة والمفيدة في عملية التربية والتعليم، وقد ذكر ابن خلدون كثيراً من المسائل لتكون التربية مفيدة ولكنها غير واضحة للقراء، وهذه الدراسة التحليلية ستكون حلاً لهذه المشكلة ومفيداً للقراء ورجال العلم في مجال درسيهم وتدريسهم.

### المنهج

اختارت الباحثة في هذه الدراسة المنهج التحليلي، إن لابن خلدون آراء وأفكار قيمة في عملية التربية والتعليم، فوجدت الباحثة أن تحليل هذه الآراء والأفكار سيكون مفيداً للمعلمين والمتعلمين في العصر الحديث، وليس هناك أي منهج لشرح أفكاره التربوية أفضل من المنهج التحليلي.

<sup>١</sup> باحثة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية بي. تي. أم الحكومية، فارندلنا

<sup>٢</sup> مشرف البحث وأستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية بي. تي. أم الحكومية، فارندلنا



## التحليل والمناقشة

البحث التربوي من الموضوعات المهمة التي لها أهمية كبرى في كل من العصور، وليست التربية بعملية خلق معدومة عند الإنسان ولكنها صقل وتطوير وتهذيب لما هو موجود عنده من استعدادات وقدرات.<sup>١</sup> إن ابن خلدون يحتل مكانة متميزة في تراثنا العربي والإسلامي وحتى في الفكر الغربي المعاص، وقد تناول في مقدمته عددا من العلوم، وكان لعلوم اللسان النصيب الأوفر والجزء الأهم، حيث بنى اللسان العربي على أربعة أركان ورتبها مراتب متفاوتة ومختلفة بحسب المقاصد التي يقصدها المتكلم، وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة.<sup>٢</sup> والعلامة ابن خلدون يعد موسوعة علمية تناولت شتى حقول المعرفة العلمية، فأفكاره التربوية لا تقل أهمية عما تذهب إليه اللسانيات التربوية الحديثة.<sup>٣</sup>

يعتبر الفكر التربوي الخلدوني من أهم الإسهامات العلمية في الفكر التربوي، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون التونسي، وقد اشتهر كرجل علم وكبجائة، له معرفة واسعة عن الأمور ولفت أنظار الأمراء والسلاطين والحكام وجذب اهتمامهم بأرائه القيمة وقد تناول ابن خلدون كثيرا عن التعليم، فتكلم عن تعليم العلوم وتعليم الصنائع أو تعليم اللغة دون أن يذكر التربية وأن يتناولها بالتعريف وكأنه يتحدث عن أمور اعتيادية لا تحتاج إلى تعريف. وإنما العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري. ولم يكن فضل المقدمة "كتاب العبر وديوان المبتدئ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" على العلوم فحسب، بل كان فضلها عظيما على الآداب وأسست علما جديدا هو علم الاجتماع.

فقد أكد ابن خلدون أن عملية التعلم والتعليم طبيعية في العمران البشري. فالإنسان متميز عن سائر خلق الله بالفكر الذي يهتدي به، فهو تَوَاقٍ إلى تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، فينشأ عن ذلك موقف تعليمي، وتقوم عملية التعلم على ثلاثة أعمدة وهي: المعلم والمتعلم والطريقة. وتتحقق الأهداف التربوية والتعليمية بمقدار ما يتوفر لهذا الموقف التعليمي من شروط<sup>٤</sup>، وقد قال ابن خلدون: "اعلم أن العلوم البشرية خزانها النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الإدراك الذي يفيدها ذلك الفكر المحصل لها التصور للحقائق أولا بإثبات العوارض الذاتية لها أو نفيها عنها ثانيا<sup>٥</sup>.

أورد ابن خلدون في أثناء تحديده للمنهج التربوي السليم شروطا دينية ودنيوية، ينبغي على المعلم والمتعلم التحلي بها حتى تكون عملية التعليم ناجحة ومثمرة، فمن البديهي أن الإنسان لا يتعلم أية خبرة أو

<sup>١</sup>diwanalarab.com<sup>٢</sup>المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٤٢<sup>٣</sup>diwanalarab.com<sup>٤</sup>وأبن الأزرق، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٤، ص ٧٩<sup>٥</sup>المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٢٨

مهارة فكرية إلا إذا كان حاصلها على الشروط اللازمة للقيام بمثل هذه العملية<sup>١</sup> وتنحصر هذه الشروط في المبادئ الآتية:

### شروط المعلم أو المربي

يذهب ابن خلدون إلى أنّ العلوم كلها واحدة ولكن تختلف صناعتها ونجاحها وفشلها مرتبط بالقياسين عليها، فالمعلمون هم سند لهذه الصناعة، ولذلك لا بدّ أن يتوفر شروطا خاصة فيهم، ومن أهمّ تلك الشروط:

- الإحاطة بمبادئ التعليم وعدم الشدّة على المتعلمين
- المعلم هو العنصر الأساس في العملية التربوية، العلماء هم ورثة الأنبياء، فعلى المربي أن يكون قادرا على التعليم وذا كفاءة غير مستبدّ. ولا يكون قاسيا غليظا مع المتعلم، وذلك أن إرهاف الحدّ بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعنف والقهر من المتعلمين أو الممالك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير مافي ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه القهر والخديعة<sup>٢</sup>. التعلّم كما ورد على لسان ابن خلدون صناعة شأنها شأن باقي الصناعات الأخرى، فنجاحها وفشلها يرتبطان بالقائمين عليها.
- الإيجاز المفيد في تقديم المسائل العلمية وحسن الإنتقاء
- دعا ابن خلدون إلى عدم الإستكثار من العلوم الآلية، فإن الإشتغال والإستكثار من المسائل يصير في رأيه من باب اللغو، ويقول ابن خلدون: "وهذا كما فعله المتأخرون في صناعة النحو لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلا واستدلالا، وأكثروا من التعاريف والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة لذاتها، وربما يقع فيها لذلك أنظار ومسائل لا حاجة بها في العلوم المقصودة بالذات فتكون لأجل ذلك من نوع اللغو، وهي مضرّة أيضا بالمتعلمين على الإطلاق<sup>٣</sup>.
- ونبه ابن خلدون إلى أن الإختصار المخل سيحدث لا محالة ضررا في إيصال المعاني والإكتثار منها في العلوم يخل بالتعليم، ذهب كثير من المتأخرين إلى إختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها ويدنون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم<sup>٤</sup>.
- المتابعة والإستمرار في تلقين العلوم وعدم الخلط بين الفنون

<sup>١</sup>diwanalarab.com

<sup>٢</sup>المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٩٧

<sup>٣</sup>المقدمة، ابن خلدون، ص ٧٠٠

<sup>٤</sup>المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٨٨

لا يجوز للمعلم أن ينتقل من مسألة علمية إلى مسألة أخرى قبل فهم المتعلم للمسألة الأولى، فعلى المعلم أن يستمر في تلقين المسألة الواحدة إلى أن ينتهي منها ويتحقق أن المتعلم قد استوعبها، وكذلك لا يجوز للمعلم أن ينقطع بين المجالس والتفريق بينها، لأنها يؤدي إلى النسيان وعدم تعلق المسائل بعضها ببعض، يقول ابن خلدون: "وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض".<sup>١</sup>

- عدم اشتغال المتعلم بعلمين في وقت واحد  
ينته ابن خلدون إلى عدم الخلط بين المسائل ويقول: "ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا، فإنها حينئذ قل أن يظفر بواحدة منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما".<sup>٢</sup> ويوضح هذا طريقة التلقين بعدم الخلط بين علمين، لأن ذلك يؤدي إلى خيبة الأمل.
- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين  
هناك فروق فردية بين المتعلمين، نفسية كانت أو جسمية أو بيئية. فعلى المعلم أن يراعي هذه الفروق لأنها تؤثر على ذكاء المتعلم وقدرة استيعابه. ويقول ابن خلدون: "وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه".<sup>٣</sup>
- الحث على الممارسة والتحلي بالتدرج والتكرار في عرض المادّة  
يقول ابن خلدون عن طريقة تلقين العلوم إنما يكون "مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا، يلقي عليه مسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم".<sup>٤</sup> فيجب على المعلم أن يبدأ بالشئ الواضح من العلم قبل الغامض وبالبسيط قبل المعقد وبالجزء قبل الكل وبالعلمي قبل النظري، وبالمحس وسقبل المجرد. فعلى المعلم أن يوضح المهم والمغلق<sup>٥</sup>. وعليه أن يتكرر التلقين، ويقول ابن خلدون عن التكرار: "وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك".<sup>٦</sup>
- إن كثرة الإختصارات المؤلفة في العلوم تخلّ بالتعليم

<sup>١</sup> المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٨٩

<sup>٢</sup> المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٢٣

<sup>٣</sup> المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٨٩

<sup>٤</sup> المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٨٩

<sup>٥</sup>diwanalarab.com

<sup>٦</sup> المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٨٩

وهذا يوافق الابحاث التربوية المعاصرة في أن المتعلم يجب أن يستعدّ للتعلم، وأن لا يرغب على تلقي العلوم دون الإستعداد الكافي، لأنّ عدم الإستعداد والإرغام يضيع الجهود المبذولة في التعليم.<sup>١</sup>

#### • طرق التدريس

أجاز ابن خلدون للمعلمين استخدام الطريقة التي تناسب قدرات وميول وإمكانيات الطلاب لأنّ التعليم عنده صناعة. والصنّاع يختلفون في طرق صناعتهم، ولكل صناعة طرق مختلفة، وللمعلم أن يستخدم الطرق الملائمة لتحقيق الأهداف، ويتفق لهذا الرأي رجال التربية في الوقت الحاضر من أنّ أحسن الطرق هي التي تناسب المادة الدراسية ومستوى الطلاب، ويشجع ابن خلدون على استخدام طريقة المناقشة في التعليم، وانتقد ابن خلدون طريقة الحفظ.<sup>٢</sup>

#### شروط المتعلم

يحدّد ابن خلدون شروطا للمتعلم أيضا لكي يكون عمليته نافعة ومفيدة، فعليه أن يحافظ على هذه الشروط، فتكون دراسته ناجحة وستوصله إلى الغرض المقصود من التربية. ومن هذه الشروط:

#### ١- الإصغاء أو السمع

على المتعلم أن يصغى لمعلمه ويستوعب العلوم المختلفة عنه، أنّ ملكة السمع هي الحاسة الأولى التي تساهم في عملية التعلم، لأنّ الإنسان يسمع قبل أن يتكلم، وهذه الملكة تحصل في رأي ابن خلدون: "بممارسة كلام العرب وتركه على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك".<sup>٣</sup>

#### ٢- الإستعداد

على المتعلم الإستعداد للتعلم والتفرغ للعلم، فإنّ قبة العلم والإستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً، ويكون المتعلم في أوّل الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلاّ في الأقلّ وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية ثم لا يزال الإستعداد فيه يتدرّج قليلاً قليلاً. ولن يكون ذلك إلاّ بالعلاقة العاطفية بين المعلم والمتعلم. يقول ابن خلدون: "واعلم أيها المتعلم أنّي أتحنك بفائدة في تعلّمك فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة، وأقدّم لك مقدّمة تعنيك في فهمها وذلك أنّ الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وهو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ، ثمّ الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلّم سداده من خطئه".<sup>٤</sup>

<sup>١</sup>cte.univ-setif2.de

<sup>٢</sup>cte.univ-setif2.de

<sup>٣</sup>المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٥٥

<sup>٤</sup>المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٨٩

<sup>٥</sup>المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٩١

## ٣- مرافقة وملازمة شيوخ العلم والرحلة في طلب العلم:

إنّ قدرات شيوخ العلم مختلفة تماما، ولكل منهم كريقته الخاصة في تلقين العلوم، فعلى المتعلم أن يلازم هذه الشيوخ لترسيخ ملكة علمه، وعليه أيضا أن يرحل لطلب العلم إذا كان شيخه موجودا في بلد آخر. "فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والإصطلاحات أيضا في تعليم العلوم، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيدته تمييز الإصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والإستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته<sup>١</sup>. وقد قال صلعم: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة<sup>٢</sup>."

## النتائج والتوصيات

إنّ عملية التربية والتعليم من أهم الأعمال وأشرف المهن، يحاول المعلم عبر عملية تدريسه أن ينشأ جيلا جديدا جيّدا للوطن والأوطان، فعليه أن يربهم على أحسن الوجه ويرشدهم إلى سبيل الرشاد، ويذكر ابن خلدون خلال مقدّمته عن الأمور التي يجب على المعلم التحلّي بها خلال عمله، ومنها:

- على المعلم أن يكون قادرا على عمله وأن لا يكون قاسيا ومستبدا
- الإستمرار في تلقين المسألة الواحدة حتى ينتهي منها ويستوعبها المتعلم
- عدم الخلط بين المسائل
- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين
- يجب على المعلم أن يبدأ بالشئ الواضح من العلم ومن الجزء قبل الكلّ ومن البسيط قبل المعقّد
- وللمعلم أن يختار الطرق الملائمة في عملية التدريس
- على المتعلم أن يصغى ويستمتع للمدرس وأن يكون مستعدّا للدّراسة وأن يلازم شيوخ العلم لترسيخ ملكة عمله

## الخاتمة

يعتبر ابن خلدون من العباقرة المهمة الذي اهتم بدراسة العلوم التاريخية والاجتماعية والسياسية، ومن أهم أعماله "المقدّمة"، وقد برع في نظريته المتفرّدة لعملية التعليم، ويعتبر ابن خلدون عملية التدريس من أشرف المهن في العالم، وأنّ أفكاره التربوية يقارب الأفكار التربوية الحديثة، مع أن بين العصرين بون بعيد، وقد ذكر ابن خلدون على عدم الشدّة مع المتعلمين، ويتفق علماء التربية الحديثة

<sup>١</sup>المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٩٨

<sup>٢</sup>الحديث النبوي

على هذا الرأي، وكذلك رأى أنّ الشدّة الزائدة تؤدّي إلى السلوكيات السيئة، وله مثل ذلك أفكار كثيرة، وهناك مجال آخر للبحث في المقارنة بين آرائه وآراء علماء التربية الحديثة.

#### المصادر والمراجع

- المقدمة، ابن خلدون
- وابن الأزرق، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٤، الفكر التربوي عند ابن خلدون
- الفكر التربوي الخلدوني: مقارنة بين الأصالة والمعاصرة
- <https://mawdoo3.com>
- [cte.univ-setif2.de](http://cte.univ-setif2.de)
- [diwanalarab.com](http://diwanalarab.com)

## القدس في رواية "خلود" لسمير الجندي

السيدة/ ربحانة سي<sup>١</sup>الدكتور/ عبد الرحيم أم. كي<sup>٢</sup>الدكتور/ محمد نور الأمين وي<sup>٣</sup>

## الملخص

رواية "خلود" محاولة حادة من سمير الجندي. وهي لوحة مفتوحة لمدينة قدس وأحلامها ورؤياها. تدور حول أحداث ب النكبة عام ١٩٦٧م وهو يروي مرحلة تاريخية من مراحل النضال الشعب. يسجل بين السطور علاقات الإنسانية والهموم الشخصية التي تعيش فيها مدينة قدس واقعيًا. في مطلع الرواية الروائي يجعلنا نحس أنه يعيش فتاة إسمها خلود وينتظر محبوبته ويدخل بنا إلى عالم التخيل بلقاءه الأول معها والذكريات التي تحلق علي جناحيه. يتحدث عن عشقه لأُم متجهزة "هاهي يا أمي. ألم أقل لك إنني لم أفقد الأمل بلقاءها؟ ألم أقل لك إنها تنتظرنني مثل ما أنتظرها في مكان ما في هذا الكون؟".<sup>٤</sup> الرواية تبدأ بانتظار لقاؤها وتنتهي بانتظار لرسم الحياة معها التي يتحقق فيها الحلم والأمل الذي حملا بين أضلعهما من سنوات طويلة.

الحبيبة هنا هي أرض فلسطين. تنتظر مستقبلها المضيئ بأحلام تعانق تربتها الطاهرة قائلا: "زرعنا حقول القدس ببذور الأمل التي تعقمت جذورها، زرعنا الإنسان علي أرضه، جنبنا إلي جنب مع أحلامه النرجسية، تسكن الطمأنينة، ويزداد الأمل إشراقا، وأنا مع كل هذا أرتقي نحو المجد ارتقاء".<sup>٥</sup> صدرت هذه الرواية في عام ٢٠٠٩م وهي خليط من الرواية والحكاية.

والمذكرات الشخصية والتاريخ اختلط فيما الخيال بالواقع، بخلالها يكشف الراوي علاقته الصوفية التي تربطه بالمدينة المقدسة، ويستوحى شيئا من تجربته وسيرته الذاتية وذكريات الطفولة تجدر أحداثها في الوعي واللاوعي نسجا بديعيا بخيوط الرواية.

الكلمات المفتاحية: خلود، القدس، النكبة عام ١٩٦٦، ضياع الوطن، مقاومة الإنسانية، نضال الشعب، الحب والعشق

## المقدمة

احتلت القدس مكانة رفيعة في التاريخ بكونها أرضا مقدسة، هي مقدسة عند اتباع الديانات الثلاثة الرئيسية، منزلتها رفيعة في فضاء الديني والتاريخي والثقافي والحضاري. من البارز مكانة القدس في

<sup>١</sup> باحثة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية بي. تي. أم الحكومية، فارندلنا وأستاذة مساعدة، كلية وكتوريا الحكومية، بالكاد

<sup>٢</sup> مشرف البحث وأستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية الفنون والعلوم الحكومية، ميغندا، كاليكوت

<sup>٣</sup> مشرف مشارك وأستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية بي. تي. أم الحكومية، فارندلنا

<sup>٤</sup> سمير الجندي، خلود ص ١٤

<sup>٥</sup> سمير الجندي، خلود، ص ١٨٦

الضمير العربي والإسلامي والعالمي بالتأكيد علي مكانتها رمزا للقداسة والسلام، هي مثار اعجاب واهتمام للفنانين والرحالة الغربيين أيضا. حصلت اهتماما بالغاً عبر العصور باهتمامه السياسي والتاريخي والاستراتيجي. مثلما عمرت القدس التاريخ والديانات فاضت روحها ووجدانها في الأدب العربي بجميع فروعه فاحتفي بها الشعراء حتي أصبحت أهم الموضوعات الشعرية العربية حتي لا يوجد في فلسطين شاعر إلا ذكر القدس، وانها محور رئيسي من محاور الكتابة الإبداعية بما يتيح الفرصة لإكتشاف جماليات هذه المدينة وترسيخها وتثبيت صورة القدس بمحمولاتها الفنية ومعانها الرمزية والتاريخية في نفوس الأجيال القادمة. هذه الدراسة تحاول للكشف على محاولة الراوي ترسيخ القدس في ضمير القراء والمحبين خلال رسمه صورا واقعية ومشوقة وشعرية عبر روايته "خلود". وسيستخدم المنهج التحليلي للدراسة والتحقيق ويعتمد على الأسلوب السردى والأساليب الأدبية لتكون النتيجة أكثر واضحا.

### سمير الجندي

سمير صابر الجندي كاتب روائي ومؤلف فلسطيني من القدس. ولد في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٨م في مدينة قدس. عاش ونهى وترعرع فيها، عانى كثيرا من المعضلات بسبب كثير من اللجوء والفقر كبقية العائلات الفلسطينية. شارك في الحركات النضالية منذ صغره وواجه تحديات لها. وكان شديد الحرص للقدس وتاريخها ولذا حاول على ذكر أسماء أماكنها وأسماء الأحياء المقدسية وشوارعها ومبانيها خلال رواياته وقصصه ونصوصه ويعبر عن ربط الفلسطيني بأرضه وماضيه بهويته الإنسانية والوطنية من مكنون أفكاره وأحاسيسه وماتراه عيناه يوما بعد يوم ويسلط الضوء إلى مراحل الوطنية وأبعادها الإنسانية. القدس لعبت دورا كبيرا في آثاره لأنه نشأ في المدينة العتيقة والتي احتضنته حاراتها وأزقتها ومحارباها، درس في المدرسة العمرية واعتنق العشق المرسوم علي جدرانها ومناظرها وأفيائها تعلم حبا من ملامسته اليومية لحجارته، ولا يستطيع له العيش دون أفكارها اليومية.

تناول الأدب العربي القدس من محاور الكتابة الإبداعية، فالشعراء المعاصرون نظموا مئات القصائد عنها ولكن نجد نقضا فادحا في تناول الأجناس الإبداعية الأخرى لها كالرواية والقصة والسننما والمسرح، فلا نكاد نذكر للروائيين العرب أعمالا تدور حول مدينة القدس سوى بضعة أعمال، أي إن الرواية في هذه المدينة تأخرت، فقد تأخرت حضور القدس في الرواية حتي تكتب ديمة السمان ومحمود شقير وجميل سلحوت وعارف الحسيني وآخرون، من الواضح قلة الأعمال الروائية التي تحتفي بالقدس لا تتجاوز أصابع اليدين.

"تلقي رواية خلود لسمير الجندي بأضوائها علي القدس، حيث ظهرت صورة الغلاف علي قسمين، أبرز القسم الأول منها مدينة القدس العتيقة من خلال مقطع طولي وبرزت صورة المسجد الأقصى وقبة الصخرة، تحيط بها بيوت القدس، وشمس مع المغيب تظهر في الأفق البعيد باللون البرتقالي، أما القسم الثاني فهو صورة امرأة تحمل قيثارة وتجلس القرفصاء في وضع جنيني، القدس بأحيائها وحاراتها



ومدارسها ودور عباداتها الإسلامية والمسيحية، وزواياها وتكاياها ومحلاتها وعقباتها، كل مكان فيها دال علي أحوال اقتصادية واجتماعية عاشتها المدينة، وتاريخ لواقع سياسي مرت به بكل ألمه<sup>١</sup>. إن النكبة في عام ١٩٤٨ م في فلسطين وامتداد لها النكسة في عام ١٩٦٧ م مليئة باللحظات المؤلمة، تتوالى الأزمات والإهيارات والتداعيات المستمرة لا يتوقف تيارها في المستقبل القريب. عصف روح هذه الأزمة في الوطن العربي وتأثرت علي توجهاتها الثقافية، بدلت حياتها وأفكارها بشكل عام وفلسطين بصورة خاصة. والأدب العربي ظهر فيه الذود والدفاع عن هذه الأوضاع السياسية والعسكرية، فالأدباء حملوا سلاح الكلام للذود عن الذات والدفاع عن الأرض.

والوطن، حرضوا علي التطلع إلي الحرية والتحرير والإستقلال. الراوي في روايته "خلود" أطلت القدس المدينة الضائعة المحتلة ويصف ما تعابنه قدس منذ نكبة عام ١٩٤٨ م يأتي بعد مضي تسعة عشر عاما نكسة عام ١٩٦٧ م ويسير بنا إلي هول النكبات والنكسات من عذابات الشتات والهجرة القسرية والرغبة من المجهولين، يظهر فيها مقاومة أهل المحتل وحالة الثبات وتجذر الأهل في فلسطين لها علاقة بالهم الوطني وتحرير فلسطين وبتجليات فقدان الأرض والحرمان. فكرة التحرير والتثوير واسترداد الأرض المحتلة سائدة فيها. وتؤكد قدرتها علي الصمود والمقاومة في وجه المعتصبين واغتصابهم وفي وجه المحتلين واحتلالهم. تجلت الأحداث في الرواية في صورة منطقية متتالية تغطي كل فظاعاتها الشنيعة، والقدس هي المكان الحامل عمق معانات الفلسطينيين وصفها الراوي وصفا دقيقا، حالة الخوف والذعر والقتل والنزوح ظاهر فيها:

"اختلطت رائحة الروث الحادة برائحة الأنفاس، امتزجت مع الخوف وانتظار المجهول، كانت أعداد الأطفال كبيرة جدا يصارعون الجوع والعطش والحبس ببيكاهم المتواصل".

"كان قبل كل انفجار يصدر صفيرا مرعبا يعقبه دعوات وصلوات، فنلتصق بأجساد أمهاتنا مرعوبين خائفين"<sup>٢</sup>. الروائي سمير الجندي في روايته "خلود" يدعو بالهوية الوطنية الفلسطينية ويناضل من أجل الإنسانية بالدرجة الأولى. "عنوان هذه الرواية مكون من كلمة واحدة هي "خلود" هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره "حيي لفلسطين خلود" والمعنى الدلالي أن حب الكاتب لوطنه خلود ومخلد وخالد"<sup>٣</sup>.

الرواية تتحدث في ظاهرها عن عشق الكاتب بفتاة يوم هزيمة العرب وفقدانها بنكسة عام ١٩٦٧ م وهو ينتظر لقاءها وينظم لها قصائد سحرية وينسج موسيقاه بعناية إلهية وهو لا يترك المدينة بقرارها المصيري ويخاطب لأ م متجهزة في وطنها تعشق كل ذرة تراب فيه "هاهي يا أمي. ألم أقل لك إنني لم أفقد الأمل بلقاءها ؟ ألم أقل لك إنها تنتظرنني مثل ما أنتظرها في مكان ما في هذا الكون؟"

<sup>١</sup> هيا جلال أسعد ناصر، القدس في الرواية العربية بعد عام ٦٧، دراسة في الدال والمدلول، ص ٧٠

<sup>٢</sup> سمير الجندي، خلود، ص ٢٠

<sup>٣</sup> عبد المجيد جابر، في رواية خلود لسمير الجندي، ديوان العرب، أبريل، ٢٠١٥

لم أبح بمشاعري لأي إنسان غير أمي، هي تفهمني وتقدر ما أقول، لم تلمني أبدا ولم تضجر سماعي، كانت بئر أسراري، كنت أحدثها عن مكنونات صدري، وأصف لها مشاعري"<sup>١</sup>.  
الحبيبة هنا هي أرض فلسطين

منذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨م وقيام الدولة الصهيونية اشتغل المتن الروائي العربي خاصة الروايات الفلسطينية علي إنجاز نص سردي متخيل ينطلق من نكبة فلسطين والأحداث المصاحبة لها من التهجير والتشرد والشتات، سردها كأنها لمحة من حياتهم الثقافية وجزء من حياة اجتماعية للفلسطينيين الذين ناضلوا في سبيل الوطن. هنا في "خلود" سرد الراوي عذابات الشتات والتشرد والهجرة عام ١٩٤٨م من الشهادات الشخصية للفلسطينيين اللذين عاشوا قبل النكبة. ومن تجاربه الشخصية للراوي نفسه بالنكسة عام ١٩٦٧م. وظف أحداثا تاريخية ما زالت تتمحور في ذاكرة الشعب الفلسطيني. وهو يقول:  
"هم اليهود قد احتلوا المدينة وهاهم يجمعون الرجال في الساحات، جنود مدججون بالأسلحة. يضعون علي رؤوسهم الخوذ السمكية، ويوجهون بنادقهم نحونا. نحن جيش الدفاع الإسرائيلي نحذركم. نأمركم بترك منازلكم خلال ثلاث ساعات والإهدمها علي رؤوس من فيها"<sup>٢</sup>.

لقد وعي سمير الجندي عن نتائج الحركة الصهيونية بعد أن أقيم لها دولة عنصرية ودينية علي حساب الوجود الفلسطيني. كان متوحدا بفلسطين ولم يخرج يوما عن التفكير في قضيتها. وقضيتها هاجسه الأبدي ويحس دائما أنها في لحظة من الشروق وهو يخلق فيه الباعث القوي علي التأمل والتفكير والحركة والفعل. "ومعروف أن المحتلين هدموا حارتي الشرف والمغاربة وحي النمامرة، المحاذية لحائط البراق - الحائط الغربي للمسجد الأقصى قبل أن يخمد هدير مدافع وأزير رصاص تلك الحرب، وشردوا مواطنيها وبنوا حيا استيطانيا يهوديا مكانها، ومع أن أهالي الحارة غادروها تحت تهديد السلاح، وانتقلوا إلى أماكن أخرى في المدينة أو خارج أسوارها"<sup>٣</sup>.

عاش عيشة الفقر والبؤس في مخيمات اللجوء والذل والجوع. لذا خلود تصوير لحياة الفلسطيني في الملجأ وما قاساهم من المعانات. وتطلع على الأحوال البائسة التي وصل إليها الشعب الفلسطيني.

هنا أم حكيم تحكي عن معركة سكة الحديد في يافا عام ١٩٣٩م وهي تذكر تلك المعانات التي حفرت في بؤرة ذاكرتها، استشهاد والدها في تلك المعركة علي يد الانجليز المحتل وتركت بيتها مع من بقي علي قيد الحياة من أبناء أسرتها قرية زكريا، تشردت وعاشت في برد الشتاء القارس وحر الصيف اللافتح في الخيمة. الأديب هنا يمثل عن علاقة الشخصية الروائية بالإنسان والوطن. يجعل الوطن شخصية

<sup>١</sup> سمير الجندي، خلود، ص ١٤

<sup>٢</sup> سمير الجندي، خلود، ص ١٩

<sup>٣</sup> جميل السلحوت، خلود رواية فيها رائحة القدس، الحوار المتمدن

محورية من شخصيات الرواية يستخدمها بالوصف لإيصال فكرة محورية معينة. خلود هي بطلة الرواية والشخصية المركزية، هي تمثل تماما بالوطن لتحقيق نص المقروء وجوهه المتميز.

### الشخصيات

الرواية تحدث عن أحوال الإقتصادية والتعليمية والإجتماعية التي مرت بها القدس وتجسد المدينة التي عاش فيها الكاتب وشاهد علمها زمانا ومكانا، وحضور القدس الزماني والمكاني التي تجري فيه الأحداث وتتصارع فيها الشخصيات في صورة تتحرك بشكل درامي منفصل لصنع الأحداث الحية وتجربة الإنسانية الفريدة. "فقد جسد خلالها علاقات إنسانية وهموما شخصية، وواقعا تعيشه مدينة القدس حيث تتصارع حولها الأحلام والأمانى ونزعات الخير والشر وبقاء الحياة والوجود بين الأنا والآخر".<sup>١</sup> يحضر الكاتب ذاته الذي هو البطل في هذه الرواية وهو وحيد في سبيل محبوبته روضه علي الحلم الفلسطيني الرومانسي الذي لا سبيل لتحقيقه والسلاسل تقيد وتضبط علي روحه القلقة، تزعج وترعب الأفكار السوداء لكن ينتظرها ويتوقع في سبيلها صراعات مرعبة.

شخصية "حكيم" تتميز بالحضور الدائم في الرواية فالأحداث والإقتباسات تدور حوله

ويؤكد فكرة يقصدها، هو الراوي نفسه هو يعبر الأحداث من مكونات ضميره وأحاسيسه ومشاعره ينعكس فيها مشاعر الفلسطيني المقدسي حول الوطن والقدس، وهو ذو ملامح تدل علي انتماء وطني، كان يعاني في عيشه من عذاب النكبة وما تلاها. فقد صدقه محمود بالرصاص التي اطلقت عليه الجنود العدو فهو يقول:

"فقدت صديقي مرة واحدة وإلى الأبد، لكنه لم يغادرني ، بقي في ذاتي المعذبة بعض وطن، بقي في وجداني، وفي عقلي. أنا أعرف كم أنت خائفة، وأنا أيضا خائف، ولكننا لا نهرب من خوفنا، علينا مواجهة هذا الخوف، لم تسمح لي مشاعري بالتعرف علي غير قدس، مدينة أعيش فيها، كما تعيش في، ولا يمكن لمن عشق القدس أن يعيش غيرها المحب الذي لا تطاوعه مشاعره وأحاسيسه أن يعرف أو يحب فتاة غير محبوبته لن أحب مدينة غير مدينتي، ولن أعيش إلا فيها".<sup>٢</sup>

هو يقدم رسالة تربية وطنية ويلتزم بالقيم والثوابت الوطنية، هو يحافظ ربطه بأرضه وماضيه وهويته الوطنية، هو حالم بالحب والحنان يكره الظلم والعدوان وامتهان الأوطان واحتلالها. "خلود" هي مذكرة من يوميات مقدسي عاش داخل أسوار القدس وحرارة المقدسية. والكاتب سمير الجندي يشرح عما يكتب عن هذه المدينة المقدسة" القدس في كل عين مقدسي، وفي حشاشة كل فلسطيني، وهي في عيني وحشاشتي فقد شربت ماءها واكلت خبزها وزعرتها، وتنفست هواءها الأسطوري هي تسكن تحت جلد والتاريخ الذي يسير أينما أسير هي الزوايا والتكايها هي قصصي الطفولية هي حي الأول وحي الآخر هي رفضي الغرباء الذين يحاولون طمس معالمها فيغيرون أسماءها ويعيثون براءتها ويحاولون

<sup>١</sup> سمير الجندي ، خلود، ص ٦

<sup>٢</sup> سمير الجندي، خلود، ص ٧٩

تدنيس روحانياتها وجودنا سلاحنا الوحيد لحمايتها من مقاصلهم يستهدفون هذا الوجود بكل الأساليب الشيطانية. علينا حماية الوجود العربي الفلسطيني المقدسي فالقدس تلبس ثوب حداد علي الضمير الإنساني الذي يريد العبث الصهيونية تعبت فيها خرابا دون أن يحرك ساكنا<sup>١</sup>.

والشخصية "خلود" التي أحياها "حكيم" بطل الرواية هي أول وآخر امرأة أحياها وتعانق بها. تحمل الرواية شخصية "خلود" القدس بكل خصائصها من الجمال والعدوثة، ويرفض أي حب آخر غيرها بتمسكه وتعلقه بالقدس الحبيبة إليه، وهي ترفض الغرباء الذين يحاولون طمس معالمها.

"هي خلود الفلسطيني لا في عشقه لوطن وتمسكه بحبات ترابه وتعلقه بوطنه الحبيب فهي لا تريد احتلالا غاصبا ولا زوجا بلا حب ومشاعر"<sup>٢</sup>. وهي شخصية إجتماعية تثور علي الظلم وتثبت بأفكارها الخاصة، تسعى للنهوض بدور المرأة في شتي المجالات، وهي تؤمن أنها تستطيع عمل المعجزات.

"أم حكيم" في الرواية تمثل التجذر في الأرض وهي رمز للمرأة الفلسطينية سديدة في رأيها تبدي النصائح صادقة لمن حولها، هي تقدم الخيرات لأبنائها العاجزين للذود والدفاع، تتميز بالحب والعطاء والتضحية، الأم تمثل الأمهات الفلسطينيات اللاتي صمدن في الأرض المحتلة بعد النكبة وتحملن الفقر والحرمان:

"كانت رابطة الجأش، قوية العزيمة، نافذة البصيرة، متماسكة في أصعب الظروف، شديدة الثقة بنفسها، وتقدر من حولها"<sup>٣</sup>. هذه الأم هي بطلة من التاريخ هي ليست امرأة عادية بل هي رمز للمرأة الفلسطينية التي واجهت في سبيل العيش مشقات المنفي والحياة في المخيم بكل هولها ومخاوفها. هي الراعية التربوية لأبنائها لأنها تقوم بدور الناصحة الراشدة لهم وهي تؤكد علي دور المرأة الفلسطينية التي تشكل اللبنة الأساسية لحياة الأسرة الميسرة.

أما "والد حكيم" رجل رحل بالنكسة عام ١٩٦٧ م هو يمثل الأب الفلسطيني الذي يحمل صورة الهزيمة والمعاناة، وهو الإنسان المكافح من أجل أن يوفر لأسرته مقومات الحياة بكرامة "عمل بكرامة رغم إعاقته البصرية لتوفر فروس تستتر أجساد أبنائه وتسد جوعهم هو نموذج جسد الحياة الإجتماعية والأوضاع الإقتصادية في القدس بحد الحرب"<sup>٤</sup>.

## المكان

المكان يشكل الجانب المؤلم من التاريخ الشعب الفلسطيني ومن الأماكن التي تظهر في الرواية حيث وقعت فيها أحداث الرواية أغلبها حارات القدس وأزقتها وعتباتها عاش فيها "حكيم" بطل الرواية فيها ذكريات الخوف والألم والحزن من جهة ومثال للحب والأمن والاستقرار لسكانها من جهة أخرى. الأماكن

<sup>١</sup> وحيد تاجا، سمير الجندي ل أشرة: كتاب الشتات لديهم فضاء اوسع للكتابة وكتاب الداخل تحت مجهر الجلاذ، جريدة الوطن، ١ مارس، ٢٠١٥، دمشق

<sup>٢</sup> عبد المجيد جابر، جماليات المكان في رواية خلود لسمير الجندي ص ٨

<sup>٣</sup> سمير الجندي، خلود، ص ١٥&١٤

<sup>٤</sup> هيا جلال أسعد ناصر، القدس في الرواية العربية بعد عام ٦٧، دراسة في الدال والمدلول، ص ٧٠

التي تصور عنها الرواية هي حارات القدس ومبانيها التاريخية منها المسجد الأقصى، حوش الشاي، حوش الغزلان، حارة الشرف، دير ياسين، قبة الصخرة، حارات السعيد، حارة النصارى، كنيسة القيامة، كنيسة فيرونكا، باب العامود، باب الأسباط، باب الساهرة، المدرسة العمرية، والمدرسة القادسية، والمدرسة الرشيدية، مستشفى هداسا، مستشفى رام الله، مستشفى هوبسيس، شارع صلاح الدين، شارع السلطان سليمان، شارع الزهرة، شارع نابلس، شارع الواد، سوق العطارين، سوق خان الزيت، سوق الجمعة، ومنزل الراوي في حارة السعدية، بيت المفتي وغيرها، هي الأماكن من القدس التي تسرد الراوي عنها في صورة تبدي كأنها جولة عبر فلسطين من أقصاها إلى أقصاها بميزاتها الجغرافية والتاريخية. توجيه الكاتب علي معالم المكان يقصد به الحفاظ علي هويته الوطنية، المكان واحد من أدوار الرئيسية في القصة ويؤدي الوظائف لأن الرسوم التي تولد فيه لها متعلقات بالإنسانية والوقائع والمواقف. فباب العامود وهو من معالم القدس، وهو شاهد علي صمود المقدسيين ومعاناتهم. تعرضت في القدس أسماء هذه الأماكن للتغيير والتحريف وتحمل عليها دلالة واقعية جديدة يفرضها الاحتلال علي المدينة المقدسية. والرواية ألقى الضوء إليها:

"هم يغيرون أسماء الشوارع صار الواد "حاجاي" والمصرارة "نفثيم" والشيخ جراح" هارتهسوفيم "وحارة الشرف" حارة اليهود والقدس صار اسمها "اورشليم".<sup>١</sup>

### الزمان

تناولت الرواية فترات زمنية مختلفة من تاريخ المدينة والأحداث التي تتوالى عليها، سلسلة المعانات تحلق عليها بصورة النكبة عام ١٩٤٨ م والنكسة عام ١٩٦٧ م. وتحكي بلسان: أم حكيم: عن معركة سكة الحديد في يافا عام ١٩٣٩ م ورحلتها من بيتها من قرية زكريا مع أسرتها بسبب المذابح التي تعرضوا لها عام ١٩٤٨ م. وهي تذكر تلك المعانات التي حضرت في بؤرة ذاكرتها، استشهد والدها في تلك المعركة علي يد الانجليز المحتل وتركت بيتها مع من بقي علي قيد الحياة من أبناء أسرتها قرية زكريا، تشردت وعاشت في برد الشتاء القارس وحر الصيف اللافت في الخيمة.

تقاسمت عذابها وألمها مع أطفال في مثل سنها، فترات الزمان تتكرر وتسير وتحمل دلالة أن معانات الشعب الفلسطيني من الحروب والتهجير لا تنتهي، فالتهجير المؤلم يتوالي من الحرب ١٩٦٧ م يحزن شعها بضيق الأمل والأمن وتقضي القدس ليالها القاسية بانتظار عودة أبناءها إليها. وهو زمن فقدان الأحياء والأصدقاء والراوي يذكر فقدان صديقه محمود الذي استشهد أثناء المواجهات مع الإحتلال وفقدان شقيقه حليم. "تكرار الزمن برز من خلاله مفاصل مؤلمة في حياة الراوي انعكست علي حياة المقدسيين ومعاناتهم حيث مثلت حادثة فقدان أسرة حكيم لشقيقهم حليم أثناء خوجهم مع بداية

<sup>١</sup> سمير الجندي، خلود، ص ١٨٧

الحرب ومرارة الفراق والإنتظار والبحث عنه لمدة أسبوع عكست هذه الواقعة معانات أسر المقدسية من فقدان الآباء والأزواج والأبناء".<sup>١</sup>

الزمان في العمل الأدبي هو الموضوع والقضايا التي تتعلق بجماعة ما ويرتبط بتاريخهم وآمالهم ومشاكلهم فالزمان انتاج للحياة في فترات معينة. الزمان يبحث عنه سمير الجندي في "خلود" هو مرتبط بالزمن الفلسطيني وهو يتخذ الزمن الماضي أداة للتغيير ويقود بها إلي الحاضر، يصور عام ١٩٤٨م فترة التحول في تاريخ فلسطين والحاضر تعبير عن الحال المأساوية التي يحيها الشعب الفلسطيني تحت الإحتلال فالمستقبل في السرد يعمل علي إثارة التشويق والتمنيات للنفس، والمستقبل هو الحلم للفلسطيني للعودة والخلص من المنفي فالعودة هي الأمل عندهم، لا بد لهذا المسقبل من تعاقب التاريخ وتغير الأحوال بعد الترددي والنضال يوجد لهم الشمس المشرقة التي تشرق في الغد .

### النتائج والتوصيات

"من المضامين التي تحملها رواية خلود تعريف العالم بقضياتنا ونزاهتنا وجاء علي لسان الراوي وهو يتحدث مع السائحين الأجانب وقد غرتهم الدعاية الصهيونية وخذعت بصيرتهم".<sup>٢</sup> صراع البشر علي الأرض والتاريخ هي الأسئلة في جوهر القصة وأسئلة الوجودية عندهم. الرواية تحمل بصمة خاصة بالهوية التي تضمه بالوطن واللغة. الشخصيات هي الصورة التعبيرية فهي التي تحل المكان وتعمل به وهي تتحرك في الزمان وتتأثره للتوظيف بالأحداث التاريخية الفلسطينية. والرواية تفتح بابا للتعلم في جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية لمدينة قدس، وصلابة النساء وثباتهن ضد المحتلين.

### الخاتمة

الرواية "خلود" عمل أدبي يحاول الإحاطة بالقدس مدينة الحلم والواقع كأنها لمحة إلى تاريخها العتيق والمعاصر. خلال السرد تتحدث عن أبعادها الزمانية وجمالية المكانية التي صارت ضحية للنكبات المتتالية التي لم تنته حتي اليوم. وظف الكاتب الأحداث التاريخية الفلسطينية والأحوال البائسة التي وصل إليها الشعب ما زالت تتمحور في ذاكرة الأبناء الفلسطينيين. والشخصيات فيها معايشة بحاضرها تنعكس فيها الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي في المدينة. هي تمثل ربط الفلسطيني بأرضه وماضيه وبهوية الإنسانية والوطنية أيضا. يسجل بين السطور علاقات الإنسانية والهموم الشخصية التي تعيش عليها مدينة قدس حيث تصارع فيها الأحلام والأمان وتصارع الخير والشر وبقاء الحياة والوجود. هي تلفت انتباه القراء والعالم إلي عمق المعانات والصراعات التي عاشت عليها المدينة جيلا بعد جيل.

### المصادر والمراجع

- سمير الجندي ، خلود، رواية
- جميل السلحوت، خلود رواية فيها رائحة القدس، الحوار المثمن
- عبدالمجيد جابر، في رواية خلود لسمير الجندي، ديوان العرب ابريل ، ٢٠١٥

<sup>١</sup> هيا جلال أسعد ناصر، القدس في الرواية العربية بعد عام ٦٧، دراسة في الدال والمدلول، ص ١٠٨

<sup>٢</sup> عبدالمجيد جابر، جماليات المكان في رواية خلود لسمير الجندي، ص ٢٠

- عبدالمجيد جابر، جماليات المكان في رواية خلود لسمير الجندي، افراسيا، أبريل، ٢٠١٥
- وحيد تاجا، سمير الجندي ل أشرعة : كتاب الشتات لديهم فضاء اوسع للكتابة وكتاب الداخل تحت مجهر الجراد، جريدة الوطن، ١ مارس ٢٠١٥ م، دمشق
- هيا جلال أسعد ناصر، القدس في الرواية العربية بعد عام ٦٧، دراسة في الدال والمدلول
- سمير الجندي، الروايات الفلسطينية والتراث، دار الجندي للنشر والتوزيع، ٢٠١١
- غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية

## الثنائيات الضدية وأبعادها

في رواية "عطر البارود" لهاشم محمود حسن: دراسة تحليلية

السيد/ محمد معراج عالم<sup>١</sup>

### الملخص

الثنائية الضدية آلة لقراءة النص السردي، وهي ليست حديثة الولادة بل هي عريقة في القدم، ولكنها كانت تعرف قديماً بمصطلحات أخرى من أمثال الطباق والتكافؤ، وظهرت حديثاً كتقنية يمتزج فيها روح الأدب العربي القديم والأدب الغربي لدراسة النص السردي، وذلك باسم "الثنائيات الضدية". يراد بالثنائيات الضدية آلة فنية تجمع بين الشيء وضده، ويستعين بها الأدباء لإحداث الجمال الفني والتأثير العميق في النصوص السردية، وذلك لأن الثنائية الضدية تأتي بصراع بين هذا وذاك مما تحدث فكرة عميقة وفلسفة عظيمة ومعنى سامياً، فنظراً لأهمية هذه التقنية اخترت رواية "عطر البارود" للروائي الإثري هاشم محمود حسن لإبراز ما فيها من أبعاد الثنائية الضدية وملاحمها من خلال اتخاذ المنهج التحليلي، وتتوفر بالفعل مظاهر الثنائية الضدية في هذه الرواية كثيراً لعوامل اجتماعية دفعت الكاتب إلى استعمال هذه التقنية، وذلك بداية من عنوان الرواية ونهاية إلى الأحداث والأبطال والفضاء السردى والحوار ولغة النص، وسيحاول المقال شرح كل ذلك.

الكلمات المفتاحية: الثنائية الضدية، عطر البارود، الطباق، لغة النص، عتبة النص، الفضاء السردى، الأحداث.

### نبذة عن حياة الكاتب

هاشم محمود حسن كاتب إثري من مواليد ١٩٧٦م. وحصل على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال ٩٧-٢٠٠٠، ونال شهادة دبلوم الحاسوب الآلي بأكاديمية عام ١٩٩٨، وشهادة الدبلوم باللغة الإنجليزية بالخرطوم عام ١٩٩٩.

يكتب هاشم محمود حسن القصة القصيرة والرواية بجنب إنتاج الإبداعات الشعرية، وتغنى ببعض قصائده فنانون عظماء من أمثال قصيدة "وطن الشموخ" تغنى بها عبد العزيز مرانت، وقصيدة "نورة" تغنى بها الفنان فتحى محمد على، ولكنه يعرف كروائي يكتب عن الوطن ويصف في رواياته المهموم التي يعانها الناس والنضالات التي خاضها الشعب الإثري عبر التاريخ للحرية الوطنية، فيطلق عليه بعض النقاد لقب "كاتب الوطن"، ونالت رواياته إعجاباً شديداً وتلقت حفاوة بالغة من قبل الأوساط الأدبية، حتى صدرت لبعض رواياته طبعات متعددة وصدرت لروايته "عطر البارود" خمس طبعات خلال ثلاثة أعوام ونالت درجة أكثر المبيع من قبل مؤسسة روافد للنشر والتوزيع وفازت بجائزة الأوسكار كأفضل رواية إفريقية طبعت بجمهورية مصر العربية للعام ٢٠١٩ من قبل شبكة إعلام المرأة العربية، ونظراً إلى

<sup>١</sup> باحث، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي



قيمة سردياته الروائية ترجمت بعض روايته ومجموعات قصصه إلى اللغات الأجنبية من أمثال الإسبانية والإنجليزية والفارسية والمليالمية، والجدير بالذكر أن رواياته تركز على الكفاح الوطني الذي قام به الشعب الإرتري.

صدرت له مجموعتان قصصيتان وهما كالتالي:

١: شتاء أسمر

٢: الانتحار على أنغام الموسيقى

وله ست روايات وكلها تجري حول النضال الذي قام به الشعب الإرتري ضد الاحتلال، والأحداث في جميعها ترتبط بعضها البعض، فلذا يمكن أن يطلق على ست رواياته سداسية هاشم محمود، وهي فيمالي.

١: عطر البارود

٢: فجر أيلول

٣: كولونيا الجديدة

٤: الكتيبة ١٧

٥: الطريق إلى أدال

٦: رواية تقوربا

ملخص الرواية

تدور الرواية حول ماعاناه الشعب الإرتري من تهجير وغربة وعيشة مريرة في مخيمات اللاجئين بسبب جراء الاضطهاد التي قام بها الاحتلال الإثيوبي، فقام الشعب الإرتري لتحرير الوطنم برائن العدو المحتل الغاشم، حتى تحقق الحلم الذي كان يبدو في البداية ضبابيا، وأما الشخصيات والأبطال فهي تتحدث عن خمسة أصدقاء إبراهيم وأحمد ومحمد ومكائيل وإبراهام، وهم يتديون بديانتين مختلفين الإسلام والمسيحية، ولكن حب الوطن أنشأ في قلوبهم التحاب والتسامح والصدقة المخلصة، وساقهم القدر إلى مخيمات اللاجئين في السودان فرارا من الموت، وبحثوا عن أعمال لكي يكتسبوا بها ما يسد رمقهم، فكانوا يجتمعون في الليل معا بعد رجوعهم من أعمالهم، وبينما هم كذلك إذ خططوا الانضمام إلى الجبهة التحريرية للمساهمة في تحرير الوطن، ففترقوا بعدما انضموا إليها بسبب مسؤولياتهم الموجهة إليهم، فبقوا متفرقين حتى فاز جيش الجبهة التحريرية بتحرير الوطن وسيطروا على مصوع، فاجتمعوا في وطنهم بعد جهود مضنية وعناء طويل، ولكنهم تأسفوا كثيرا عندما وجدوا أن أحدهم استشهد، والجدير بالذكر أن الرواية تتحدث عن قصة الحب بجانب قصة النضال، حيث وقع أحدهم في حب عاقبت، وهو محمد.

## مصطلح الثنائيات الضدية ما بين قديم وحديث

الثنائيات الضدية مصطلح حديث ينظر إليه النقاد كألة مهمة لتقييم النصوص السردية، ويستعملها الكتاب والشعراء كتقنية إبداعية لخلق جمال أدبي وإيقاع ساحر في كتاباتهم، ويراد به وجود شعورين متناقضين في مكان ما حيث لا يتصور وجود أحدهما بمعزل عن الآخر، ويحدث اجتماعهما هزة أدبية ووقعا كبيرا على القلوب والنفوس، والجدير بالذكر أن جذوره تعود إلى النقد الأدبي العربي القديم ولكنه كان يعرف بمصطلحات أخرى من أمثال الطباقي، فكتب أبو هلال العسكري متحدثا عن الطباقي "أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشئ وضده، في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد"، وكتب قدامة بن جعفر عن التكافؤ "ومن نعوت المعاني التكافؤ، وهو أن يصف الشاعر شيئا، أو يذمه ويتكلم فيه، فيأتي بمعنيين متكافئين، أي متقابلين، إما من جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل"<sup>١</sup>.

## ملاحج الثنائيات الضدية في رواية "عطر البارود"

تتجلى الثنائيات الضدية في هذه الرواية بأشكالها المختلفة وأنواعها المتنوعة، وذلك من خلال عتبات النص والأبطال والأحداث والفضاء السردى ولغة النص، وسيحاول الباحث أن يتحدث عن كل ذلك بغاية من الوضوح حتى تظهر أبعاد الثنائية الضدية المتواجدة في الرواية.

## الثنائيات الضدية في عتبات النص

تمتاز الرواية بتقنية الجمع بين الشئ وضده بداية من عتبات النص، حيث يخلق كل من عنوان الرواية وصورة الغلاف جوا يهتز له القلب، وذلك لأن عنوان الرواية "عطر البارود" و"جمع اسمها بين متناقضتين، فالبارود هذا هو المسحوق الأسود، هو دلالة الحرب والصراع والرائحة الموحشة الكريهة، لكن كيف له بعطر"<sup>٢</sup>؟ فأحدث الجمع بين البارود والعطر معنى الكفاح والنضال وأهميتهما وقيمتهم في حياة الإنسان والأفراد، حيث مهما كانت القذائف والرصاصات كثيرة، ولكن أصحاب القلوب الطيبة ينثرون عطور الحب والمودة والبشرية وعندما يحتاج الأمر إلى الكفاح والنضال فهم يعطرون الشعب بعطر الكفاح، وكل ذلك لرد الحقوق إلى أهلها، وإعادة الأمن إلى البلاد، وطرد المحتلين من الوطن، "فعلى رائحة البارود تستمر الحياة"<sup>٣</sup>. وأما صورة الغلاف فهي تشير إلى نفس الشئ حيث مددت فتاة ظهرها التي حملت أنواعا من الإنسان ما بين رجال ونساء وأطفال وعجائز، وبعضهم يهاجرون من بلد إلى بلد آخر حاملين على ظهورهم الأمتعة، وبعضهم يحاربون مختفين وراء الصخور، والجدير بالذكر أن الفتاة تشم رائحة تنبعث من الأرض، لقد رمز الكاتب بالفتاة إلى الوطن، ورمز بالرائحة المتصاعدة من الأرض إلى

<sup>١</sup> العسكري، أبو هلال، "الصناعتين"، ملتزم الطبع النشر دار الفكر العربي، ص: ٣٣٩.

<sup>٢</sup> بن جعفر، قدامة، نقد الشعر، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: ١٤٧-١٤٨.

<sup>٣</sup> تهايمي، هاجر، مقدمة عطر البارود، مصر، النخبة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩، ص: ٩.

<sup>٤</sup> المصدر نفسه، ص: ١٠.

القذائف والبنادق التي تحاول أن تقضي على المواطنين وتطردهم من الوطن ولكن على الرغم من محاولاتهم بقى الوطن وطنا لأهلهم بعد جهود مضنية قام بها المناضلون، وتضحيات قدموها تعبيراً عن حبهم للوطن، فأتضح أن صورة الغلاف تجمع بين الموت والحياة ، وبين الاحتلال الأجنبي والكفاح الوطني، وبين الهجرة والوطن.

#### مظاهر الثنائيات الضدية من خلال الأحداث

الأحداث عندما تجمع بين شيئين ونقيضه تكون جاذبة جداً، لأنه ينشأ سحر البيان، ومثل هذه الأحداث متوفرة في الرواية، فعلى سبيل المثال أن عافيت فتاة جميلة هاجرت مع أمها ولجأت إلى مخيم اللاجئين، فانتابها الشعور بالغيرة. وانتاب محمداً الشعور بالغيرة. ولكن محمداً وقع في حبها، فيجد أنساً في قربها والتودد إليها على الرغم من كونه غريباً، فكان "يتودد إليها دون أن يظهر لها مشاعره وعواطفه تجاهها، ولكن عين العاشق لا تخفي كل تلك المشاعر من الحب، فيفيض من أطرافها ويفضح سيلها ما تحاول أن تخفيه، الحب يولد في أي مكان، حتى في هذا المكان البائس".<sup>١</sup> فاجتمع هنا الشعور بالغيرة والأنس في مكان واحد مما ينشأ شعور غريب يأخذ بمجامع القلوب والنفوس. وكذلك حادث مريم مزيج بين الشعورين حيث ماتت أم مريم عند ولادتها في المخيم ولم تستطع تحمل الألم، فحرمت من الأم ولكن "توالت نساء المخيم على رعاية مريم، ووضعن جدولاً للتناوب، فتنام كل ليلة بين أحضان امرأة لعلها تعوضها ولو قليلاً من مشاعر العطف والحنان والأومة". فأصبحت نساء المخيم أما لمن لا أم له، وأصبحت مريم رمزاً للوطن، فوجدوا وطناً في الغربة، "مريم حالة استثنائية، لكنها في الحقيقة حالة عامة، فمن يسأل عن مريم كطفلة هو في الحقيقة يسأل عن حال الوطن، مريم هي وطنهم، مريم جمعهم كما تجمع الأوطان أصحابها".<sup>٢</sup> لقد تضاعفت الروعة في النص بسبب اجتماع الشعورين الشعور بفقدان الوطن والشعور بوجود الوطن.

#### تجليات الثنائيات الضدية من خلال الأبطال

من أهم أبطال الرواية خمسة أصدقاء وهم محمد وأحمد وإبراهيم ومكثيل وإبراهيم، وثلاثة منهم يتدينون بالإسلام بينما يتدين مكثيل وإبراهيم بالمسيحية، ولكن رغم اختلاف ديانتهم موحدون على شيء واحد وهو "الخلاص من هذا الدمار والخراب الذي خلق بهم، والعودة إلى حيث الوطن ومزارع الوطن وخير الوطن"<sup>٣</sup>، فالأبطال موحدون رغم اختلافهم، وهم موحدون في الغاية رغم اختلاف الطرق، لأن الدعوات متشابهة رغم اختلاف العقائد، "هنا قداس الأحد، وهنا صلاة الجمعة، كل يعبد الله بطريقته الخاصة، اختلفت الأديان لكن تشابهت الدعوات"<sup>٤</sup>. فلا وجود للمسلمين بمعزل عن المسيحيين، لأنهم لو

<sup>١</sup> حسن، هاشم محمود، عطر البارود، مصر. النخبة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩، ص: ٦٣

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ١٥٦ - ١٥٧

<sup>٣</sup> المصدر نفسه، ٤٨

<sup>٤</sup> المصدر نفسه، ص: ٤٨

اختلفوا على أساس الديانة سيفقدون الوطن، ويستغل العدو اختلافهم لمصلحه الذاتية، في الحق لقد استخدم الروائي الثنائية الضدية كتقنية مهمة للإتيان بالجمال في الرواية.

### مظاهر الثنائيات الضدية في الفضاء السردي

من ميزات الرواية أن الثنائية الضدية تصحبها من البداية دائما حتى لم تفارقها في الفضاء السردي أيضا، وذلك لأن الأحداث تجري في جانب في وطن حيث يأنس فيه المرء كل شيء ويناضل المكافحون لطرد الاحتلال ويسجن بعضهم ويصيرون خلف القضبان ويواجهون أنواعا من العذاب في السجون، وكذلك تجري الأحداث في مكان غريب خارج الوطن وهو مخيم اللاجئين في السودان، فيتميز الفضاء السردي بالجمع بين الغربة والوطن وأمل العودة إلى الوطن وخوف الهزيمة في الحرب ضد الاحتلال، فبعضهم مكثوا في وطنهم مناضلين وبعضهم خرجوا تائبين حتى سبحت لهم سيارة، فقال الشرطي موجها كلامه إليهم "سوف تقلكم هذه السيارة إلى المعسكر وهناك وجهات خاصة سوف تتولى أمركم"<sup>١</sup>، فلما وصلوا إلى المخيم واجهوا غربة بعد ما ابتعدوا عن الوطن "حياة جديدة تكلم المجموعة، وبرنامج جديد، ووجوه جديدة وبيوت جديدة، كل شيء هنا طاريء، يتحول اسم المكان لشيء آخر، ويحمل اسما له مضامين أخرى، إنه معسكر لاجئين"<sup>٢</sup>، والجدير بالذكر أن الجمع بين ألم الغربة وأنس الوطن في الفضاء السردي أحدث وقعا كبيرا وتأثيرا عظيما وموسيقية ساحرة تشعر بها القلوب.

### الثنائية الضدية في لغة النص

تتوفر الثنائية الضدية في لغة النص بجانب تواجدها في الأبطال والفضاء السردي وعتبة النص والأحداث، ووجود هذه التقنية في لغة النص مهم جدا لأنها تجعل اللغة شاعرية حيث يجد القارئ في النص السردي حلاوة الشعر وجاذبيتها ويتمتع بموسيقية الكلمات وسيمفونيتها، ويمكننا أن نشعر به في هذا النص "خوف، قلق، رهبة، صراع، عويل، ألم، شقاء، حزن، بكاء، تلك مشاعر مركبة يخالطها الأمل الذي يسير معهم هربا من ذلك الجحيم الموحش والذي لا يترك الأخضر واليابس"<sup>٣</sup>، فاجتمع هنا الشعور بالأشياء السلبية والشعور بالأمل كما اجتمع الأخضر واليابس، وحدث من اجتماع الضدين وقع شديد على القلب يمكن القارئ أن يشعر به عند قراءة النص، ويمكن أن نشعر بنفس الوقع في النص الآخر الذي جمع بين الموت والحياة حيث لا يمكن تصور أحدهما بمعزل عن الآخر، "هذا هو المعتاد أن تسقط الصواريخ بعشوائية، يموت من يموت وينجو من ينجو، الأحياء، ربما في ثوان قليلة، أموات، لا أحلام لغد، فغدا بنسبة كبيرة جدا قد لا يأتي"<sup>٤</sup>. وكذلك استعملها الروائي كأداة إبداعية لإبعاد الملل والسامة، لأن اجتماع المتناقضين في نص كرنة الجوال التي ترن فتوقظ النائم وتخرج الغافل من الغفلة وتلفت العناية

<sup>١</sup> المصدر نفسه، ص: ٣٦

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ٣٨

<sup>٣</sup> المصدر نفسه، ص: ١٧

<sup>٤</sup> المصدر نفسه، ص: ١٧

إليها، فيمكن أن نشعر به في النص التالي الذي عمل عمل رنة الإعلام بعد ما يصف النص أحوال الناس في الاحتلال "تبدأ الرحلات الليلية المخيفة، يبدأ النواح والنحيب على فقدان، لكن أمل العودة واللقاء القريب يظل يلوح في أفق الأحلام"<sup>١</sup>. وأمثلة الثنائية الضدية في لغة النص مبعثرة في الرواية من أمثال تناقض الشغل والفراغ، والليل والنهار، والصباح والمساء، والبشرية والبهيمية، والمرارة والابتسامة، والهجرة والوطن وما أشبه ذلك.

### الخاتمة

اتضح خلال معالجة هذا الموضوع أن الكاتب استخدم الثنائية الضدية كأهم الآلات التقنية الإبداعية، فظهرت أبعادها قوية التأثير وبارزة الوجود في الرواية، وذلك بسبب الأوضاع التي عاشها الكاتب، لأن الأوضاع السياسية والاجتماعية دائماً متناقضة في إرتريا، وبالإضافة إلى ذلك أن القضية التي عالجها الكاتب قضية مليئة بالتناقضات، فبدأ أثرها على قلم الروائي، واصطبغت الرواية بجميع مافها من عتية النص والأحداث والأبطال والفضاء السردي ولغة النص بصبغة الثنائية الضدية، فأصبحت رواية ممتعة من ناحية اللغة والحبكة والأحداث، فاحتلت مكانة عالية في الأوساط الأدبية حيث صدرت لها خمس طبعات.

### المصادر والمراجع

- حسن ، هاشم محمود: "عطر البارود"، مصر ، النخبة للطباعة والنشر والتوزيع، 2019.
- حسن ، هاشم محمود: "عطر البارود"، مصر ، النخبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٩.
- النجم، عبد الباري عبد الرزاق: "إرتريا شعبا وكفاحا"، بغداد ، مطبعة العاني، ١٩٧١.
- القاضي، محمد: "معجم السرديات"، تونس ، دار محمد علي للنشر ، ٢٠١٠.
- أبوديب، كمال: "جدلية الخفاء والتجلي"، بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٩٨.
- الغزالي، عبد الله: "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، بيروت ، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥.
- الطاهر ، بلحيا: "الروايات العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحديث جذور السرد العربي"، بيروت ، دار الروافد الثقافية، ٢٠١٧.
- الزعي، أحمد: "التيارات المؤثرات في القصة القصيرة في مصر"، الأردن ، دار الكندي للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.
- الزغل، سلطان: "فضاء التشكيل وشعرية الرؤى (دراسات في قصة إلياس فركوح القصيرة)"، الأردن ، دار أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.
- عبد المجيد ، يونس: "الأصول الفنية للنقد الأدبي"، القاهرة ، درا المعارف، ١٩٥٨.
- عبدالمقصود ، محمد عاطف: "إرتريا والتحرز الوطني ١٩٤١-١٩٦١"، أطروحة الدكتوراه، ١٩٨٦ ، كلية آداب ، جامعة المنيا.
- ضرار ، محمد صالح: "تاريخ قبائلي الحيا والحماسيني بالسودان وإرتريا"، السودان ، الدار السودانية.
- حميد ، منصور: "لعنة وشم"، الأردن ، دارو الآن ناشرون وموزعون ، ٢٠١٩.
- جمعة ، لطفي: "بين الأسد الأفريقي والنمر الإيطالي"، مركز مواطنة حمداوي.
- خضر ، ناظم: "الأصول المعرفية لنظريات التلقي"، عمان ، دار الشرق ، ١٩٩٧.
- خورشيد ، فاروق: "في الروايات العربيات: عصر التجميع"، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢.
- مسموشي ، محمد: "وراء الحرب في إرتريا"، مؤسسة الأبحاث العربية.
- عودا ، غالي: "إرتريا بلاد المسلمين وصراع النفوذ"، الأردن ، دار البشير ، ١٩٨٩.

<sup>١</sup> المصدر نفسه، ص: ٢٠

- قطب، سيد: "النقد الأدبي أصوله ومناهجه"، القاهرة، دار الشرق، ٢٠٠٣.
- سبي، عثمان، صالح: "تاريخ إريتريا"، المنتدى الإريتري.
- صغير، جوزيف: "إريتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال ١٩٤١-١٩٥٢"، بيروت، دار المسيرة، ١٩٧٧ م.
- شاكر، محمود: "إريتريا والحبشة"، بيروت، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٣ م.
- شعلان، ثنا: "ترجم الصوت وثورة الصدى"، الأردن، أمواج للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠.
- شلق الفضل: "الاستعمار الجديد في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية"، بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر، ١٩٧١.
- وادي، طه: "دراسة في نقد الرواية"، مصر، دار المعارف، ١٩٩٤.
- العيد، يمني: "الرواية العربية وبنيتها الفنية"، دار الفارابي.
- يوسف، شوقي بدر: "هاجس الكتابة: دراسة في القصة القصيرة"، وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٨.
- زبما، بدير: "النقد الاجتماعي"، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١.

## هيكل المقالة البحثية - لـ "مجلة الصباح للبحوث"

- **عنوان البحث بالعربية والإنجليزية:** يكتب الباحث عنوان البحث بالعربية والإنجليزية في أعلى الصفحة.
- **اسم الباحث:** يكتب الباحث تحت عنوان البحث اسمه وعنوانه للبريد الإلكتروني ومنصبه الأكاديمي/ معهده/كليته/جامعته.
- **الملخص:** يقوم الباحث فيه بذكر النقاط الأساسية التي تناولها في الورقة العلمية دون شرح.
- **الكلمات المفتاحية:** يستخدم الباحث الكلمات للكشف عن البنية الداخلية للورقة البحثية.
- **المقدمة:** يبدأ الباحث الورقة العلمية بمقدمة يتحدث فيها عن موضوع الورقة العلمية والأسباب التي جعلته يختار هذا الموضوع بالإضافة إلى النتائج التي يتوقع الوصول إليها في نهاية الورقة العلمية.
- **المشكلة والأسئلة:** يتناول الباحث المشكلة التي تعرضها الورقة العلمية والأسئلة التي تطرحها والتي يصل الباحث من خلال أجوبتها إلى نتائج البحث.
- **التحليل والمناقشة:** يعرض الباحث مشكلة الدراسة ويناقشها بشكل كامل.
- **المنهج:** يقوم الباحث بتحديد المنهج الذي استخدمه في ورقته العلمية والأسباب التي دفعته لاختيار هذا المنهج والأفضلية التي يوفرها هذا المنهج عن المناهج الأخرى.
- **النتائج والتوصيات:** يذكر الباحث النتائج التي توصل إليها من خلال بحثه العلمي ويضع مجموعة من التوصيات التي من الممكن أن يبني الباحثون الآخرون أبحاثهم عليها.
- **الخاتمة:** يكتب الباحث خاتمة بحثه مختصرة وشاملة والتي تعبر عن البحث الذي أجراه الباحث بشكل غير مباشر.
- **المصادر والمراجع:** يقوم الباحث بتوثيق المصادر والمراجع التي عاد إليها خلال بحثه العلمي وفق الطرق الأكاديمية المتبعة.

## EDITORIAL BOARD

### ADVISORY BOARD

CHAIRPERSON	<b>Dr. K.A. Aysha Swapna, Principal, Farook College</b>
MEMBERS	<b>Dr. Mujeebur Rahman</b> , Professor & Chairperson, Centre of Arabic & African Studies, Jawaharlal Nehru University, New Delhi <b>Dr. Jemoui Saadi</b> , Senior Lecturer, Mohammed Cherif Messaadia University, Souk Ahras, Algeria <b>Dr. Mahmoud Darabseh</b> , Professor of Literary Criticism, Dept. of Arabic Language, Yarmook University, Jordan <b>Dr. Naimul Hasan</b> , Professor & Head, Department of Arabic, University of Delhi, Delhi <b>Dr. Mohd. Sanaullah</b> , Chairman and Professor, Department of Arabic, Aligarh Muslim University, UP <b>Dr. Syed Rashid Naseem</b> , Head, Department of Arab studies & Dean, School of Arab and Asian studies. EFL. University, Hyderabad <b>Dr. Abdul Majid Qazi</b> , Professor & Head, Department of Arabic, Jamia Millia Islamia, New Delhi <b>Dr. Ashfaq Ahmad</b> , Professor & Head, Department of Arabic, Banaras Hindu University, Uttar Pradesh <b>Dr. Mohammed Basheer K</b> , Professor & Head, Department of Arabic, Assam University, Assam <b>Dr. A.B Moideen Kutty</b> , Professor & Head, Department of Arabic, University of Calicut <b>Dr. A. Jahir Husain</b> , Associate Professor and Head, Department of Arabic, University of Madras
CHIEF EDITOR	<b>Dr. Yunoos Salim</b> , Associate. Professor & Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College
EDITOR	<b>Dr. Muhammed Abid U.P.</b> , Asst. Professor, P.G & Research Department of Arabic, Farook College
PANEL OF EXPERTISE (REVIEW & REFEREE)	<b>Dr. Yahya Haj Muhammad</b> , Professor, University of Ghardaïa, People's Democratic Republic of Algeria <b>Dr. Khalid Sulaiman Muhanna Alkindi</b> , Associate Professor, Department of Arabic, Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman <b>Dr. Anas Malmous</b> , Department of Applied Linguistics, Moulay Ismail University of Meknes, Morocco <b>Dr. Ali Noufal. K</b> , Associate Professor, Professor, Department of Arabic, University of Calicut, Kerala <b>Dr. Mohammad Ajmal</b> , Assistant Professor, Centre of Arabic & African Studies, Jawaharlal Nehru University, New Delhi <b>Dr. Heifa Shakri</b> , Assistant Professor, Department of Arabic, Jamia Millia Islamia, New Delhi <b>Dr. Mohd Imaduddin</b> , Assistant Professor, & Head, Department of Arabic, AKM Oriental College, Osmania University, Hyderabad, Telangana <b>Dr. Saidur Rahman</b> , Assistant Professor, Department of Arabic, Aliah University, Kolkata
EDITORIAL MEMBERS	<b>Dr. Sajith E. K</b> , Associate. Professor, Asst. Professor, P.G & Research Department of Arabic, Farook College <b>Dr. Abdul Majeed. T</b> , Asst. Professor, Asst. Professor, P.G & Research Department of Arabic, Farook College <b>Dr. Abdul Jaleel. M</b> , Asst. Professor, Asst. Professor, P.G & Research Department of Arabic, Farook College <b>Dr. Sageer Ali T.P</b> , Asst. Professor, Asst. Professor, P.G & Research Department of Arabic, Farook College <b>Dr. Abbas K. P</b> , Asst. Professor, Asst. Professor, P.G & Research Department of Arabic, Farook College

Contact Us: <a href="mailto:majallathalsabah@gmail.com">majallathalsabah@gmail.com</a> , <a href="mailto:hodarabic@farookcollege.ac.in">hodarabic@farookcollege.ac.in</a> Visit Us: <a href="http://www.farookcollege.ac.in">http://www.farookcollege.ac.in</a>	Editor, Majallath Al Sabah Lil Buhooth, P.G. & Research Department of Arabic, Farook College, Farook College (PO) Calicut, 673632, Kerala, India
--	--

**ACKNOWLEDGEMENT:** We, the Editorial Board of Majallath Al Sabah Lil Buhooth, acknowledge the Rashtriya Uchchatar Shiksha Abhiyan (RUSA) for extending financial assistance for publishing the ninth issue of Majallath Al Sabah Lil Buhooth (Annual International Refereed and Research Journal, 2024)

Title: Majallath Al Sabah Lil Buhooth | ISSN: 2454-7824 | Printed by: H Two World, Chalappuram, Calicut | Published in March 2024 | Copy: 150 | Page: 216



ISSN: 2454-7824

Volume - IX

# **Majallath Al Sabah Lil Buhooth**

*Peer Reviewed Annual Research Journal*



PG & RESEARCH DEPARTMENT OF ARABIC  
**FAROOK COLLEGE (AUTONOMOUS)**

Aided by the Government of Kerala | Affiliated to the University of Calicut  
College with Potential for Excellence (CPE) | Re-accredited at 'A+ Grade' by the NAAC  
Minority Educational Institution | [www.farookcollege.ac.in](http://www.farookcollege.ac.in)

2024

MAJALLATH

# AL SABAH LIL BUHOOTH

PEER REVIEWED ANNUAL RESEARCH JOURNAL

Volume - IX | January 2024

ISSN: 2454-7824



**P.G & RESEARCH DEPARTMENT OF ARABIC  
FAROOK COLLEGE (AUTONOMOUS)**

Aided by the Government of Kerala | Affiliated to the University of Calicut  
College with Potential for Excellence (CPE) | Re-accredited at 'A+ Grade' by the NAAC  
Minority Educational Institution | [www.farookcollege.ac.in](http://www.farookcollege.ac.in)